



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الأدب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التوطين : مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الــــطور الثالث (ل.م.د) في اللــــغة

والأدب العربي تخصص: دراسات نقدية

موسومة ب :

الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني

إشراف الأستاذ:

أ.د بن فريحة عبد الصمد

إعداد الطالب :

نور الدين محمد

1444-1445هـ

2023-2024م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الأدب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر التوطين : مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الـطور الثالث (ل.م.د) في اللـغة

والأدب العربي تخصص: دراسات نقدية

موسومة ب :

الأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني

إشراف الأستاذ:

أ.د بن فريحة عبد الصمد

إعداد الطالب :

نور الدين محمد

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الارتباط
01	أ.د/داود محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة ابن خلدون تيارت
02	أ.د/بن فريحة عبد الصمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون تيارت
03	أ.د/معايز بوبكر	أستاذ التعليم العالي	مساعد المقرر	جامعة ابن خلدون تيارت
04	أ.د/كراش بن خولة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة ابن خلدون تيارت
05	أ.د/سعيد بلعربي لخضر	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة ابن خلدون تيارت
06	د/بوترة الطيب	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	المركز الجامعي نور البشير البيضا

1444-1445هـ

2023-2024م



إهداء

إلى اللذين غذيا أجسادنا أنعمنا ، وأنعشا أرواحنا أرحما ، واختصرت فيهما لغة الحب والحنان أكرما، إلى من ذكرهما الله في القرآن الكريم، وخصّهما بالإحسان والتكريم، إلى الوالدين العزيزين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

إلى الإخوة الكرام والأخوات الكريمات، إلى الزوجة الغالية والأبناء الأبرار، إلى الأخ الكريم والأستاذ الفاضل "عبد القادر بن ستالة" وعائلته الكريمه فردا فردا ، إلى الأصدقاء بوعزة محمود ، سفراني طه و دحو حماني و المدير الطموح حفصي جيلالي وعائلته الكريمة فردا فردا ، والأخ الغالي عابد راجحي وعائلته الكريمة فردا فردا .

إلى الأخ النبيل " سلماني فيصل" وأسرتة الكريمة فردا فردا، إلى الابن البار "صوالح مُجد" وأسرتة الكريمة فردا فردا ، إلى ابني البارين يوسف و عبد الحميد بن يمينة .

إلى أسرتي الثانية متوسطة زيغوت يوسف إدارة؛ أساتذة ، وعمالا وأخصّ بالذكر مدير المتوسطة " مزهود رابح" حفظه الله ورعاها إلى ملحقة قصر الشلالة ،جامعة ،إدارة، أساتذة ، وعمالا باعتبارها أول خطوة لتحصيلي العلمي لما بعد التدرج خاصة الأستاذة الفاضلة " صوالح نصيرة" .

إلى من علمونا الحروف والكلمات نستقي منها منابع ونجعلها سلما نرتقي به صهوات المجد والعلا، أساتذتنا الكرام جامعة - ابن خلدون- كلية الآداب واللغات بتيارت كل باسمه ووصمه و رسمه.

إلى الأستاذين الفاضلين: " د .بن فريجه عبد الصمد" و " د. معزيز بوبكر" دمتما لنا ذخرا ، وظللتما في الأفاق فخرا، سلمت يمانكما على ما بذلتما من جهود فأوفيتما، وعلى ما قدمتما من ضفاف نهر العلم فكفيتما، بوركتما وبورك مسعاكما، وسدد الله خطاكما، آمين آمين آمين إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وُلْدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة النمل الآية 19

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم .
بعد شكر الله سبحانه وتعالى على تحقيقه لي ما أصبو إليه في استكمال درجة الدكتوراه في الدراسات النقدية " نقد مغاربي و أندلسي " بجامعة ابن خلدون تيارت، أتقدم بعظيم الشكر والتقدير للأستاذين " د. بن فريحة عبد الصمد " و " د. معزيز أبو بكر " على حسن تعاونهما، إذ أمداني لما احتجت إليه من توجيهات و نصائح و إرشادات وكان لهما الأثر الأكبر في إنجاز هذه الدراسة.
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإتمام هذا البحث المتواضع

مَقَامَاتُهُ

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين مُحَمَّد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم،

أمّا بعد:

لقد كان الأدب العربي في بلاد المغرب عموماً، وفي الجزائر على وجه الخصوص ولا يزال في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب والدراسة، ولعل ما قد دون عنه إلى يومنا هذا ما هو إلا غيض من فيض، هذا النزر القليل ما هو إلا جهد أولي لمجموعة من الباحثين والدارسين، لأنه في مجمله لا يعكس واقع الأدب آنذاك، ولا يعطي صورة واضحة عنه في هذه المنطقة التي طالما أنجبت من رحمها علماء وأدباء برعوا في مجالات مختلفة، فأثروا المكتبة العربية بإنتاجهم، وكانوا بذلك مصاييح تنير درب اللاحقين.

لقد كتب الأدباء المشاركة عن الأدب العربي في المغربي وبإسهاب، غير أنّ اهتماماتهم كانت تنصب على الأدب في المشرق وكذا في الأندلس، وقد تمكنوا بمجهوداتهم الجبارة من تقديم زخم معرفي هائل إلى المكتبة العربية، توضحّت من خلالها المعالم التراثية للأدب العربي في هذه الرقعة.

ولكن هذه المكتبات التي ما فتئت تعج بالكتب والمؤلفات الأدبية العربية ستظل غير كاملة؛ لأنها تفتقر إلى جانب هام من تراثنا الحضاري الفكري والأدبي الجزائري، هذا الأخير الذي لقي إجحافاً وتقصيراً واضحاً من حيث الدراسة وكذا التدوين سيما من طرف المؤرخين، هذا الأخير الذي كان حافزاً دفع بأبناء الأمة الجزائرية ليتحملوا عبء المسؤولية الشاقة، ويقوموا بأداء المهمة التي وكلوا بها على الوجه الذي يليق بهم، وهم بذلك يخدمون تراثهم قياساً إلى منطقتهم الضيقة من جهة، ومن جهة أخرى يقدمون خدمة عظيمة للأدب العربي، كونه جزءاً من تراثنا الحضاري العربي الإسلامي.

وعلى هذا الأساس فقد كان موضوع الدراسة الأدب في وطننا الحبيب، خاصة الأدب القديم منه فكرة لطالما راودتني وما زالت تحتلج بين جوانحي من حين لآخر إلى أن أصبحت هذه الرغبة فيما بعد عزمًا قويا، يقودني إلى البحث والدراسة في تراثنا الأدبي الأصيل، فاقتفيت من زمرة فطاحلته الذين ذاع صيتهم في القرن "8 هـ" الشاعر المبدع" أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري التلمساني"، وأود من خلال هذه الدراسة أن أسلّط الضوء على هذه الشخصية الفذة، التي كانت ولا تزال قامة أدبية ودعامة معرفية في الأدب العربي عموماً والأدب الجزائري خصوصاً، كما أريد أن أوضح مدى تأثير شاعرنا " الثغري التلمساني" في أعماله الأدبية ونتاجاته الشعرية بالثقافات والآداب القديمة وبأشعار الشعراء القدامى، وكيفية توظيفه للعوامل المنطقية والروابط الحجاجية، واستعماله للوسائل البلاغية المتنوعة، والجوانب المعرفية المختلفة التي استقى منها ثقافته وبلاغته وفصاحته، مبرزاً من خلال أشعاره مرجعيته الثقافية التي جعلت منه شاعراً متمكناً ومتميزاً ومبدعاً.

لقد حاولت في هذه الدراسة، ومن خلال هذا البحث المتواضع أن أجيب على بعض الانشغالات ذات الصلة الوطيدة بالأثر المنطقي في الفكر البلاغي عند الثغري التلمساني"، فكان السؤال الذي أثار فضولي هو: ما مدى تجليات المنطق في الفكر البلاغي عند الثغري؟ أو إلى أي حد تمكن الثغري من إعمال المنطق بشتى عناصره وتوظيفه في بلاغته؟ أو ما أثر المنطق في الفكر البلاغي عند الثغري؟

كل هذه الانشغالات وغيرها حاولت جاهدا الإجابة عنها، موضحا بذلك فكرة مفادها: مدى تجسيد المنطق بآلياته المختلفة في بلاغة الثغري التلمساني، وإظهار نقاط التقاطع بين أشعاره وبين من سبقه من الشعراء والأدباء والفلاسفة القدماء، الأمر الذي يوحى باطلاعه على الآداب والثقافات القديمة و تأثره بها .

أما عن سبب اختياري للشاعر " الثغري التلمساني" فهو راجع إلى أنّ هذا الأخير كان شاعرا متميزا، مبدعا ومتمكنا، ويعد من الشعراء ذوي الاطلاع الواسع على الآداب والثقافات القديمة، فأردت أن أكشف عن تأثيرها في أشعار الثغري ومدى تأثره بها هذا من جهة، ومن جهة أخرى أبيت إلا أن أنفض الغبار عن أدبائنا وكتّابنا وشعرائنا الجزائريين الذين غفلت عنهم أقلام الباحثين والدارسين فباتوا بذلك طي النسيان وأصبحوا في خبر كان، والثغري التلمساني واحد من أولئك الشعراء الذين يستحقون الوقوف على آثارهم الأدبية ونصوصهم الشعرية، و ذلك لبيان بصمته التي وضعها في الحياة الأدبية لتراثنا الأدبي الجزائري الأصيل.

مما سبق وعليه فقد جاء هذا البحث على النحو الآتي:

مدخل وثلاثة فصول يتضمن الفصل الأول ثلاثة مباحث ويتضمن الفصل الثاني أربعة مباحث أما الفصل الثالث فهو دراسة تطبيقية لبعض أشعار الثغري التي نستنبط من خلالها تجليات المنطق بمؤشرات وعوامله ، متبوعة هذه الفصول بخاتمة هي صفوة العمل وزيدته، بدءا بمقدمة وضّحت فيها سبب تناولي لهذا الموضوع مفصّلا إياها في طيات الموضوع، و صولا إلى المراجع والمصادر التي اعتمدتها في بحثي هذا.

* أما المدخل: فهو يتناول عرضا مركزا حول الأدب الجزائري القديم، كما يشتمل على نظرة عامه وموجزة للمشهد الثقافي والأدبي في الجزائر إبان القرن "8هـ" ، مسجّلا بذلك أهم رواده وفنونه التي كانت موجودة آنذاك.

● أما الفصل الأول: فقد كان موسوما ب" في مفهوم المنطق" وقد تضمن ثلاثة مباحث هي كما يلي:

- 1 /المبحث الأول: مفهوم المنطق لغة واصطلاحا
- 2 /المبحث الثاني: نشأة المنطق وجذوره التاريخية
- 3 /المبحث الثالث: في مفهوم الحجاج اللغوي

• أما الفصل الثاني: فكان موسوما بـ " في مفهوم البلاغة" وقد تضمن هذا الفصل أربعة مباحث هي كما يلي:

1/المبحث الأول: مفهوم البلاغة لغة واصطلاحا

2/المبحث الثاني: أقسام علم البلاغة وأنواعها

3/المبحث الثالث: نشأة البلاغة العربية وأهم أعلامها

4/المبحث الرابع: التفكير البلاغي عند الثغري التلمساني و مرجعيته البلاغية

• أما الفصل الثالث: فكان موسومابـ " تجليات العوامل والمؤشرات المنطقية في بلاغة الثغري التلمساني"

وقد تضمن هذا الفصل دراسة تطبيقية لبعض قصائد وأشعار الثغري التلمساني وتحليلها بغية استنباط تلك العوامل

والمؤشرات المنطقية المختلفة مبرزا من خلالها مدى تأثير شاعرنا الثغري بمن سبقه من الشعراء والفلاسفة القدامى.

وانتقلنا بعد هذا إلى خاتمة تعد صفوة هذا العمل و زبدته. كما يجدر الذكر إلى وضع ملحق اشتمل على سيرة ذاتية

للشاعر الثغري التلمساني.

وبعد القراءة المتأنية للموضوع، أردت أن تكون هذه الدراسة وفق المنهج التحليلي الوصفي لأنه يلائم طبيعة

الموضوع، ومن أجل إظهار دور المنطق بعوامله ومؤشراته في البلاغة العربية وأثره الجلي فيها، إضافة إلى توضيح مدى

محاكاة شعرائنا الجزائريين القدامى للآداب والثقافات القديمة، ولا أنسى اعتمادي المنهج التاريخي أيضا لأنه قد ساعدني

بعد عملية الاستقراء في التوصل إلى حياة شاعرنا الثغري التلمساني والوقوف على آثاره الأدبية.

و كأيّ بحث علمي فقد واجهتني مجموعة من الصعوبات أهمها: ندرة المادة العلمية و قلة المراجع والمصادر المتعلقة

بهذا البحث .

لقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المؤلفات للاطلاع على العناصر الأولية، التي دونها ما كان له

ليكتمل ومنها:

1/ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج2، ط1، 2000.

2/ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ج1، ط1، 1998.

3/ ابن خلدون، المقدمة ، دار الكتاب ، بيروت، لبنان ، ط3، 1967

4/ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، تح: مُجد أمين الخانجي ، مطبعة محمود بك ، بيروت ، لبنان،

ط1، 1420هـ

5/ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات ، دار المعارف، القاهرة ، مصر ، ط1، 1989

6/ أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، تنضيد و إخراج حسين طه ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط1، 2009

7/ ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة،

مصر، ط1، 2000

8/ الجاحظ، البيان و التبيين ، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، ط6، ج2، 1998

9 /محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، دط ، 2007

10/ أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري ، ديوان الثغري ، تح: نوار بوحلاسة ، منشورات مخبر الدراسات

التراثية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2004.

وفي الأخير يبقى للمنطق الأثر البالغ والبارز في البلاغة العربية، كونه مرافقا لها ومنهجيا يحدد معالمها وعناصرها،

فالبلاغة لا يمكنها الاستغناء عن المنطق لأنهما يخرجان من رحم واحد، فهما يتقاطعان في نقاط كثيرة ويشتركان في

جوانب عديدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالأدب الجزائري الحديث ما هو إلا امتداد لأدبنا القديم، ويبقى أعلامه

ينابيع علم ومعرفة ينهل منها الباحثون والدارسون.

ولا يسعني ها هنا إلا أن أقول أنّ هذا العمل المتواضع ما كان ليتم لولا فضل الله عز وجل، ثم توجيهات ونصائح

وإرشادات الأساتذة الأفاضل، لهم منّا موصول الشكر وجزيل العرفان وجميل الامتنان.

وفي الأخير أقول: " إن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي " نسأل الله أن ينفعنا وينفع التابعين بعدنا.

الطالب: نور الدين محمد

في: 2025/04/03

مدخل

المشهد الثقافي و الأدبي في المغرب
العربي إبان الفتح الإسلامي

تمهيد

1. مراكز الثقافة في الجزائر خلال الفتح الإسلامي
2. الفترات التاريخية التي مرت بها الجزائر قديما ثقافيا

تمهيد :

لا يمكن لأيّ دارس أو باحث وهو يتعرض لجانب من جوانب الحضارة الإسلامية التي شهدتها أرض المغرب العربي وكانت مهدياً لها، أن يتناول حديثه وبحثه هذا دون الإشارة منه إلى أصالة هذه المنطقة وذكر تاريخها وأيامها الغرّ وتنوع أحداثها.

لذلك فإننا نجد أنّ معظم المؤرخين قديماً وحديثاً إلّا وتعرّضوا إلى أصالة القبائل التي سكنت بلاد المغرب، وحاولوا جاهدين إبراز الجنس الذي تنتسب إليه هذه القبائل وتحديد مرجعيته وقد ذهبوا في ذلك مذاهب متباينة، « فمنهم من أكّد على أصالة عروبة برابرتها، ومنهم من سيطر عليهم الشكّ والنكران وأكثرهم من المؤرخين الغربيين»¹. غير أن الرأى الأرجح هو أن القوم الذين سكنوا هذه المنطقة الشاسعة من شمال إفريقيا واستوطنوها، « إنما هم من أصول سامية ويُعدّ هذا الرأى الأصوب، لأنه لا يوجد مبرر واحد يجعل من سكن هذه المنطقة ينتمون إلى جنس آخر غير الجنس السامي، الذي لاتفصله عن إفريقيا الحواجز والحدود، بينما الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى أوروبا التي يفصلها عن إفريقيا بحرٌ واسع تتلاطم أمواجه هنا وهناك»².

إن قبائل صنهاجة وزناتة وكنامة وغيرهم من أبناء هذه المنطقة إنما هم من أصول سامية، « وأن روابط الدم وأمشاج القرابة هي من تربطها بأخواتها من قبائل حمير وعدنان»³، وهذا ما يفسر انتشار الإسلام في هذه الربوع، ولا يجد العرب الفاتحون أية صعوبة للاستقرار مع سكان هذه البلاد، وأن التمازج معهم تمازجاً تاماً، يجعل من المستحيل التفريق بين قادم ومقيم، في حين أنه لم يحدث ذلك أبداً قبل مجيء الإسلام.

إن التاريخ يحدثنا عن حملات الفينيقيين وغزوات الرومان والوندال، وعن الاحتلال الروماني والبيزنطي، وما يتبع ذلك من مستلزمات الحضارة من ثقافة وعادات وتقاليده ولغة، ضف إلى ذلك أساليب القمع والإبادة والمسح والطمس، التي هي من طبائع كل مستعمر دخيل منذ أقدم العصور.

ولكنه ومع كل ذلك فقد بقي المغرب مغرباً أصيلاً، زاد عن أرضه وحماها وحافظ على كيانه وجنسه، رغم الحقب الزمنية الطويلة والنكبات والرزايا التي كان يتعرض لها من حين لآخر.

يؤكد المؤرخون العرب: «أنه لا يمكن الفصل بين أصل البربر وبين العرب، لأنهم عندما قدموا إلى المنطقة فاتحين امتزجوا جميعاً وبسرعة مذهلة»⁴، ولذلك أصبح البربريون والفاطحيون أمة واحدة، دينهم الإسلام ولغتهم العربية يسعون إلى هدف واحد ومشترك، ألا وهو نشر مبادئ هذا الدين الحنيف حتى يعم الأمن والأمان والسلام.

¹ د. بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007، ص 15.

² د. بشير خلدون، المرجع نفسه، ص 15.

³ د. بشير خلدون، المرجع نفسه، ص 16.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1981، ص 189.

إنه ما كان ليقع هذا التمازج بسهولة لو لم تتشارك هذه القبائل في خصائص غريزية، ويجمع بينها مصير واحد ونزعة واحدة. وكذلك عادات و تقاليد وطبائع مشتركة في بينها جعلت عنصرا التأثير و التأثر يكونان سهلين بين شعوبها . نعم يمكن القول أن المغاربة لم يكونوا في منأى عن التأثيرات الخارجية، التي جاء بها كل من الفينيقيين والرومان والوندال، وكذا الروم والبيزنطيين، فقد كانوا جميعاً يحملون معهم حضارات وعادات وتقاليد وطبائع.

وإنه من الطبيعي حدوث نوع من التأثير بين كل من المغاربة والمستعمرين الذين تعاقبوا على أرضه ولو بشكل قليل، ويظهر هذا التأثير في مظاهر الحياة اليومية، وفي جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية، وفي هذا يقول " د . بشير خلدون": « لقد أخذوا عن الفينيقيين التجارة والملاحة وعلم الفراسة، وعن الرومان النظم والقوانين وطرق جلب المياه، وبناء المدن وتعبيد الطرقات، وعن البيزنطيين الترف واللهو والتألق في المأكل والملبس»¹.

وإن كانت هذه المؤثرات قد وجدت طريقها قبل ذلك إلى بلاد المشرق، وهذا بحكم الحوار بين الفينيقيين والرومان والبيزنطيين، فإن المغاربة قد استفادوا إما استفادة من إخوانهم المشاركة وذلك من صفات أخرى لم تكن في الحقيقة غريبة عنهم، ألا وهي اللغة والدين وكل ما يتبعها من أوصاف عديدة فُطروا عليها جميعاً عرباً وبربراً، تتمثل خاصة في مكارم الأخلاق من عدل ومساواة، وفصاحة لسان وشجاعة وإقدام، وحماية للعشيرة وللجار، وإغاثة للمظلوم، إضافة إلى ذلك من كرم وجود، وأمانة وإخلاص ووفاء.... « كل هذه الخصال الحميدة وغيرها كان العرب قد عرفوها واشتهروا بها منذ أقدم عصورهم، ولم يحفل أي تاريخ بمثل ما حفل به تاريخهم في هذا الميدان»².

مما تقدم نستطيع أن نقول أن المجتمع العربي في بلاد المغرب يعتبر نخبة متميزة وصفوة المدنات المتنوعة، التي ظهرت في ربوعه مع تميزه بوضوح ملامحه الشخصية، التي يشترك فيها بالأصالة مع أشقائه عرب المشرق، الذين توافدوا عليه منذ بدايات الفتح الإسلامي إلى أن استقر الوضع للمسلمين وحدهم وانحصر النزاع فيما بينهم.

وحتى يتسنى لنا توضيح بعض الملامح السياسية والاجتماعية والثقافية، التي ظهرت في منطقة المغرب العربي طوال القرون الأولى من الفتح الإسلامي، يجدر بنا التعرض وباختصار إلى أهم الفترات الزمنية التي مرت بها بلاد المغرب، وبخاصة المغرب الأوسط (الجزائر)، والتي نذكر من خلالها أهم الدويلات التي أسست آنذاك، وحكمت بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) و واقع الحياة الثقافية والأدبية في كل مرحلة زمنية، وقبل كل هذا يستوجب علينا أن نتعرض إلى أهم المراكز الثقافية التي كانت تزخر بها الجزائر إبان الفتح الإسلامي لها، والتي كان لها الدور الفعال في إخراج الكثير من العلماء والأدباء والحكماء والفقهاء الجزائريين وقتئذ.

¹ د. بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص 17.

² د. بشير خلدون، المرجع نفسه، ص 17.

مراكز الثقافة في الجزائر خلال الفتح الإسلامي:

لقد قامت الكثير من الحركات العلمية في بلادنا الجزائر خلال الفتح الإسلامي لها، فكان للجزائر آنذاك مراكز يؤمها الطلاب من جميع الأمصار من أجل اكتساب العلوم المختلفة، من شعر وأدب وفن وفقه وحديث وفلسفة، وقد نبغ في هذه الفنون علماء كبار وأهم هذه المراكز ما يلي:

أولاً: المسجد:

يعتبر المسجد المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء فريضة الصلاة وكذلك للاحتفال بجميع المناسبات الدينية غير أنه لم يقتصر على هذا الدور فقط إنما تعداه ليكون بذلك مركزاً تعليمياً تثقيفياً توعوياً، و لذلك نرى أنه قد أسست مساجد كثيرة في بلاد المغرب العربي منها «مسجد القيروان، ومسجد الزيتونة ومسجد تلمسان، ومسجد القرويين»¹، وكانت كلها تعج بالعلماء حافلة بالدروس المختلفة، يقصدها الطلاب من كل جهة فيتعلمون أصول الدين ومبادئه، ويتسابقون في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لقد عرف هذا المركز بالذات "المسجد" اهتمام ملوك الدولة الزيانية وسلاطينها نظراً للأدوار الجليلة التي كان يلعبها وللمهام النبيلة التي كان يؤديها، لذلك فقد كانت المساجد منتشرة في كل أنحاء بني عبد الواد باعتبارها مؤسسة تستقبل الطلبة والمصلين في حلقات دراسية، فكانت بمثابة جامعة أو معهد إضافة إلى كونها مقراً للعبادة تلقى فيها الدروس وتعقد فيها حلقات البحث وتنظم فيها المناظرات العلمية والأدبية واللغوية وكذا الحوارات الفقهية، فقد كانت مقراً تقرأ فيها البلاغات الرسمية للدولة و يجتمع فيها كبار القوم لتدبير أمور الزواج وتمضى فيها العقود التجارية، كما تؤخذ إليها الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها، ونظراً لأهمية المسجد فقد عمل سلاطين الدولة الزيانية على تشييدها عبر ربوع مدينة تلمسان وضواحيها، فكانت المساجد كثيرة ومنتشرة في كل أنحاء المدينة نذكر منها:

1/ المسجد الجامع الأعظم بتاجرات :

يعد المسجد الأعظم من أكبر المساجد المغربية وأبرزها آنذاك، وقد بناه الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي عندما بنى مدينة تاجرات سنة 1080م/473هـ، فكان آية في الهندسة وال عمران غاية في الزخرفة تغلب عليه المسحة الفنية الأندلسية، حتى أصبح بذلك تحفة مغربية رائعة، وقد أعاد بناءه ابنه علي بن يوسف سنة 1135م/530هـ.

2/ المسجد الجامع بأغادير :

يعتبر هذا المسجد هو الأقدم في المدينة، ويعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل استيلاء الأدارسة على مدينة تلمسان بزعامة إدريس الأكبر سنة 194هـ، فقاموا بإعادة بنائه و ترميمه عدة مرات في عهد كل من إدريس الأول و ابنه إدريس الثاني كما عمدوا على توسيعه و تزيينه و شيّدوا فيه المنبر والمحراب، «كما حظي هذا المسجد بعناية الأمير يغمراسن الذي قام بترميمه وبناء مئذنته وكتابة اسمه بها»².

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، ص49.

² يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بونطانة، الجزائر، ج1، 2017، ص207.

3/ مسجد أولاد الإمام :

سمي بهذا الاسم نسبة إلى ابني الإمام وهو المسجد الذي أمر ببنائه السلطان أبو حمو موسى حوالي سنة 710هـ بالقرب من المدرسة القديمة، وهي أول مدرسة بنيت بمدينة تلمسان ولكي يكون ملحقا للمدرسة ، فكان هذا المسجد روعة في الجمال والإبداع ، يتميز بمئذنة ارتفاعها سبعة عشر مترا ، وأربع واجهات مزخرفة على شكل رقعة شطرنج يحتوي هذا المسجد على قاعة للصلاة واسعة و كبيرة مؤلفة من ثلاث بلاطات وثلاثة أروقة ، وكان المحراب في واجهة القبلة من الرواق الأوسط يتضمن هذا الأخير العديد من النوافذ المقوّسة الشكل ، يهتم هذا المسجد بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الطلبة مختلف العلوم

ثانيا: الكُتّاب:

هو المركز الذي يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم والمبادئ الأولى في القراءة والكتابة، «و يُعدُّ أسبق المعاهد العلمية وجوداً في العالم الإسلامي»¹، وبدئ تأسيسه في النصف الأول من القرن الأول وكان في بدايته عبارة عن خيمة تضرب مع خيام الجيش، إذ كان الجند يصطحبون معهم الشعراء والمعلمين والخطباء، وكان الولاة يأتون من الجزيرة العربية ومعهم الأدباء لإنشاء الرسائل وتعليم الناس الدين والفقهِ والأدب، وبهذا كان للولاة الفضل الكبير في نشر مبادئ الإسلام وتوطيد دعائم العروبة.

والكتاتيب هي عبارة عن حجرات غالبا ما تكون مجاورة للمساجد أو بعيدة عنها بعض الشيء ، تخصص لتعليم الأطفال و « يقوم بإنشائها في الغالب خواص لبساطتها أو استئجار بيوت تصبح مكانا للتعليم »²، وتبنى الكتاتيب من قبل مجموعة من الأولياء والآباء ميسوري الحال يرغبون في تعليم أبنائهم المبادئ الأولى في القراءة والكتابة من خلال تحفيظهم للقرآن الكريم ، أو أنهم يقومون بكراء محل أو استئجاره كما أنهم يدفعون مبالغ مالية للمعلم مقابل تعليمه أبنائهم ، وكان أثاث الكتاتيب في الغالب بسيطا يشتمل على حصير مصنوع من الحلفاء ، أما التلاميذ فيقبلون على الكُتّاب حاملين معهم لوحا من الخشب المصقول و قلم من قصب جاف و دواة للحبر و إناء يحجون فيه ألواحهم، «حيث يصبون في هذا الأخير الماء الطاهر ثم يحفرون له حفرة في الأرض و يصبون ذلك الماء فيجف»³.

كما أن المعلم الذي يزاول مهمة تعليم هؤلاء التلاميذ يجب أن تتوفر فيه شروط كحفظه القرآن الكريم و معرفته بأحكام القراءة والتلاوة ، ويمكن أن يتعاون معلمان في أداء هذه المهمة متى زاد عدد التلاميذ، وكان المعلم على اتصال دائم

¹ مُجَد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص19.

² سعاد قوبال ، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة ، الجزائر ، دط، 2010، ص14

³ سعاد قوبال ، المرجع نفسه، ص14

ومستمر بولي التلميذ ليتفق معه على المادة أو المواد التي سيتم تعليمها للابن، إضافة إلى تحديد الأجر الذي يتقاضاه المعلم مقابل هذه المهمة وكذا المدة الزمنية المحددة للتعليم .

ثالثاً: الزوايا:

ويأتي بعد ذلك « مركزٌ تعليمي آخر يعرف باسم -الزّاوية»¹، برامجه أعلى من برامج الكُتّاب، وتشمل الزاوية عدداً من جامعات ومكتبة وغرف للإيواء لمبيت الطلبة، وكان للزاوية دور كبير في التعليم والتنوع الثقافي وكذا اكتساب المعارف، فقد وُضعت آنذاك للصلاة ولعقد الزواج وغيرها.

وللزاوية أنواع فمنها من بُني حول ضريح وليٍّ ومنها التي لم تُبن على ضريح ولي، والزوايا الطرقية كانت كثيرة عندنا آنذاك كالكادرية والرحمانية، وأيضاً الدرقاوية والعيساوية والسنوسية والتيجانية، إضافة إلى الزاوية العروسية وبها يتعلم طريق الصوفية وتسمع فيها الأناشيد، كما يعتمد فيها رجال السياسة على شيخ الزاوية في تسيير الفكر العام.

وقد كانت الزوايا وتمتد تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل القرية أو البلدة إلى جانب أهدافها التعليمية، أمّا مؤسسوها فكانوا من أهل الخير والبر والإحسان أو من رجال الطرق الصوفية أو من كبار رجال الدولة وأعيانها، ويشترك في تشييدها مجموعة من أولئك المحسنين ويوقفون عليها أوقافاً لتغطية نفقاتها، أمّا عن إدارتها وتسيير شؤونها فيقوم عليها شخص مكلف يسمّى " الناظر " ومعه جماعة من المساعدين، ولقد كان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة اختلافاً كبيراً، فالزاوية كانت قصيرة الجدران منخفضة القباب وقليلة النوافذ تجمع بين هندسة المسجد والمنزل.

ولطبيعة الموقف يجدر بنا أن نذكر الزاوية العسكرية وذلك على عهد الفاطميين، وقد ظهر في القرن الرابع هجري (4هـ) مركز أكثر أهمية مما ذكرنا آنفاً ألا وهو المدرسة.

رابعاً : المدارس :

هي المكان الذي يتعلم فيه الأطفال مبادئ الكتابة والقراءة، و «أول ما ظهرت بخراسان»⁽²⁾، ثم أسس الوزير "نظام الملك" المدارس النظامية، كما أسس "نورالدين زنكي" و"صلاح الدين" مدارس بالشام ومصر، بهدف نشر المذهب السني ومقاومة المذاهب الأخرى، وفي القرن الخامس هجري(5هـ) ظهرت المدارس بالجزائر، والمدرسة عمل حكومي يجتهد تضع الحكومة يدها بالإشراف والمتابعة على التعليم، ويتخرج منها موظفون يعملون وفق سياسة الدولة، الأمر الذي يجعل غايتها تتناقض مع غاية الزاوية، هذه الأخيرة التي تهدف إلى تخريج علماء لا يخضعون للدولة بل يقاومونها عند الاقتضاء، في حين أنه كان يُدرّس بالمدارس الفقه أكثر من الحديث الذي هو من اختصاصات الزاوية، كما أن المدرسة في بنائها وهيكلها وزخرفها مغايرة للزاوية.

¹ . محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص20

² . محمد الطمار، المرجع نفسه، ص20

و من أشهر المدارس التي شهدتها الدولة الزيانية ما يلي :

1/ مدرسة ابني الإمام :

سميت هذه المدرسة بهذا الاسم نسبة إلى ابني إمام كان يمتحن الإمامة في بعض مساجد المدينة، وكان ولداه على قدر كبير من العلم والمعرفة ، اسم أكبرهما هو "أبو زيد عبد الرحمن" والآخر اسمه "أبو عيسى موسى" ، فكانت هذه المدرسة باسمهما تكريماً لهما ولعلمهما الغزير، وهي أول مدرسة زيانية بناها السلطان "أبو حمو موسى الأول" سنة 707هـ/718هـ، و شيد بجانبها دارين ليقوم فيهما الأخوان وقد حظيا بمكانة عظيمة لدى الحاكم كونهما عالمن جليلين جابا البقاع والأصقاع طلباً للعلم، وعند عودتهما كرمهما الحاكم وجعلهما يعلمان الطلاب من مختلف الأعمار، فتخرج على يديهما كبار علماء الدين و من أبرزهم «أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي ، وأبو عبد الله الشريف التلمساني والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب»¹ وظلت هذه المدرسة قائمة حتى دخول فرنسا للجزائر فقامت بتحطيمها.

2/ المدرسة التاشفانية :

قام السلطان أبو تاشفين ابن أبي حمو موسى الأول ببناء هذه المدرسة ما بين سنتي (718هـ/737هـ) بجانب الجامع الأعظم ، وذلك تكريماً منه للفقهاء أبي موسى عمران المشدالي وهو أعلم وأعرف أهل زمانه بالمذهب المالكي ، فكانت هذه المدرسة غاية في الهندسة و الزخرفة آية في الإبداع والروعة ، ذلك لأن السلطان أبا تاشفين كان مولعاً بالعمارة والتفنن فيه فقد سخر لبنائها فنانيين و مهندسين ماهرين في الزخرفة والنحت والتزيين ،فكانت هذه المدرسة قصراً من قصور الملوك تضم الكثير من البنايات والعديد من الأروقة ، وبقيت هذه المدرسة قائمة تؤدي وظائفها ما يقارب خمسة قرون من ذلك الزمن إلى عهد قدوم الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر الذي غير من معالمها و وظائفها.

3/ المدرسة اليعقوبية :

قام بتشيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة "760هـ/791هـ" وقد استغرق وقت بنائها أكثر من سنة ونصف و سميت بهذا الاسم "اليعقوبية" نسبة إلى والد الحاكم أبي حمو موسى الثاني وهو أبو يعقوب ، هذا الأخير الذي نقل إليها رفات جثمانه بعد إتمام بنائها ، وكانت هذه المدرسة واسعة المساحة وجميلة العمارة، تعجب الناظر إليها وتستقطب إليها الطلبة من كلِّ حذب و صوب ، حيث قال فيها ابن مريم: « وأنشأ مدرسة القرآن والعلوم وأنفق فيها من الحلال المعلوم ، فأقيمت مدرسة مليحة البناء واسعة الفناء ، بنيت بضروب من الصناعات و وضعت في أبداع

¹ المقري ، نفع الطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج5، 1968، ص203

الموضوعات، سمكها بالضيعة مرقوم وبساط أرضها بالزليج مرسوم، غرس بإزائها بساتين يكتنفها وصنع صهريجا من الرخام فيالها من بنية ما أبهجها»¹، لكن مصير هذه المدرسة كان التحطيم و الاندثار وذلك في عهد الأتراك العثمانيين.

الفترات التي مرت بها الجزائر قديماً ثقافياً:

الفترة الأولى: في عهد الفاتحين المسلمين (50هـ - 160هـ) (670م-776م):

وهي الحقبة الزمنية التي حكم فيها العرب المسلمون بلاد شمال إفريقيا ودخلوها فاتحين، « وقد أسماها المؤرخون بـ: فترة الولاء»⁽²⁾ وذلك نسبة إلى موالاتة البربر للفاثحين المسلمين وانضوائهم تحت راية الإسلام والعمل بمبادئه وتعاليمه، وقد تميزت هذه الفترة بمميزات كثيرة في جميع جوانب الحياة المختلفة سيما الجانب الثقافي.

الجانب الثقافي:

لما فتح العرب المسلمون إفريقيا بدأوا يفكرون في بث تعاليم الدين الإسلامي ونشره في ربوعها، « فعرفت بلاد الجزائر خاصة نوعاً من الثقافة نشطها بنو أمية»⁽³⁾، لأنهم عمدوا إلى تعليم الناس القرآن الكريم إضافة إلى أمور الدين، وقد عنوا بهذا الأمر عناية كبيرة، وعلى هذا الأساس فإننا نلاحظ وفي هذا الشأن بالذات " أن عمر بن عبد العزيز" قد وجّه عشرة من التابعين من أجل تثقيف البربر وإرشادهم إلى شرائع الإسلام وتعاليمه.

وفي السياق ذاته فإن الولاة أنفسهم قد مهّدوا السبيل لتقدم هذه الثقافة، « فقد جعل حسان الغساني اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد»⁽⁴⁾، وأمر "موسى بن نصير" العرب أن يعلموا البربر القرآن والفقهاء ولا يتسنى لهم ذلك إلا بتعلم اللغة العربية، «فما كان من البربر أن يقبلوا على تعلّمها، فدخلوا في دين الله جماعات وأفواجا»⁽⁵⁾.

لقد انكب البربر على تعلّم اللّغة العربية، وقد أعانهم على ذلك رغبتهم القوية في تعلّمها، و«إنصاتهم إلى دروس الدعاة والفقهاء واحتكاكهم بالعنصر العربي»⁶، ومع مرور الزمن ظهر جيل جديد نشأ تحت حكم العرب، ومازجهم في أوضاعهم وتعلم لسانهم وقلّد أخلاقهم وأخذ منهم الكثير، وأخذ الدعاة العرب يسامرون هذا الجيل بأخبار الجاهلية والإسلام، ويروون له ما يحفظون من الأشعار في أيام العرب، وبذلك أصبح البربر المستعربون على دراية كبيرة وخبرة واسعة وبيّنة قوية من حياة العرب وآدابهم في الجاهلية والإسلام.

¹ ابن مريم، البستان في ذكر أولياء والعلماء بتلمسان، دار الطباعة والنشر، الجزائر، 1908، ص 144

² مجّد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 23.

³ أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، دط، 2017، ص 38.

⁴ عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، دارحزم، بيروت، لبنان، دط، 2002، ص 220.

⁵ عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص 220.

⁶ عبد المنعم الهاشمي، المرجع نفسه، ص 221.

ولما كانت البلاد الجزائرية حديثة الاستعراب وكان العصر آنذاك يسوده الاضطراب وعدم الاستقرار، فإنه ومما لا شك فيه أننا لا نرى أدبا ولا أدباء جزائريين إلا ما كان من رجال الدين والفقهاء والدعاة، الذين قدموا لتثقيف سكان البلاد الجزائرية وهم من العرب الداخلين المشاركة، «وأدبهم يتناول في الشعر ما عُرف عنه من أبوابه المختلفة من مدح، رثاء، هجاء، فخر، وحماسة، وفي النثر نجد الرسائل والوعظ الديني والخطب الدينية والسياسية»¹

الفترة الثانية: فترة الرُستمين (160هـ-296هـ) (776م-909م):

تنسب الدولة الرستمية إلى "الإمام عبد الرحمن بن رستم" الذي نشأ في القيروان، «وتلقى العلم والمعرفة على يد علمائها، وفيها اتصل بالدعاة الإباضيين»²، انتقل "الإمام عبد الرحمن بن رستم" إلى البصرة حيث أخذ الفقه الإباضي وتشبع بمبادئه، «واجتهد فيه على يد شيخ الإباضية الفقيه "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة" حتى صار بعدها أحد أقطاب المذهب الإباضي ومن حملوه إلى إفريقيا»³.

وصل ابن رستم إلى جهات الأوراس فنزل بجبل على مقربة من تيارت -الحالية-، «وما إن سمع بهذا الخبر الإباضيون حتى أمّوا عبد الرحمن بن رستم وشدّوا أزره، فقوي حينئذ أمره وشّيد معهم دولة سنة 148هـ (775م) أصبحت قاعدة إمارتهم، التي خضع لسلطانها كل المدن والقرى الواقعة بين الزاب وفاس وسجلماسة»⁴، وسميت هذه المدينة بـ: "تيهات" المعروفة بـ "تقادت" وتربع عبد الرحمن بن رستم على عرش إمارته سنة 160هـ (776م)، وكان حينئذ أول مؤسس لدولة إسلامية جزائرية مستقلة.

الثقافة والأدب في عهد الرستمين:

ازدهرت هذه الدولة وأصبحت "تيهات" العاصمة العلمية للمذهب الخارجي يقصدها الخوارج من جميع الأرجاء، فأضحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، وعرف وقتئذ الجزائريون الثقافة وبرعوا في مناحيها لاسيما الثقافة الدينية، لا لشيء إلا لكون الأئمة الإباضيين كانوا علماء دين وأصحاب مذهب يتطلب منهم الثقافة الواسعة والمتينة، وأن يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد من أجل الدفاع عن آرائهم بالحجة الدامغة والدود عنها بالدليل القاطع، «فتراهم يعقدون مجالس للعلم والتعليم يعلمون الناس في المساجد التفسير والحديث والفقهاء والآداب والعلوم المختلفة، إضافة إلى الرياضيات والتنجيم وعلوم الكلام»⁵.

لقد كان "عبد الرحمن بن رستم" مفسراً، وابنه "عبد الوهاب" برز في العلوم الدينية، كما نبغ "أفلح" في الأدب، وكانت بـ "تيهات" مكتبة كبيرة تدعى "المعصومة" تضم الآلاف من المجلدات، ولما دخل الفاطميون إلى "تيهات" واستولوا عليها سنة 399هـ (911م) أحرقوا تلك المكتبة القيّمة، ولم تبق منها إلا كتب في الرياضيات والصنائع والفنون الدنيوية.

¹ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، دار الطباعة، الجزائر، ج2، 1964، ص46.

² الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات كتاب المشايخ بالمغرب، تح: طلاي إبراهيم، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م، ص11.

³ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، المرجع نفسه، ص12.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص51.

⁵ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، المرجع نفسه، ص33.

لقد نشطت الحركة الثقافية في عهد الرستميين نشاطاً لم تعرفه الجزائر من قبل، وقد شارك فيها أهل القيروان بعلومهم وآدابهم، و«يؤكد ذلك كل من "ابن الصغير" والباروني" في أن "تيهت" كانت تسمى آنذاك بـ "عراق المغرب" أو "بلخ المغرب"¹.

لقد اهتم عبد الرحمان بن رستم ببناء دولة قوية مترامية الأطراف أساسها العلم والمعرفة لذلك فقد أولى عناية كبيرة للعلماء و الأدباء و الفقهاء وقد سار على نمجه من خلفه في الحكم الدولة الرستمية من أبنائه و أحفاده فكانوا علماء و أئمة في الدين وقد بلغ عددهم ثمانية هم كالاتي:

- 1- عبد الرحمان بن رستم (160هـ، 776م)
- 2- عبد الوهاب بن عبد الرحمان (171هـ، 787م)
- 3- أفلح بن عبد الوهاب (190هـ، 805م)
- 4- أبو بكر بن أفلح (240هـ، 854م)
- 5- أبو اليقضان بن أفلح (241هـ، 855م)
- 6- أبو حاتم بن أبي اليقضان (281هـ، 894م)
- 7- يعقوب بن أفلح (282هـ، 895م)
- 8- اليقضان بن أبي اليقضان (294هـ، 906م)

ومما سبق يمكن القول أنّ الأدب في ظل الدولة الرستمية قد ازدهر كثيراً، وقد ظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين الحقيقيين الذين أتقنوا اللغة العربية وعالجوا الشعر فأحسنوا معالجته، بيد أنّ هذا الأخير -الشعر- ظلّ يتّسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة فبدت أساليبه متينة، بحيث لا نجد فيه اختلافاً من حيث الصناعة كما يعرف من شعر المشاركة على ذلك العهد.

وأما الإنشاء - النثر - فهو مرسل مطبوع لا يلتزم فيه سجع ولا يتكلف فيه تشويه، ونلمس فيما ظهر من البوادر الأولى للأدب الجزائري الكثير من الشخصيات البارزة، نقتصر على ذكر من ذاع صيتهم عند أهل العلم أمثال: "ابن الصغير" نبغ في التاريخ، و"ابن قرسين" برع في النحو، وغيرهما كثير نذكر منهم :

1/ الإمام أفلح بن عبد الوهاب (241هـ-281هـ) الذي نبغ في الأدب، كما ساهم في نظم الشعر، فهو يقول في قصيدة يبرز فيها فضائل العلم ومزاياه²:

العلم أبقى لأهل العلم آثاراً	يريك أشخاصهم زوجاً وأبكاراً
حيّ وإن مات ذو علم وذو ورع	ما مات عبداً قضى من ذاك أوطاراً
وذو حياة على جهل ومنقصة	كميت قد ثوى في الرمس أعصاراً

¹ مُجَد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 44.

² سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مراجعة: مُجَد على الصلبي، دار الحكمة، لندن ط 1، ج 2، 2005، ص 190

إلى قوله :

لله حلية أهل العلم إن لهم
 العلم علم كفى بالعلم مكرمة
 فضلًا على الناس غيابًا وحضارًا
 واجهل جهل كفى بالجهل إدارًا
 أشدد إلى العلم رحلاً فوق راحلة
 وجل إلى العلم في الآفاق أسفارًا

2/ بكر بن حماد الزناتي التيهري (200هـ-295هـ) الذي نبغ في الشعر وطرق جميع موضوعاته التقليدية كالرثاء، المدح، الهجاء، والزهد، والوصف وغيرها وقد أجاد فيها جميعاً، و « نشأ بتيهرت وأخذ عن علمائها»¹، هو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي أو التاهري، سافر إلى مناطق مختلفة طلباً للعلم والمعرفة وأخذ العلوم المختلفة على يد الكثير من العلماء والفقهاء أمثال عمرو بن مرزوق وابن الأعرابي وبشر بن حجر و أبي حاتم السجستاني وغيرهم واتصل بشعراء فأخذ منهم أمثال أبي تمام حبيب بن أوس ومسلم بن الوليد وغيرهم، كان عالماً بالحديث ورجاله وشاعراً فصيحاً حافظاً أمّا مذهبه الديني فهو مذهب سني مالكي في الفقه. فهو يقول في قصيدة في الزهد مطلعها²:

زرنا منازل قوم لن يزورونا
 لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم
 الموت أجحف بالدنيا فخرّ بها
 فالآن فابكوا حق البكاء لكم
 ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها
 إنّا لفي غفلة عما يقاسونا
 حلّ الرحيل فما يرجو المقيمونا
 وفعلنا فعل القوم يموتونا
 فالحاملون لعرش الله باكونا
 لو كان جمع فيها كنز قارونا

ويقول في الرثاء³:

بكيت على الأحبة إذ تولوا
 فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا
 فكفى حزنا بأني منك خلوا
 ولم أك آسيا فيئست لما
 فليت الخلق إذ خلقوا أطاعوا
 تسر بأشهر تمضي سراعاً
 ولو أني هلكت بكوا عليا
 وفقدك قد كوى الأكبدا كيا
 و أنك ميت وبقيت حيا
 رميت التراب فوقك من يديا
 وليتك لم تكن يا بكر شيا
 و تطوي في لياليهن طيا

¹ مبارك المليي، تاريخ الجزائر، دار الطباعة، الجزائر، ج2، 1964، ص70

² الباروني، الأزهار الرياضية، دار الحكمة، لندن، ج2، 2005، ص72

³ الباروني، المرجع نفسه، ص72

ويقول في الوصف:¹

و أطرف الشمس بتاهرت	ما أخشن البرد و ريعانه
كأنها تنشر من تحت	تبدو من الغيم إذا ما بدت
يجري بنا الريح على السميت	فنحن منها في بحر بلا لجة
كفرحة الدمى بالسبت	نفرح بالشمس إذا ما بدت

الفترة الثالثة: العبيدية الفاطمية (296هـ-388هـ) (909هـ-996هـ)

تنسب الدولة العبيدية الفاطمية إلى عبيد الله المهدي، «الذي كان رجلاً قويا عالماً يقظاً سياسياً»²، وكان أول من مهدّ للدعوة الشيعية في بلاد المغرب فانضوت الجزائر تحت لوائه، وهكذا أصبحت خاضعة لسلطان الدولة الشيعية الفاطمية، «ولأول مرة يذكر التاريخ أنّ بلاد المغرب كلّها: تونس، الجزائر، والمغرب الأقصى دخلت تحت حكم واحد وإدارة واحدة»³، وقد عرفت الجزائر في هذه الفترة ازدهاراً كبيراً في مختلف العلوم سيما الدينية منها .

الثقافة والأدب في عهد الفاطميين:

كان الفاطميون يهتمون بالفنون، فاعتنوا بالزخرفة، فشيّدوا الكثير من بنايات ولعل أهمها: "المسيلة" التي كانت آنذاك قبلة للثقافة والعلوم يؤمها العلماء والأدباء من كل فجّ وصوب، و«الفضل في ذلك يرجع إلى مؤسسها وواليتها "علي بن حمدون" ثم إلى ابنه "جعفر" الذي عرف بحب العلم وشغفه بالمعرفة وإكرامه للعلماء والشعراء»⁴. اعتنى فقهاء وأدباء السنة بالنثر تارة وبالشعر تارة أخرى، غير أنهم لم يقصدوا من أدبهم هذا الفن، وإنما غرضهم من ذلك هو الوصول إلى الإقناع، وتركوا التعميق والخيال لخصومهم الذين كانوا يتملقون بأدبهم إلى الخليفة، ولعل أهم شاعر برز آنذاك هو "ابن هانئ الأندلسي".

ابن هانئ الأندلسي :

ولد أبو القاسم مُحمَّد بن هانئ بن سعدون الذي يتصل نسبه بحاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، في إشبيلية كان أبوه هانئ من قرى المهديّة بإفريقية، ثم تركها وانتقل إلى الأندلس حيث ولد مُحمَّد في إشبيلية، نشأ ابن هانئ بإشبيلية، وتعلم بها الشعر والأدب، واتصل بحاكم إشبيلية وحظي عنده، ثم اتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة وفي شعر نزعة إسماعيلية بارزة، فأساؤوا القول في ملكهم بسببه، فأشار عليه الحاكم بالغيبة، فترك إشبيلية وعمره 27 عاماً، فرحل إلى المغرب ومدح جوهر الصقلي، ثم ارتحل إلى الزاب إلى جعفر ويحيى ابني علي فأكرماه، ونمي خبره إلى المعز أبي تميم معدّ بن منصور الفاطمي فطلبه منهما، فلما انتهى إليه وأقام عنده في المنصورية بقرب القيروان، فبالغ ابن هانئ في مدحه ولما

¹ الباروني، الأزهار الرياضية، ص73² مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ص504.³ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، دط، 1963، ص26⁴ مُحمَّد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص60.

رحل المعز إلى مصر، طلب منه مرافقته، فاستأذنه العودة إلى المغرب لأخذ عياله، وفي الطريق إلى مصر، قُتل ابن هانيء في برقة في 23 رجب 362 هـ، ومن مؤلفاته كتاب شهير يسمى "ديوان ابن هانيء الأندلسي".

من أشعاره: عندما جاء "ابن هانيء الأندلسي" إلى المغرب مدح "جعفر بن علي" وأكثر من الثناء عليه ومن قوله:¹

وإتّك من معشر طفلهم

يتوّج قبل بلوغ الحلم

ويسمو إلى المجد قبل الفطام

فكيف يكون إذا ما فُطم

فلست أبالسي بأيّ بدأت

بفخري بكم أو بمدحي لكم

وعموماً وما يمكن قوله أنّ الجزائر لا تقل جمالاً ولا ثقافة عن الأندلس آنذاك، لكن البلاد كانت مسرحاً للإضطرابات وأرضاً خصبة للخصومات المذهبية التي شغلت الناس عن الاهتمام بالأدب والتفرغ له، رغم كل هذا فإن الشخصية الأدبية الجزائرية بدت واضحة وبدأت تتميز وتظهر معالمها وستكتمل هذه الشخصية نضجها في الفترات اللاحقة أمام ما تلقاه من تشجيع وتحفيز.

الفترة اربعة: الفترة الصنهاجية (405هـ-547هـ) (1014م-1153م)

تنسب الدولة الصنهاجية إلى صاحبها بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي، الذي تمكن من تحقيق وحدة المغرب العربي على نحو لم يوفق إليه حكام المغرب قبله، وبجلوسه على عرش إفريقية استقل البربر بلدهم تحت راية الإسلام، فكان أول ما فكر فيه "حماد بن بلقين" بعد انتصاره على "زناتة" وبعد قطعه الولاء للفاطميين سنة (405هـ/1014م) هو أن يؤسس عاصمة جديدة لملكه، «فاختار لها موقعا استراتيجياً هاماً بجبل "كياتة"، وعلى مقربة من ميناء "بجاية" ومن المسيلة التي كانت وقتئذ ملتقى طرقات القوافل القادمة من مالي والسودان والذاهبة إلى تيهرت والقيروان من جهة، وإلى الجزائر وتونس ووهران من جهة أخرى وسمّى عاصمته "القلعة"².

الثقافة والأدب في عهد الصنهاجين:

لقد رزق الله الجزائر في عهد الصنهاجين ملوكاً عنوا بالعلم وأهله، فنهضت الثقافة على أيديهم نهضة كبيرة، حيث عهدوا على تأسيس المساجد والمدارس والمعاهد العلمية، توافد إليها العديد من العلماء والحكماء والأطباء وكذلك أهل الفنون الرياضية والهندسية، «هذه الحضارة التي كان لها الفضل في نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا»³. إن هذه الوفرة من أهل العلم لم تعرفها الجزائر من قبل، حتى في أيام بني رستم التي برزت من خلالها الشخصية العلمية الجزائرية، وشهرة الحماديين بتقريبهم للعلماء وورعايتهم للعلم وأهله جلبت للبلاد الكثير من عباقرة تونس والأندلس

¹ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 61.

² محمد الطمار، المرجع نفسه، ص 79.

³ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ج 2، دط، 2008، ص 91.

والشام والحجاز والعراق و صقلية، والعجم أيضاً، فتقاطروا على "القلعة" و"بجاية" وعلى العواصم العلمية الأخرى فاستفاد الشعب من علومهم وثقافتهم اللامعة.

يتراءى لنا مما تقدم أن الوسط الجزائري في هذه الفترة كان يتمتع بمستوى رفيع في جميع مظاهر الحضارة خاصة الثقافة والأدب، « فنبغ في عهد بني حماد علماء كثيرون ومؤلفون متعمقون في مختلف العلوم والفنون»¹، ومن أشهر المثقفين الجزائريين في هذه الفترة:

1/ **المحدث الكبير:** "أبوبكر بن يحيى الوهراني (ت 431هـ)" الذي كان وقتها شيخاً متصرفاً في شتى العلوم، نظراً لما وهبه الله من قوي الحفظ وحسن الفهم، « وكان علم الحديث يغلب عليه»².

2/ **أبو القاسم البسكري (ت 465هـ):** كان أعلم أهل زمانه بعلم القراءات، « متقدماً في النحو والكلام والقراءات»³. وأشهر الشعراء في العهد الصنهاجي والذين ذاع صيتهم في البقاع والأصقاع دون غيرهم وذلك بفضل أشعارهم وتأليفاتهم الأدبية والنقدية هم :

1/ إبراهيم بن علي بن تميم الحصري: كان أديبا لغويا، وشاعرا نا قدا أشهر كتبه هو " زهر الآداب وثمر الألباب "

2/ أبو عبد محمد بن جعفر القزاز كان لغويا وشاعرا وناقدا أشهر كتبه " الضرائر الشعرية " .

3/ عبد الكريم النهشلي شيخ ابن رشيق وكاتب المعز بن باديس الصنهاجي ، كان أديبا وشاعرا وناقدا من أشهر كتبه "الممتع في علم الشعر وعروضه "

4 /أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني كان أديبا وشاعرا وناقدا اشتهر برسالته " مقامة عن الشعراء " و ب ملاحظاته الشعرية مع منافسه ابن الرشيق ويعتبر ثالث رجل في النقد بالقيروان بعد عبد الكريم النهشلي و ابن الرشيق

5/ **أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني" 395 هـ -ت 463 هـ":**

يقال أنه ولد بالمسيلة وتعلم فيها قليلا، ثم ارتحل إلى القيروان سنة 406 هـ. وقيل ولد بالمهدية سنة 390 هـ وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد. وكان أبوه يعمل في المحمدية صائغا، فعلمه أبوه صنعته، وهناك تعلم ابن رشيق الأدب، وفيها قال الشعر، وأراد التزود منه وملاقة أهله، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته، ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها، فانتقل إلى جزيرة صقلية، واقام بمازر إلى أن توفي سنة 456 هـ.

¹ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص111.

² ابن الفرض، تاريخ العلماء بالأندلس، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، مصر ، ط2، ج1، 1989، ص77.

³ عبد الرحمان الجبلاي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، ج2، ط2، 1965، ص244.

لقد بدأ في نظم الشعر قبل أن يبلغ الحلم، ثم غادر مدينته إلى القيروان عام 406هـ، وكانت القيروان في ذلك الوقت عاصمة لدولة بني زيري الصنهاجيين، وتعد بالعلماء والأدباء، فدرس ابن رشيق النحو والشعر واللغة والعروض والأدب والنقد والبلاغة على عدد من نوابغ عصره، من أمثال أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز وأبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير وأبي إسحاق الحصري القيرواني، مدح ابن رشيق حاكم القيروان المعز بن باديس بقصائد حازت إعجابه وكانت سببا في تقريبه له، ثم اتصل برئيس ديوان الإنشاء بالقيروان، أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ومدحه. ألف له كتاب العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه. وقد ولاه علي بن أبي الرجال شؤون الكتابة المتصلة بالجيش. وبقي ابن رشيق في القيروان إلى أن زحفت عليها بعض القبائل العربية القادمة من المشرق فغادرها إلى مدينة المهديّة، حيث أقام فترة في كنف أميرها تميم بن المعز، ولكنه مالبث أن ترك المهديّة إلى جزيرة صقلية، حيث أقام بمدينة مازر إلى أن وافته منيته، ألف ابن رشيق كتباً كثيرة ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها وأشهر مؤلفاته: "كتاب العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه" وهو يقع في جزئين ويحتوي على خلاصة آراء النقاد الذين سبقوه في النقد الأدبي، كما يحتوي على موضوعات أدبية مهمة ومن كتبه المشهورة أيضاً كتاب "قُرَاضَة الذهب في نقد أشعار العرب" و كتاب "نموذج الزمان في شعراء القيروان".

وما يمكن قوله هو أنّ الجزائر خلال هذه الفترة قد عرفت أدباء كثيرين، وأنّ الأدب قد تقدّم تقدّماً محسوساً من حيث الكمّ، أما من حيث الكيف فقد ظل يتسمّ بسمات المدرسة الشرقية المحافظة في معالجة الشعر من حيث موضوعاته وأغراضه، فهو يتناول المدح والهجاء والرثاء والوصف والغزل والزهد والوعظ وفي هذا الميدان يقول "ابن رشيق القيرواني": «والشاعر مأخوذ بكلّ علم، مطلوب بكلّ مكرمة، لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وحساب وخبر وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عمّا سواه، ولأنه قيد للأخبار، وتحديد للآثار، وصاحبه الذي يذم ويحسد، ويهجو ويمدح، ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه فهو على نفسه شاهد وبجته مأخوذ»¹.

أما الإنشاء - النثر - فما لبث أن ارتقى وتأنق الكتاب في إنشائهم شأن المشاركة، «فمالوا إلى السجع والتزيين والتنميق وتقليب الجمل على المعنى الواحد لكن على غير إفساد في الذوق وبدون تغليب الصناعة على الفن»²، فقد جادت أقلامهم بالمقالات العلمية والأدبية والخطب الدينية والسياسية وكذا الرسائل الرسمية الديوانية. إنّ ازدهار الكتابة يرجع إلى عناية بني حماد بالأدب والأدباء، فكانت للكتابة عندهم مكانة مرموقة لا يتقدمها إلا مكانة أمراء الجيش، بحيث كانوا هم العمدة يتناول إنشائهم التهنئات بالنصر وتقليد الوظائف، ومكاتبات الأمراء والملوك.

¹ ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلال، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص196.

² ابن رشيق، المرجع نفسه، ص198.

ومن أشهر من برع في فن النثر والكتابة في العهد الصنهاجي هم :

1/ أبو الحسن علي بن أبي الرجال كان رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية توفي سنة 426هـ بالقيروان
2/ أحمد بن القاسم بن أبي الليث المعروف بابن أبي حديدة التميمي كان كاتباً بديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية توفي سنة 450هـ.

3/ الحسن بن محمد التميمي التاهرتي و يعرف بابن الربيب كان خبيراً باللغة عالماً بالأخبار و الأنساب توفي سنة 420هـ
مما سبق يمكن القول بأن الحياة الثقافية والأدبية في العهد الصنهاجي قد عرفت انتعاشاً كبيراً مقارنة بالعهد التي سبقتها، و أن معالم الحضارة قد ازدهرت وذلك بعد أن استحكم العمران وقويت الصلة بين بلاد المغرب من جهة، وبين بلدان المشرق والأندلس من جهة أخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى الاستقرار النسبي الذي شهدته الحياة عامة على أيام بني زيري الصنهاجيين، مما انعكس إيجاباً على الحياة الأدبية والثقافية فازدهرت آنذاك العلوم، و تطورت الآداب والفنون، ونشطت الحياة العلمية والثقافية والأدبية فبرز الكثير من العلماء وفي مختلف العلوم والمعارف، و نبغ العديد من الأدباء والشعراء والكتّاب و حتى النقاد مما جعلهم يثرون المكتبة العربية بأهمّات الكتب أصبحت اليوم مراجع ينهل منها الباحثون والدارسون ليعضدوا بها أبحاثهم و دراساتهم.

الفترة الخامسة: الفترة الحفصية (627هـ-943هـ) (1229م-1536م):

اتخذ الملوك الحفصيون من تونس قاعدة لمملكتهم، وكانت حكومتهم مستقلة تماماً تحت رعاية سلطانهم، واستطاعت أن تبسط نفوذها على مقاطعتي "قسنطينة" و "بجاية" مع جزء من مقاطعة "وهران"، وكانت العاصمة الحفصية بالجزائر هي "بجاية" ثم انتقلت إلى "قسنطينة"¹.

الثقافة والأدب:

أولى الملوك الحفصيون اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء، مما ساعد على انتشار التعليم بكثرة في المساجد والكتاتيب والمعاهد العلمية، فزخرت المساجد بالعلماء ونبغوا في فنون جمّة لا سيما التفسير والفتاوى، إضافة إلى النحو وفن الكلام، وبهذا فقد ازدهرت الثقافة في هذا العصر، وتطورت حركة التأليف بالجزائر، واشتهر الكثير من العلماء والأدباء في مختلف الفنون نذكر منهم:

1/ عبد الله بن محمد الشريف التلمساني (748هـ-792هـ): كان عالماً فقيهاً وقد « برع في عدة فنون خاصة الفتاوى والأحكام والنوازل »²

2/ محمد بن عمر بن فتوح التلمساني (ت 818هـ): كان عالماً فقيهاً «وقد برع في الفقه»³.

3. /علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن: ولد بتلمسان سنة 871هـ وانتقل إلى فاس سنة 891هـ

¹ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 89.

² محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دار الطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج 1، 1967، ص 374.

³ محمد بن غازي العثماني، روضة هتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط 3، 1999، ص 58.

وقد «كان يلقب بـ "خزانة العلم"»¹ وذلك لكثرة الفنون عنده

الفترة الساسية: الفترة العبد الوادية (633هـ-962هـ) (1235م-1554م)

تنسب هذه الفترة إلى بني عبد الواد، وهم من القبائل الزناتية الرحّل، ومن حلفاء الموحدين ترأسها القائد: "يغمراسن" عندما أعلن الوالي الحفصي استقلاله بتونس، حيث «استقر القائد يغمراسن بـ: تلمسان وضواحيها معلناً بذلك عن مملكته المستقلة التي دامت أكثر من ثلاثة قرون»²، وقد عرفت الجزائر آنذاك تطورا في مجال العلوم والأدب و تنوعا في الفنون.

نظام التعليم وطرقه ومناهجه في هذه الفترة:

لقد أولى السلطان "يغمراسن" عناية كبيرة بالعلم والعلماء وذلك منذ استقرار سلطانه بالمغرب الأوسط، فقد اهتم بنشر الثقافة العلمية والأدبية طيلة فترة حكمه التي دامت سبع وأربعين سنة (47 سنة)، هذه الحقبة الزمنية التي تعدّ من أجي الحقب وأحفل عصور تاريخ المغرب الأوسط رغم ما عرفته من اضطرابات سياسية و حروب متتالية، غير أن السلطان "يغمراسن بن زيان" كان محبا للعلم يقرب إليه العلماء ويكرمهم وكان يشجعهم على التأليف والتدوين، وقد ظهرت فكرة التدريس والتعليم في عهده فكان سبّاقا إلى استقطاب العلماء والفقهاء والأدباء والكتّاب وجلبهم إلى مدينة تلمسان وفتح لهم باب التعليم على مصرعيه، وعلى نهجه سار أبناؤه وأحفاده من بعده أمثال "أبو حمو موسى الأول، وأبوتاشفين عبد الرحمن الأول، وأبو حمو موسى الثاني، وأبوزيان مُجد الثاني" وغيرهم، و بفضل هؤلاء أصبحت تلمسان آنذاك عاصمة علمية يؤمها العلماء من جهة، والطلاب وما أكثرهم من جهة أخرى، وكل ذلك أساسه التعليم «هذا الأخير الذي يعتبر الأساس الحقيقي لكل نهضة ثقافية ولأيّ تقدّم في المجتمع الإنساني»³.

و على هذا الأساس انتشر التعليم في جميع أنحاء الدولة العبد الوادية، و عرفت مناهجه تحسنا ملحوظا في المضامين والأساليب، حيث كانت المناهج التعليمية آنذاك تعتمد في بداية الأمر على تحفيظ القرآن الكريم للأطفال بداية من السنة السابعة إضافة إلى بعض العلوم الدينية علما و عملا من وضوء وصلاة وتشهد وأسماء الشهور العربية والأعجمية، وكذلك يتعلم الطفل أمورا أخرى كالحساب و غيرها التي ترفع من مستوى الطفل العقلي و العلمي، وبالتالي فكان التعليم آنذاك يهدف إلى تنشئة الطفل ديننا و دنيويا، ويزاول في المساجد عبر جميع أنحاء المملكة حتى ظهور المدارس.

أما عن طرق التعليم فقد كانت تختلف حسب طريقة المعلم في التدريس وأيضا حسب طبيعة المادة العلمية المقدمة للطالبو نوعها وكذلك حسب سن الطالب وعمره، لذلك فقد «كانت هناك طريقة التلقين التي تعتمد أساسا على المعلم وتناسب الأطفال صغار السن سيما في تحفيظ القرآن، وطريقه المناقشة والحوار بين المعلم والمتعلمين وذلك بفتح مجامع المتعلمين لمعلمهم في نقاط معينة لم يفهموها وهي الطريقة الأكثر انتشارا، و آخر طريقة وهي الطريقة التي يأخذ فيها المعلم دور المشرف فيقوم بتكليف المتعلمين بالبحث ودراسة المشكلة وتبادل الآراء فيما بينهم ما يمكنهم من الوصول إلى الجواب الذي

¹ مُجد بن غازي العثماني، روضة المتون في أخبار مكناسة الزيتون، ص 63

² مُجد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 107

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر العام، ص 313

يرتضونه جميعا ويرتضيه الأستاذ، والغرض من ذلك هو ترويضهم على الجدل والمناظرة وغرس حب البحث والاطلاع في نفوسهم»¹.

مراحل التعليم :

كان التعليم آنذاك يمر بثلاث مراحل هي:

1/ المرحلة الأولى :

تعد مرحلة الابتدائي حيث يتعلم فيها الطفل صاحب السبع سنوات مبادئ القراءة والكتابات و يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم و بعض امور الدين كالوضوء و الصلاة وغيرها .

2/ المرحلة الثانية :

يبدأ التلميذ في هذه المرحلة بدراسة مجموعة من المواد مثل : اللغة والنحو، والأدب ، والفقه والحديث والحساب التي من خلالها يكتسب معلومات غزيرة تمكنه من بلوغ مستوى ثقافي كبير على إثره يستطيع توظيف ما درسه في حياته اليومية.

3 المرحلة الثالثة :

تسمى هذه المرحلة بمرحلة التعليم العالي، حيث يصل إليها الطلاب الأكثر اجتهادا وتفوقا والذين تظهر عليهم علامات النبوغ والذكاء والتميز، فيكونون بذلك قد تحطوا المراحل الأولى بنجاح فائق وبرضا من أساتذتهم وتركيب منهم « وفي هذه المرحلة ينتقل الطلاب من بلد إلى آخر في سبيل طلب العلم، ويدرسون فيها علم القرآن علوم الدين والعلوم العقلية والنقلية وغيرها بمزيد من التعمق والتفاصيل وكان ذلك في المسجد الأعظم بتلمسان، حيث كان هذا الأخير جامعة على النمط القديم مثل الزيتونة بتونس ، والقرويين بفاس والأزهر بالقاهرة»².

نظام التعليم:

نظرا لأهمية التعليم في حياة الفرد والمجتمع فقد كانت الدراسة آنذاك منظمة وأساليبها مضبوطة ونظامها دقيق محكم ، حيث كان الأسبوع الدراسي يبدأ من صباح يوم السبت وينتهي مساء يوم الخميس وكان يوم الجمعة عطلة، وكان الأطفال يدرسون القرآن الكريم والعلوم المذكورة والكتابة وفق نظام محدد و منهج متبع كان كما يلي :

أولاً: دراسة القرآن الكريم : تبدأ من وقت مبكر من أول النهار حتى الضحى

ثانيا : يتعلمون الكتابة من الضحى حتى الظهر

ثالثاً: ينصرف التلاميذ إلى بيوتهم للغداء ثم يعودون بعد صلاة الظهر حتى صلاة العصر لدراسة بقية المواد التي نص عليها المنهج كالنحو والعربية والشعر والحساب والتاريخ، وكان هناك أيضا عطل تتاح للتلاميذ حسب الأعراف والمناسبات الدينية.

1 عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974، ص161

2 عبد الحميد حاجيات ، المرجع نفسه ، ص314

الكتب التي كانت تدرّس في العهد الزياني:¹

كانت الكتب التي يدرّسها علماء هذا العصر كثيرة جدا و هي تنقسم إلى كتب تبحث في العلوم النقلية و الأدبية و التاريخية و هي كثيرة، وإلى كتب في العلوم العقلية المحضة و هي قليلة و لكنها موجودة و عليها إقبال، و أشهر هذه الكتب هي:

1/ في القرآن و علومه:

تفسير أبي عطية الأندلسي، و تفسير الثعالبي، والكشاف للزخشري، و لامية الشاطبي في القراءات، و أنوار التنزيل للبيضاوي، وغيرها

2/ في الحديث و الفقه و السيرة:

الصّحاح الستّ، الأحكام لعبد الحق البيجاوي، وموطأ الإمام مالك، التمهيد لأبي عبد البرّ، و المدونة لسحنون، و التهذيب للبرادعي، ورسالة أبي زيد و مختصر أبي الحاجب و مختصر خليل في القرن التاسع و ما بعده، و كتاب السيرة لابن اسحاق، و تهذيب ابن هشام، وكتاب الشفاء للقاضي عياض.

3/ في النحو و اللغة:

مقدمة الجزولي، كتاب سيويه، كتب أبي مالك، كتب ابن هشام، الكافية لأبي الحاجب، و الجمل للزجاجي.

4/ في الأدب و البلاغة:

التلخيص و الإيضاح للقزويني، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، و الحماسة لأبي تمام، و المعلقات السبع، ودواوين مشاهير الشعراء كالمثني و أبي تمام و البحتري و غيرهم، و الأغاني لأبي الفرج، و العمدة لابن الرشيق، وزهرة الأدب للحصري، و غيرها.

5/ في الفلسفة و الرياضيات و الطب:

«الإشارات و التنبهات لابن سينا، والقانون لابن سينا كذلك، و كتب ابن رشد في الطب و الفلسفة، و رسائل إخوان الصفا، و المجسطي في الفلك، و كتب القلصادي»².

كل هذه الكتب وغيرها كان لها الأثر البالغ في نبوغ كمّ هائل من العلماء والأطباء والأدباء والشعراء استطاعوا تسجيل أسمائهم عبر صفحات التاريخ ضمن عظماء الإنسانية، فحقا كانت الجزائر آنذاك على مختلف ربوعها و أنحاءها منارة علمية و قطبا ثقافيا يقصده طلاب العلم و المعرفة من جميع البقاع والأصقاع.

¹د. صالح فركوس، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدولة الزيانية، مديرية النشر لجامعة قلمة، الجزائر، ج1، 2011، ص119

²د. صالح فركوس، المرجع نفسه، ص120

الثقافة والأدب:

لقد كانت الجزائر قبل هذه الفترة تابعة للشرق الإسلامي في حضارتها، وثقافتها، وفنونها، «وأينما رميت بنظرك في قصور القلعة وبجاية، وجدت ما ينطق بأثر الفن الشرقي الأصيل»¹

ولكن وفي هذه الفترة العبد الوادية، أصبحت العلاقة قوية والصلة وطيدة بين الجزائر والأندلس من ذي قبل، والسبب في ذلك هو أن الإسبان قد استولوا على غرناطة سنة 1496م، مما جعل المسلمين يهجرون الأندلس متجهين نحو الجزائر، فدخلوها وانتشروا في حواضرها، وسكنوها واستقروا بها وتعاملوا مع أهلها و كأنهم السكان الأصليون لها، وقد جمعت بينهم روابط كثيرة جعلتهم يتوحدون ويعملون على ازدهار البلاد من جميع النواحي خاصة الأدب والفنون.

لعل أهم منطقة كان لها حظ الأسد من إقبال مسلمي الأندلس عليها هي تلمسان، التي كانت آنذاك منارة علمية لا نظير لها وقبله لشتى العلوم و المعارف يقصدها الطلاب رغبة في العلم و المعرفة ، « لقد كانت تلمسان على صلة متينة بالأندلس، وقد حملوا معهم بالضرورة علومهم وآدابهم وفنونهم، وعمدوا على نشر هذه العلوم والمعارف إلى أبناء المنطقة»²، لقد وجد مسلمو الأندلس عند دخولهم تلمسان الأرض الخصبة لنشر علومهم ومعارفهم في أهلها الذين أقبلوا عليها إقبال الظمان على الماء .

لقد انكب أبناء منطقة تلمسان على نهل هذه العلوم والمعارف من الأندلسيين على شكل حلقات تعليم بالمدارس والمساجد، وبخاصة " المسجد الجامع " هذا المسجد الذي كان رمزاً ثقافياً تعليمياً عربياً إسلامياً منذ عهد سحيق كغيره من المساجد الموزعة في المناطق الجزائرية آنذاك، «مثل مسجد طنبنة وتيهرت وقسنطينة وعنابة وبجاية ووهران ومدينة الجزائر»³ . يُعدّ "المسجد الجامع" بتلمسان وقتئذ منارة يؤمها الطلاب من كل حدبٍ وصوب، ومعهداً للتدريس لا يقل عن جام الزيتونة أو القرويين، ولأول مرة وقعت حركة التعريب في الربوع الجزائرية، «هذه الحركة التي قام بها النازحون تضاهي حركة التعريب في عهد كل من المأمون ببغداد، وزيادة الله بالقيروان، وعبد الرحمن الناصر والحكم بقرطبة»⁴ .

وعليه فإن تلمسان في عهد بني زيان، أصبحت حاضرة من حواضر العلم والسياسة في العالم الإسلامي، ونبغ فيها العديد من الأدباء والشعراء والعلماء، وقد عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهاراً كبيراً، وتطوراً مذهلاً من حيث الكم والكيف.

¹ محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص384.

² محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص114.

³ محمد الطمار، المرجع نفسه، ص124.

⁴ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص298

لم يكن هذا التطور الذي عرفه الأدب الجزائري آنذاك محض صدفة، إنما كان نتيجة عدة عوامل من شأنها أن دفعت به قدماً نحو التآلق والقوة، ومن أهمها:

● اهتمام الملوك والأمراء بالعلم والعلماء وبالآداب والأدباء والشعراء « حيث جعل الله للبلاد ملوكاً من الأدباء والعلماء والشعراء سعوا حثيثاً في تنشيط الحركة العلمية والأدبية»¹، فقربوا إليهم أهل العلم والآداب، وأغدقوا عليهم الأموال وأحاطوهم بالرعاية والاهتمام.

لقد أصبح البلاط الزياني زاخراً بالأدباء، « فكان منهم الكُتّاب الخبراء، والشعراء الساسون للدولة، ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها»².

● طبيعة تلمسان الساحرة و مناظرها الخلابة فقد وجد الشعراء الأرض الخصبة لمواهبهم، فطبيعة تلمسان وضواحيها فتانة من شأنها أن تؤثر في مواهبهم وأحاسيسهم، أضف إلى ذلك تلك الأحداث التي ألمت بالمنطقة فقد أثرت على قلوب الناس، لا سيما الشعراء منهم.

هذه العوامل وغيرها قد شحذت قرائح الشعراء، فجاءوا بشعر جيد، تطرقوا فيه إلى جميع الأغراض المعروفة خاصة المدح و الفخر، كما « نلمس من خلاله حبه للوطن، وإعجابهم بطبيعته الساحرة»³.

لقد أنجبت رحم تلمسان شعراء مميزين برعوا في نظم قصائد كالمذهبات في الحسن والجودة وكذا في اللفظ والمعنى، طرقت جميع أغراض الشعر سيما الوصف والمدح، فتراهم يتغنون بجمال تلمسان الساحر للعقول والآخذ للألباب تارة، وتارة أخرى يمدحون ملوك بني زيان في انتصاراتهم وذكر أيامهم الغرّ وصفاتهم النبيلة و يشيدون بأعمالهم وإنجازاتهم العظيمة، وأحياناً كثيرة يمدحون سيد الخلق سيدنا مُحَمَّد ﷺ معددين مناقبه وفضائله خاصة في ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي.

كثيرون هم أولئك الشعراء أبناء مدينة تلمسان لكننا نخص بالذكر ما يلي:

1/ مُحَمَّد بن أبي جمعة التالاسي :

هو الحاج أبو عبد الله بن أبي جمعة التالاسي، ولد بتلمسان وترعرع بين أحضانها، تلقى مبادئ العلوم على يد مشايخها، حفظ القرآن الكريم منذ صغره نشأ في أسرة جلّ أفرادها أطباء فكان الطبيب الخاص للأسرة الحاكمة، لم تذكر كتب التاريخ مولده ولا وفاته غير أنه كان على قيد الحياة بين سنتي 760هـ/767هـ وعلى الرغم من مهارته في الطب فقد كان أديباً مثقفاً و شاعراً مميّزاً خاصة ما كان منه من قصائد في مدح الرسول ﷺ، وكذلك في وصف مدينة تلمسان ما هو إلا دليل قاطع على حبه لوطنه و تعلقه به و في هذا الموضع يقول⁴:

¹ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص299.

² مُحَمَّد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، دار الطباعة والنشر، الجزائر، دط، 1971، ص60.

³ مُحَمَّد التبسي، المرجع نفسه، ص63.

⁴ يحيى بن خلدون، بغية ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص91

سقا الله من صوب الحياة هاطلا وبلا

ربوع تلمسان التي قدرها استعلى

ربوع بها كان الشباب مصاحبي

جررت إلى اللذات في دارها الذيلا

بها شيخنا المشهور في الأرض ذكر

أبو مدين أهلا بها إن بدا أهلا

لها بهجة تزري على كل بلدة

بتاج عليها كالعروس إذا تجلى

2/ عفيف الدين التلمساني :

هو أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن عبد الله بن العابدي الكومي ، المعروف ب : "العفيف التلمساني " ولد سنة 610هـ بمدينة تلمسان كان محبا للعلم ، سافر إلى عدة مناطق طلبا للعلم والمعرفة ، كان أدبيا وشاعرا وكان صوفيا سط نجمه وذاع صيته في العصر الزياتي توفي بدمشق سنة 690هـ و دفن بمقابر الصوفية ومن أشعاره نذكر¹ :

يا قمرا في معجتي لم يزل

مطلعه في الحسن والمغرب

و يا غزلا في فؤادي له

مرعى و من دمعي له مشرب

فن النشر في العهد الزياني:

لقد عرف النشر في الفترة الزيانية ازدهارا و تطورا، ويعود ذلك إلى عدة عوامل تتجلى في:

1/ اهتمام معظم سلاطين الدولة بالنشر ولكونهم كانوا من العلماء والأدباء والشعراء عملوا على مواكبة النشر في ازدهار العلوم والفنون الأخرى فنهضوا بالنشر نهضة فنية كبيرة، وحلوه بخيال فسيح و وشوه بجمال رائع ورصعوه بمعان بليغة وصاغوه بأسلوب جميل، ومن بينهم السلطان يغمراسن، حيث عمل على تشجيع رجال هذا الفن.

¹ عفيف الدين التلمساني الصوفي ، ديوان أبي الربيع ، تحقيق و تقديم : العربي دحوا ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007، ص10

2/ جمال منطقة تلمسان ونظرتها الفاتنة جعلت الكتاب والشعراء يصوغون أسلوبهم بالتشبيهات والاستعارات والعبارات الأنيقة الدقيقة، تتضمن أحياناً آيات قرآنية أو أحاديث نبوية وقد شاع أسلوب السجع والمحسنات البديعة في المراسلات والمكاتبات والخطب مما أدى إلى تميز أدب الأدباء بالقوة والجزالة واللغة السليمة.

3/ رحلة المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب وتأثير فن النثر الجزائري بالفن الأندلسي، وعلى الرغم من ذلك لم يفقد شخصيته وأصالته المغربية وما تتميز به من ميزات.

4/ استعمال الأدباء والكتاب لفظ رسالة، كما استعملوا مصطلح كتاب مطابقاً للرسالة في مكاتباتهم الرسمية والخاصة، وهذه الأخيرة هي التي يجرها الكاتب بأسلوب رائع ومعان بليغة في غرض من الأغراض ويوجهها إلى شخص آخر.

وقد عرف فن النثر مجموعة من الباحثين أشهرهم " ابن خلدون" حيث يرى: « أن النثر » هو الكلام الغير الموزون ومن النثر نجد السجع، الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً و لا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء»¹

أما النثر فقد اعتنى به الأدباء عناية كثيرة، وأضافوا إليه الخيال الواسع الذي يلائم المجال الإقليمي، وزينوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارات الأنيقة الرنانة شأهم في ذلك شأن المشاركة والأندلسيين، كما وظفوا السجع « واشتمل النثر عندهم كل مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية، وإلى جانب النثر الفني كان هناك نثر مرسل نلمسه في الأسلوب العلمي، والكتابة التاريخية»².

خصائص النثر في العهد الزياني :

لقد عرفت رقعة دولة بني عبدا الواد الزيانية اتساعاً كبيراً آنذاك، إضافة إلى التقسيم الذي أحدثه سلاطينها وضرورة التواصل مع الدولة القائمة، الأمر الذي جعل البحث عن وسيلة للتواصل ضرورة حتمية يجب إيجادها ضمن أجهزة الدولة واسعة المساحة ، وعلى هذا الأساس عمد السلاطين على استحداث خطة الكتابة وكان أولهم هو السلطان " يغمراسن" ، حيث ظهرت في عهده الرسائل وكانت منها الرسائل الفنية التي كانت متداولة بين السلاطين والأمراء والأدباء ، والتي نذكر منها ما يلي :

¹ ابن خلدون ، المقدمة ، دار العودة ، بيروت، لبنان ، ج1، 1981، ص470

² محمد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، ص64.

1/ الرسائل الديوانية :

هي الرسائل التي تتضمن ديوان بني زيان فهي تختص بأمور الدولة وهي في حد ذاتها تختص بمصالح الأمة وشؤون الرعية والشعب ، وتنقسم الرسائل الديوانية إلى قسمين « يكون الأوّل موضوعه إداري يعتني بشؤون الدولة الخاصة ، والثاني أدبي خالص يستوجب فيه استخدام القواعد الفنية و ما يتعين من أساليب البلاغة والبيان لانتقاء فصيح الألفاظ بما يوافق مقتضى الحال »¹.

ولا يتسنى لأيّ أحد كتابة مثل هذه الرسائل إنما يجب على كاتب هذه الرسائل أن تتوفر فيه شروط هي :

1/ يجب على الكاتب أن يكون حافظا للقرآن الكريم كلّه أو جزء منه ، واسع الاطلاع على السنه النبوية وعلى الأخبار والتواريخ والسير.

2/ أن يكون الكاتب حافظا للكثير من الرسائل وماهرا في نظم الشعر وقادرا على الخطابة .

3/ يجب أن يكون الكاتب ملما بالعلوم اللسانية وبالبلاغة.

4/ يجب أن يكون الكاتب السر موفيا لغرض السلطان و مقصده ، فصيح اللسان ، جريئ الجنان ، بليغ البيان عارفا بالأدب سالكا طرق الصواب ، بارع الخط حسن الضبط عالما بالحل والربط ، كاتما الأسرار.

5/ يجب أن يكون كاتب السر قوي العزم شريف النفس، نزيها وحسن السيرة والمعشر

6/ ويقول ابن خلدون : « يجب على الكاتب أن يكون كتوما للأسرار، حليما في موضع الحلم، فهيمًا في موضوع الحكم ، مقدما موضوع الإقدام ، مؤثرا للعفاف والعدل والإنصاف ، وافيًا عند الشدائد ، عالما بما يأتي من النوازل ، يضع الأمور موضعها ومنزه عن الدناءة ، ويجب عليه أن يكون غير متكبر وبعيدا عن السخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير أخته »².

¹ مُجَدّ طاهر تواتي ، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع و الثامن الهجريين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 165

² عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، 1981 ، ص 196

2/ الرسائل الرسمية :

وهي الرسائل التي تتضمن مراسيم و وصايا وتوجيهات إدارية يرسلها السلطان الزياني من تلمسان العاصمة إلى الولاية و إلى حكام الأقاليم وأيضا إلى العمال ، و لعل من أهم الرسائل الرسمية ما يلي :

1/ الرسالة الرسمية التي أمر السلطان "يغمر اسن" بكتابتها فقام بتحريها أبو بكر بن الخطاب والتي كان مضمونها هو منح المهاجرين الأندلسيين الحق في السكن وكذلك الحق في تملك الأراضي الزراعية.

2/ الرسالة التي بعث بها السلطان أبو حمو موسى الثاني إلى عبد الرحمن بن خلدون وهو يمدّنه بسكرة إلى حكامها من بني مرين يطلب منه جمع القبائل العربية لشنّ هجوم على مدينة بجاية .

كما يندرج نوع آخر من الرسائل ضمن الرسائل الرسمية وهو الرسائل السياسية هذه الأخيرة تكون ذات طابع ديني و تتعلق بالولاء والمبايعة.

3/الرسائل الإخوانية :

وهي الرسائل التي تدور بين الأقارب والأصدقاء، و تدل على روابط الأخوة والصداقة والمودة القوية بين الأفراد، وتشتمل مواضيع هذه الرسائل «عموما على أغراض الوصف والعتاب والمدح والتهنئة والتعزية والتهادي والشوق وغيرها»¹، وقد برع الكثير من كتاب وأدباء تلمسان في إنشاء هذه الرسائل ومنهم :

ابن الخطاب ، مُجّد بن خميس، و ابن هدية ، وابن مرزوق الخطيب ، كما أخذت هذه الرسائل أسماء متباينة منها، الإخوانية أو الأخوية ، والاجتماعية والخاصة والأدبية حيث تدل هذه الأسماء على :

أ/ عبارة الإخوانية أو الأخوية : تدل على روابط الأخوة والصداقة بين الأفراد

ب/ عبارة الاجتماعية : تدل على الخطابات التي تتعلق بالمواضيع الاجتماعية مثل: التهاني والتعزية والعتاب وغيرها، حيث تصف رسائل التعزية حالة النفس وتأثرها والحزن الذي يكتسبها عند سماع وفاة أحد الأقارب أو الأصدقاء أو السلاطين.

¹ المقرئ ، نفع الطيب ، ج6، ص 64

أما رسائل الشوق والتحية فهي تلك الرسائل التي تتضمن الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب و إلى الوطن، فيشكو الكاتب فيها لوع الفراق وأنين الهجر وطول البعاد وحنينه إلى أهله وأحبته وشوقه الدائم إلى وطنه.

وفي ذات السياق نذكر "القصائد النبوية" والتي هي عبارة عن رسائل يوجهها أصحابها مع ركب الحج القاصدين البقاع المقدسة والروضة الشريفة، يرسلونها إلى قبر الرسول ﷺ تشكل رسائل نثرية أو قصائد شعرية تلقى في الروضة الشريفة، ولعل أهمها وأشهرها «نونية» أبي حمو موسى الثاني التي بعث بها إلى البقاع المقدسة وهي قصيدة تهتم بدراسة تاريخ تلمسان وأدبها و التي كانت تخضع في مجملها إلى منهجية محددة حيث تبدأ بافتتاحية تم المضمون وأخيرا الخاتمة»¹

أدباء العصر الزياني :

كثيرون هم أولئك الأدباء الذين بزغ نجمهم وذاع صيتهم في العهد الزياني وبلغوا في فن النثر درجة عالية، وتقربوا به إلى مجالس السلاطين والأمراء الذين قاموا بتشجيعهم ودعمهم ومن بين هؤلاء الكتاب والأدباء نذكر منهم :

1/ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي:

هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المعروف بالحافظ التنسي ولد بمدينة تنس سنة 820هـ، كان كاتباً وأديباً ناثراً متميزاً، تميز أسلوبه بالسجع واختيار الألفاظ المناسبة وصقل العبارات وتهذيبها، ونذكر على سبيل المثال تقديمه للسلطان أبي تاشفين الأول حيث قال: «ثم بويع يوم الوقعة الملك الأرفع، ذوالجناب الأيمن، والهباء الأوسع، والحسام الأقطع، قاصع المبعضين، ومدوخ المارقين، وممهد الأرضيين، وولده أمير المسلمين أبو تاشفين، فاستولى على البدو الحضر، واستخدم ربيعة ومضر، وثاقب عداه شرقاً وغرباً، وناشزهم في محالهم طعنا و ضرباً، و زخرف القصور و الصروح، وأطاب الغبوق والصبوح إلى أن بلغت أيامه أقصى مداها، فعاجلته بمحتوم رداها، وأمكنت معاقله عداها، فكان ممن عاش سعيداً ومات شهيداً»² توفي التنسي في جمادى الأولى سنة 899 هـ.

¹ محمد طاهر تواتي، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع والثامن الهجريين، ص 169

² التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، موفر للنشر، الجزائر، 2011، ص 73

2 / أبوزكرياء يحيى بن محمد بن خلدون :

ولد يحيى بن خلدون بتونس سنة 724 هـ بعد أخيه عبد الرحمن بحوالي سنتين ، ينتمي يحيى بن خلدون إلى أسرة عريقة في العلوم والثقافة وقد شغل بعض أفرادها مناصب سامية في الدولة الحفصية، وتعود أصول أسرة بني خلدون إلى أصل يماي حضرمي أمّا نسبها في الإسلام فيرجع إلى وائل بن حجر الصحابي المعروف الذي باركه الرسول ﷺ عندما أتاه مؤمناً فبسط له رداءه وأجلسه وقال: «اللهم بارك في وائل بن حجر وولده ووالد ولده إلى يوم القيامة»¹.

و في سنة 769 هـ التحق يحيى بن خلدون بالبلاط الزياني وذلك في عهد أبي حمو موسى الثاني الذي عيّنه على ديوان الإنشاء « ولكن سرعان ما ساءت الأوضاع بين بني مرين و بين بني زيان فاضطر يحيى بن خلدون إلى الرحيل إلى البلاط المريني»².

وفي سنة 776 هـ عاد إلى البلاط الزياني وألّف كتاب " بغية الرواد " وقد رحب به أبو حمو موسى الثاني ، وقد نشأ يحيى بن خلدون في جوّ علمي يحمل طابع الجد والاهتمام الكبير بالعلوم الدينية والتفتح على الأدب والشعر مما ساعده على الارتقاء لطبقة الكتاب فقد كان كاتباً يمتاز بثقافة واسعة، وصاحب أسلوب يزخر بالمحسنات البديعية والسجع، إضافة إلى نبوغه في سائر العلوم اللسانية والاجتماعية وخاصة علم التاريخ، « مات مقتولاً سنة 780 هـ بتدبير من الأمير أبي تاشفين وذلك بسبب أنه المسؤول الوحيد على المماطلة في عقد ولاية وهران»³.

أمّا الموشحات « فقد أعجب الجزائريون بهذا الفن منذ أواخر عهد الحماديين»⁴، لذلك فقد نسجوا على منواله لكنه لم ينضج ويكتمل إلا في هذه الفترة، « في الوقت الذي تسرب فيه التصوّف إلى الأدب الجزائري ونشأت المدائح على إثره»⁵.

لقد كان حقل الأدب آنذاك بمملكة تلمسان خصباً وسوقه رائجة، عندما حلّ بها المهاجرون الأندلسيون، و امتزجوا مع سكانها فكان عنصراً للتأثير والتأثر واضحين بينهم مما انعكس على الأدب « فقد تأثر الأدب أيما تأثر دون أن يفقد شخصيته الجزائرية ومالها من خصائص ومميزات»⁶.

¹ عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غرب و شرقاً ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1959 ، ص 09

² عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره، ص175

³ يحيى بن خلدون ، بغية ذكر الملوك ، من بني عبد الواد ، ص43

⁴ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دار الطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، دط، 1967، ص391

⁵ ابن مرين، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص230.

⁶ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص134.

شخصيات كثيرة عرفتها الدولة الزيانية برعت في عدة مجالات، استطاعت بفضل إنجازاتها العظيمة أن تسجل أسماءها بأحرف من ذهب عبر صفحات التاريخ. ذاع صيتها في كل أنحاء المعمورة، كان لها الفضل البالغ والأثر العظيم في تأصيل الأدب الجزائري آنذاك وامتداده إلى ما بعد الفترة الزيانية.

أجل إنها أسماء كثيرة نبغت وبرعت في الفكر والفن، وفي العلم والأدب ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الإمام مُحَمَّد بن عبد المغيلي: (842هـ، ت 909هـ) برع في مجال علوم القرآن والحديث والفقه.

- أبو عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن خميس الحجري التلمساني (650هـ، ت 708هـ).

ولعل أهم شخصية أنجبتها تلمسان، واشتهرت في القرن الثامن هجري (8هـ) بلغت أوجها في الأدب ورُزقت حظاً

وافراً في الشعر وعلم الكلام، هي شخصية أبي عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي المعروف بـ "الثغري التلمساني" هذا

الاسم الذي غفلت عنه أقلام المؤرخين والكتّاب عبر الأزمنة والعصور، أردنا أن نكشف عنه ونعرّف به وبعوامل نبوغه

وتفرده، خاصة بمدى التزامه للمنطق ومحركاته لمن سبقه من الشعراء في هذا الميدان، وإلى أي مدى يكمن تأثيره بهذا

المنطق في بلاغته وتفكيره البلاغي؟، وكيف تمكن الثغري التلمساني من أن يحتل مكانة مرموق بين معاصريه من الشعراء

وهل كان لاعتماده المؤشرات والعوامل المنطقية أثر في بلوغه هذه المكانة؟

وللإجابة عن مثل هذه الانشغالات ارتأيت أن يكون بحثي المتواضع حول إزالة الإبهام عن هذه الفكرة، محاولاً

الكشف عن تلك العوامل والروابط والآليات المنطقية و أثرها في بلاغة الثغري التلمساني، وهذا ما سنراه إن شاء الله فيما

سيأتي من الفصول لهذا العمل المتواضع.

الفصل الأول

في مفهوم المنطق

1. مفهوم المنطق لغة واصطلاحاً
2. الامتداد التاريخي للمنطق
3. علاقة المنطق بالعلوم الأخرى والغاية منه
4. مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً
5. الامتداد التاريخي للحجاج
6. الحجاج اللغوي ، علاقاته، أساليبه، وسائله و آلياته

يعتبر المنطق من العلوم العقلية، التي تحتاج في تعلّمها وتعليمها إلى جهد فكري كبير إضافة إلى أساليب كثيرة من أجل إدراك محتواه وتبليغ حقيقته، وتدريب الذهن على استعمال آلياته واستخدامها، وبما أنّ المنطق الأرسطي (التقليدي) هو الأساس الذي ينطلق منه كل تعليم لمكونات العقل، فقد كان لابدّ من معرفة آلياته واكتساب القدرة على استعمالها والتحكم فيها، وهو أمرٌ يصعب على الكثير من الباحثين المبتدئين لا لشيء إلاّ لكون المنطق من العلوم النظرية من جهة كما يمكن اعتباره من العلوم العملية من جهة أخرى، ولأنه أيضا وإن كان للعقل كالنحو للسان والشعر للخيال فإنّه لابدّ في تحصيله من بذل جهد مضاعف بحيث يكون المسعى الأول هو استحصال مطالبه والمسعى الثاني هو توظيفه في المجالات المختلفة.

إنّ المنطق الأرسطي يقوم على أساس العقل بل هو آلة للمعقولات، الغاية منها تقويم الفكر والتمييز بين الاستدلالات الصحيحة والخاطئة وإقامة البرهان والحجة، لذلك وقبل الولوج إلى موضوع المنطق والحاجة إليه وأهم قضاياها يجب علينا أن نعرض على مفهوم المنطق

أولاً : مفهوم المنطق:

1/ لغة:

« نطق ، ينطق، ناطق، نطقاً: تكلم، والمنطق: الكلام، والمنطيق: البليغ، وكلام كل شيء أي منطقه ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنَ الْمَنَاطِقِ﴾ سورة النمل الآية 16، وتناطق الرجال: تقاولوا، وقولهم: ما له صامت ولا ناطق؛ فالناطق الحيوان، والصامت ما سواه، وقيل الصامت هو الذهب والفضة والجوهر، والناطق الحيوان من الرقيق وغيره؛ سمي ناطقاً لصوته، وصوت كل شيء منطقه ونطقه، والمنطق والمنطقة والنطاق ما شد به وسطه، والنطاق شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به أي تشد به وسطها من ثوب تلبسه فترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند معاناة الأشغال لئلا تأثر في ذيلها، والمنطقة من المعز هي البيضاء موضع النطاق، ونطق الماء الشجرة أي نصفها».¹

« المنطق من نطق ينطق نطقاً، والنطق يطلق على النطق الظاهري وهو التكلم كما في علم اللغة وعلى النطق الباطني وهو إدراك الكليات كما في اصطلاح الفلاسفة، وسمي علم المنطق بالمنطق لأنه يقوي قوة التكلم في الإنسان لأن التكلم عبارة عن بيان ما هو مخزون في الذهن، وكذلك يعصمه عن الخطأ في الفهم وإدراك الكليات».²

والمنطق (*Logic*) « كان بمعنى الكلام ومشتق من الكلمة اليونانية (لوجوس) (*Logos*) بمعنى لبّ الفكر وجوهره».³

«وقد اشتقت كلمة (*Logic*) الإنجليزية أو (*Logique*) الفرنسية من الكلمة اليونانية

(*Logike*) وهذا ما يخص المنطق من ناحية الاشتقاق اللغوي».⁴

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ط1، 2010، ص117-118

² رائد الحيدري، المقرر في توضيح منطق المظفر، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 2001، ص13.

³ علي حسين الجابري، علم المنطق الأصول والمبادئ، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2010، ص17.

⁴ علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2000، ص3.

أمّا من ناحية الاصطلاح فلم يستخدم أرسطو كلمة (المنطق) في مباحثه التي أخذت هذا الاسم فيما بعد « فقد كانت مؤلفاته (الأرغانون) تحت مصطلح (العلم التحليلي) »¹.

أمّا استعمال كلمة المنطق على الأرجح من ابتكار شراح أرسطو وذلك من أجل أن يقابلوا بين (الأرغانون) الأرسطي والجدل (الديالكتيك) عند الرواقيين، « ونجد اللفظ (أي المنطق) عند أندروني كوس الروسي ثم عند شيشرون ثم عند الاسكندر الأفروديسي وجالينوس والكتّاب اليونانيين المتأخرين على العلوم »².

2/ مفهوم المنطق اصطلاحاً:

1-2/ عند أرسطو

لقد سمى أرسطو أعماله المنطقية بالأورغانون أي الآلة وذلك لأن الآلة تدل على أداة القياس مثلها في ذلك مثل الأدوات التي نقيس ونزن بها الأشياء المادية، بينما الآلة المنطقية تستعمل في قياس ووزن المادة الفكرية .

ويقصد بالآلة أيضاً التمييز بين الأحكام والاستنتاجات الذهنية الصحيحة والفاصلة، لذلك فقد جعل أرسطو وأتباعه المنطق آلة في بحث المبادئ العامة للتفكير الصحيح ولتحصيل العلوم كما اعتبروه أول خطوة وأهمها بشكل عام لكل علم .

2-2/ عند العلماء المسلمين:

لقد أطلق العلماء المسلمون أسماء كثيرة على لفظ المنطق منها: الآلة . القانون . المعيار . المحك وغيرها.

المنطق عند بعض العلماء المسلمين فقد سمي « بعلم الميزان لأن به تفصل الحجة عن الشبهة وتعرف الحقائق من المغالط وتصفى المعاني وتنقى الألفاظ، كما أنهم لم يطعنوا فيه بل أجازوا دراسته والخوض فيه لأن المنطق لا يدعو إلى التدين ولا ينهى عنه أي ليس فيه كفر ولا إيمان »³.

¹ علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، ص 4.

² علي سامي النشار، المرجع نفسه ص 4.

³ أبو حيان التوحيدي، رسالة في العلوم، أخبار و دراسة: د عزت أحمد السيد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 1، 2001، ص 291

لقد سماه أبو نصر الفرائي (ت 339هـ) « برئيس العلوم لأنه به يحكم الإنسان على جميع العلوم بالصحة أو الفساد»¹.

أمّا ابن سينا (ت 428هـ) فإنه ينكر هذه الرئاسة للمنطق على العلوم الأخرى بل « بالعكس فهو كالخادم بالنسبة للعلوم باعتباره آلة في تحصيلها وهم نعم العون على إدراك العلوم كلها»².

إن صناعة المنطق عند الفرائي قائمة بنفسها وهي تتقدم سائر الصناعات خاصة التي تستعمل الفكر لذلك وجب على المنطق أن يرأسها، « ولأن هذه الصناعة تكسب الإنسان قوة الفكر وكما له بتعلم إضافة انقيادات الذهن العقلي التي تختلف عن انقيادات الذهن بطريقتي الخطابية والشعر على سبيل المثال»³

أمّا الإمام الغزالي (ت 505هـ) فقد سماه « بالمعيار والمحك لأن فكر الإنسان معرض للزلزل والغلط والضلال، لذلك فقد جعل كل نظر لا يتزن بهذا الميزان ليس في مأمن من الفساد، باعتبار أن الفكر والنظر في العلوم النظرية ليست بالفطرة إنما مبدولة ومطلوبة وبما أن الطالبين لا يحسنون كلهم الطلب ولا يهتدون إلا بإعانة معينة فقد ثبت أن فكر الإنسان لا بد له من ميزان ومعيار لمن أراد تهذيب ذهنه وشحذ قوة فكره»⁴

3/ موضوع المنطق :

يعتبر المنطق من العلوم العقلية وهو يهتم بدراسة طرق انتقال الفكر من المعلومات إلى المجهودات وشرائطها، وإذا كانت المعلومات تتناول الضروريات والنظريات فإن هذه المجهولات تتعلق بالتصورات والتصديقات، وعليه فإن موضوع المنطق هو البحث في التصورات والتصديقات التي مصدرها هو المعلومات، ويحاول المنطق الكشف عن تلك التصورات ومضامينها مصدرا عليها أحكاما انطلاقا من المعلومات وكل ذلك مبنيا على أساس العقل .

وفي هذا المجال يقول فخر الدين الرازي (ت 606هـ) : « و موضوع المنطق المعقولات الثابتة من حيث أنه يمكن ترتيبها إلى تعرف المجهولات»⁵.

¹ حاجي خليفة، كشف الظنون، المطبعة الإسلامية، طهران، ج2، ط3، 1947، ص1862

² فخر الدين الرازي، شرح عيون الحكمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1986، ص48

³ أبو نصر الفرائي، الألفاظ المستعملة في المنطق، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص108

⁴ الغزالي أبو حامد، معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط4، 1983، ص26

⁵ فخر الدين الرازي، المرجع نفسه، ص47

ومعنى هذا أن المنطق عند الرازي يبحث في آليات تحصيل غير الحاصل بشرائط معينة، بحيث لا علم للإنسان بصحتها ولا بوجودها أصلاً إلا عن طريق استخلاصها من معلومات ضرورية أو نظرية .

كما أنه يمكن القول بأن موضوع المنطق هو معرفة القوانين التي بها يمكن اقتناص المجهودات من التصورات والتصديقات، « حيث يقوم الذهن في البداية بتصوير ماهيات الأشياء أو حقائقها ، ثم يليه الحكم عليها جزئياً فيؤدي المعلوم إلى إجلاء المجهول» .¹

و عليه فإن المنطق يتكون من عنصرين يكمل بعضهما البعض ، الأول ما هو ضروري نظري و الثاني ما هو مكتسب فتكون المعرفة بأحوال العنصرين موضوعاً للمنطق ، وبهذا يكون المنطق علماً بمعرفة القوانين التي تفسد الفكر في إصابة الحق .

أما عن كون المنطق علماً أم، لا،؟ فإنّ رؤى المناطق قد اختلفت و تضاربت الآراء في ذلك ، وسبب الاختلاف يرجع أساساً إلى مفهوم العلم نفسه، « فمن ظنّ أنّ المراد بالعلم يكون بحثاً عمّا له وجود في الخارج فالمنطق ليس علماً ، و أمّا من ظنّ أنّ المراد به ما يكون بحثاً عن كل ما له وجود سواء كان في الخارج أم في النفس فالمنطق علم »².

مما سبق يمكن القول أنّ المنطق علم يبحث في ضروب اكتساب المجهودات التصورية والتصديقية، وذلك انطلاقاً من معلومات متقدمة وغرضه هو التمييز بين الصدق و الكذب في الأقوال ، و بين الخير و الشر في الأفعال و بين الحق و الباطل في الاعتقادات، و يفيد في تحصيل العلوم النظرية و العلمية لذلك فقد جعله جلّ الفلاسفة مقدمة ضرورية لكل العلوم .

4/ الحاجة إلى المنطق:

لقد اختلفت وجهات نظر العلماء في مدى حاجة الإنسان إلى المنطق و هم في هذا الاختلاف على ثلاثة مذاهب هي: « الأول: المانع من معرفة المنطق و استعماله كالمشتغلين بالفقه.

الثاني : المجوّز في معرفة المنطق و استعماله و منهم الغزالي

الثالث : المقرّ بالاشتغال به لصاحب القريحة و الفطنة و هم أنصار المنطق »³

¹ فخر الدين الرازي ، شرح عيون الحكمة ، ص48

² فخر الدين الرازي، المرجع نفسه ، ص49

³ أحمد الدمنهوري ، رسالة في المنطق، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص31-32

و هذه بعض الآيات للشيخ الأخضرى يعبر فيها عن حاجة الإنسان للمنطق :

« و بعد فالمنطق للجنان نسبه كالنحو للسان

فيعصم الأفكار عن غيِّ الخطأ و عن دقيق الفهم يكشف الغطا

فهاك من أصوله قواعدا ¹ تجمع من فنونه فوائدا»¹

إن أنصار المنطق يؤكّدون على حاجة الإنسان إلى المنطق و هم يثبتون إعانة المنطق للفكر و حمايته من الخطأ كما تحمي قواعد النحو اللسان من اللحن ، لذلك فقد اعتبر " الفرابي " أنّ غاية صناعة المنطق هي تقويم العقل و تسديده نحو الصواب و الحق ، لأن قوانين المنطق تحفظ فكر الإنسان من الغلط في المعقولات ، وذلك « باعتبار أن فطرة الإنسان تتضمن أشياء معلومة بالبراعة و أخرى تدرك بفعل و تأمل ، فالفكر المدرك بالاستدلال و التأمل لا يستقيم إلاّ بالإستعانة بقوانين المنطق»²

و أمّا من جهل قوانين المنطق فإنه ليس في مأمن من الخطأ و الوقوع في الغلط ، «وربما قد يصيب إنسان ما الحق دون منطق لكنه لم يحصل لديه ذلك عن وعي و بصيرة فذلك أدهى و أّمر، و يكون في حالة أقبح لأنه لا يعلم كيف أصاب و لا من أي جهة أصاب»³

أما عن أولئك الذين يزعمون أن الإنسان ليس بحاجة إلى المنطق فقد رد عليهم الرازي بقوله: « إن معظم الناس يحتاجون إلى المنطق لأن لكل مطلوب أولويات مخصوصة لا بد من وقوعها على شرائط التي هي تحتاج إلى بيان لكي يتمكن العالم بها من إستعلام الجهولات و هذا العالم المستكمل هو المنطق ، بمعنى أن مبدأ الفطرة لا يكتفي الذهن به إذا ما أراد أن يصيب الحق و الصواب»⁴

و لما كان الإنسان في مبدأ الفطرة لا يملك آلات تعنيه في المعقولات ، و لأنه يملك فقط الحواس الظاهرة و الباطنية هذه الأخيرة تدرك الأمور الجزئية و حتى هذه يتوقف الجزم فيها على العقل فإن التصرف فيها يتطلب المنطق .

¹ أحمد الدمنهوري ، رسالة في المنطق، ص 25-26

² أبو نصر الفرابي، إحصاء العلوم، ص 13

³ أبو نصر الفرابي، المرجع نفسه، ص 14

⁴ فخر الدين الرازي، شرح عيون الحكمة، ص 96-97

مما سبق يمكن القول أنّ الإنسان في حاجة دائمة إلى المنطق و القوانين، لأنّه هو العاصم من الوقوع في الخطأ و السبيل الأنجع للوصول إلى الحق و الصواب .

5/ علاقة المنطق بالعلوم الأخرى :

يعدّ المنطق أداة للفهم و الإدراك بما ينتقل الفكر من المعلومات إلى المجهولات و شرائطها، و بفضلها يتمكن العالم من تمييز الصواب عن الخطأ و الحق عن الباطل، و بما أنّ الإشكالية : هل المنطق علم أم لا ؟ ظلت قائمة فقد ترتب عنها إشكالية أخرى تمثلت في علاقة المنطق بالعلوم الأخرى، هذه الأخيرة التي عرفت جدلاً كبيراً منذ عهد أرسطو حيث ظهرت آراء تدعو إلى ضم المنطق إلى علوم أخرى عند شراحه اليونانيين و قد استند أنصار هذا الرأي إلى بسببين هما :

الأول:

يتعلق بمفهوم المنطق نفسه كونه آلة ومقدّمة لكل علم، فهو من هذه الناحية ليس علماً قائماً بذاته إنما هو فرع تابع لواحد من العلوم الأخرى، غير أنهم يختلفون في العلم الذي هو أصل للمنطق، فمنهم من يعتبر ذلك العلم هو الميتافيزيقيا، ومنهم من قال بأنه الرياضيات، ثم توسع المجال في العصر الحديث إلى القول بأنه واحد من العلوم الإنسانية بعد أن استقلت عن الفلسفة .

الثاني:

وباعتبار موضوع المنطق وطبيعته تتضمن البحث في الوجود، فقد رأى الشارحون لمنطق أرسطو أنّ هذا البحث يدخل في صميم الموضوع الواسع للميتافيزيقيا لذلك فقد حاولوا إثبات التطابق بينهما (المنطق والميتافيزيقيا) من حيث المبادئ والأقسام التي يشتركان فيها مثل : قوانين البدهة وكذا مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض، غير أنّ الفلاسفة اختلفوا في أصل هذه المبادئ هل هي منطقية بحتة أم أنّها قوانين ميتافيزيقية ؟

في الحقيقة إنّ مثل هذا الأمر يجري على جميع القوانين المجردة الموجودة قبل كل تفكير، وكذلك على القضايا التي نعرف بها حقيقة الموجودات والمعارف، وعليه فإنّ هناك علوماً ما فتت لها علاقة بالمنطق بوجه من الوجوه كالميتافيزيقيا والرياضيات وعلم النفس وعلم الاجتماع واللغة.

5-1/ المنطق والميتافيزيقيا:

لقد أشرنا إلى بعض شراح أرسطو الذين زعموا أنّ المنطق فرعاً من الميتافيزيقيا، وحجتهم في ذلك أنّ التعريف المنطقي قائم علي أساس ميتافيزيقي لأن الغرض من التعريف المنطقي هو الوصول إلى ماهية الشيء أو مايسمى بالحقيقة الكلية مثل تعريف الإنسان أنه حيوان ناطق فهو تعريف ميتافيزيقي .

كذلك فكرة البرهان المنطقي التي تقوم علي مقدمات ضرورية من أجل إثبات الحقيقة المطلقة، التي نجدها أيضا في البحث الميتافيزيقي فغايتها واحدة، وأما من يرفض هذا الترابط بين المنطق والميتافيزيقيا، فإنهم قد جعلوا الحد اسما لا يدل على ماهية الشيء، كما هو الحال عند أرسطو، وقد رفضوا أيضا أن يكون القياس على صورة واحدة، حيث جعلوا صورته متعددة منها الأقيسة الشرطية، ولكنهم قد وقعوا في أحضان الميتافيزيقيا لما جعلوا غاية هذا التنوع في الأقيسة إثباتا للحقيقة المطلقة التي هي اسمى ماينبغي للعقل البشري أن يعرفه .

هذا وأما في العصور الوسطى فقد رفض مفكرو المسيحية ربط المنطق بالميتافيزيقيا، لأن البحث في الإلهيات لا يصح بطريقة المنطق خاصة البحث في البرهان باعتباره يدفع لمعرفة الحقيقة المطلقة للموجودات، ولكنّ بعضهم من المتأخرين الذين تأثروا بالفلاسفة المسلمين كأبحاث توما الإكويتي التي نجد فيها استخدام المسائل المنطقية في علم اللاهوت من أجل تفسير الوجود.

وأما المسلمون عموما فقد هاجموا النزعة المنطقية في العلم الإلهي، كالفقهاء وبعض المتكلمين بدعوى أنها نزعة تؤدي إلى البحث في ذات الله تعالى وهذا الأمر حسبهم يؤدي إلى الشُّرك ، لأن العلم بذات الله تعالى توقيفي لا عقلي ، لذلك رفضوا فكرة القياس البرهاني ومبدأ العلية ، فأسسوا للنزعة التجريبية بدلا من المنطق الأرسطي من أجل التوافق مع الشريعة الإسلامية التي تقوم على آليات تجريبية .

لكنهم لما قبلوا المنطق وتبين لهم أنه يعين على ازدهار التشريع، فجعلوه عمدة يجب معرفته قبل التعمق في جميع علوم الشريعة ، وبالنسبة للعقيدة فهو يدفع العقل إلى أقصى مداه حتى يظهر عجزه بعدم الإحاطة بالحقائق المطلقة .

هذا وأما في العصر الحديث فقد هاجم فلاسفة عصر النهضة الأوروبية المنطق الأرسطي بسبب ارتباط بعض قضاياها بالبعد الميتافيزيقي ، أو لأسباب أخرى مثل محاولة الإثبات بمنطق جديد كزعم ديكارت Descartes وبيكون Bacon وغيرها ، وقد اعتبروا أنّ المنطق الأرسطي كان سببا في تأخر العقل البشري، خاصة لما حصر الاستدلال وحقيقته في القياس البرهاني والبحث عن الحقائق الكلية، لذلك حاولوا إقامة مناهج جديدة للفكر.

وأما أصحاب النزعة التجريبية أمثال هيوم Hume وجون ستيوارت مل J.S.Mill فمعارضتهم لأرسطو معروفة، وكذلك أصحاب النزعات في العلوم الإنسانية والاجتماعية فقد رفضوا رفضا باتا العلاقة بين المنطق والميتافيزيقيا، لأنّ الإنسان في العصر الحديث حسب زعمهم لا يحتاج إلى البحث في قضايا الميتافيزيقيا، فالعلم يجيب عن جميع المشاكل ، و أمّا المنطق عندهم فهو عبارة عن منهج من المناهج للبحث لا أكثر ولا أقل .

و مع ذلك فقد ظهرت حركة أنصار المنطق الأرسطي لترد على هؤلاء الخصوم و لتبين حقيقة أمره ، كما ظهرت حركات أخرى منطقية لا تعارض ارسطو كلية مثل هيجل Hejel الذي وضع المنطق الجدلي و اعتبره علما مثاليا و قد عرفه : « إنّ الفكر هو وحده القادر على أن يجعلنا على اتصال بالحق و بالموجود الأسمى و هذا رد صريح على من يرفض علاقة المنطق بالميتافيزيقيا »¹

ثم يشرح هيجل ذلك « بأن المنطق لا تتعلمه من أجل غاية معينة ننتفع بها ، بل هو مطلوب لذاته لأن الجزئيات لا تدرك إلّا بعد المعرفة أو العلم بالكليات ، التي هي حقائق مطلقة وهنا تلتقي الفلسفة بالدين ، أي في موضوع البحث والغاية المبحوث عنها »².

لقد كان اختلاف النزعات في العصر الحديث دليلا على تنوع الفكر والإستقصاء في علاقة المنطق بالميتافيزيقيا خاصة لما استقلت العلوم الأنسانية عن الفلسفة ، « وزعم أصحاب النزعات الوضعية والتجريبية والمادية أنّ موضوع الفلسفة انحصر في هذا العصر في نظرية المعرفة والمنطق والميتافيزيقيا ، بما أنّ البحث في نظرية المعرفة لم يعد مجديا لأن مصدرها أصبح الآن معلوما وهو التجريب، وأما المنطق فهو فرع حسب زعمهم في واحد من تلك العلوم »³.

¹ هيجل ، موسوعة العلوم الفلسفية ، ج1، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، 1983ص84

² هيجل ، المرجع نفسه ، ص91

³ د رشيد قوقام ، أسس المنطق الصوري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط ، 2008، ص36

وأما الميتافيزيقا « فقد كان الناس في حاجة إليها قديما حينما كان الإنسان ضعيفا، أي كان عقله في الماضي غير البعيد قاصرا ، وهو الآن أصبح ناضجا وقادرا على إدراك قوانين الظواهر الطبيعية بمعنى بلغ أشده »¹.

مما سبق يمكن القول بأن المنطق و الميتافيزيقيا وجهان لعملة واحدة كونهما يخرجان من رحم واحد ويسعيان في البحث في الحقائق والموجودات للوصول إلى حقائق ثابتة يمكن اعتبارها نظريات ينطلق منها الباحثون ويستندون إليها في استنباط الأحكام خاصة في العلوم التجريدية.

5-2/ المنطق والرياضيات :

لقد زعم أنصار الرياضيات أن المنطق فرع منها لأنه يحتاج إلى مبادئها كالبديهيات والنظريات كما يحتاج إليها أيضا في البرهنة ، مثل مبدأ عدم التناقض بين النتائج والمقدمات ، واستدلوا بتطور المنطق نفسه على أنه فرع من الرياضيات ، لأنه كان صوريا فصار رياضيا باستخدام الرموز الرياضية في التفسير عن الثوابت المنطقية أو المتغيرات ، كما يستخدم التعريفات إلى جانب البديهيات والمسلمات ، كقضايا أولوية غير مبرهنة في أول الاستدلال .

بالفعل كانت الصلة بين المنطق والرياضيات قديمة فكلاهما نشأ في بلاد اليونان ، وقد أخذ أرسطو فكرة البرهنة على أنها تقوم على القضايا العامة الضرورية والمطلقة ، وجعل منطق الاستدلال من البديهيات والمسلمات والتعريفات ، كما أن إقليدس استفاد من الأصول نفسها وجعل التعريفات مبدأ أساسيا في البرهان العلمي .

ولما اتهم المنطق الأرسطي في العصر الحديث بالعقم بسبب اعتماده على صدق القضايا الكلية في إثبات القضايا الجزئية وقد جاءت هذه التهمة من ديكرت Descartes ثم من لايبنيز Leibniz حيث قام هؤلاء بمحاولة تعديل نظرية التصورات والتصديقات بالطرق الرياضية، الأمر الذي أوحى إلى من جاء بعدهم بأن المنطق فرع من الرياضيات خاصة عندما وجدوا أنهما يقومان على نسق واحد، أي كلاهما آلي وصوري ومجرد.

¹ د رشيد قوقام ، أسس المنطق الصوري ، ص36

3-5/ المنطق وعلم النفس :

لما استقل علم النفس عن الفلسفة فزعم السيكولوجيين أن المنطق فرع من علم النفس لأن قضايا المنطق عبارة عن عمليات فكرية، والفكر موضوع من موضوعات علم النفس، كما أن الارتباطات العلية بين عمليات التفكير والأحداث النفسية قوية، لذلك اعتبروا أن المفاهيم المنطقية كثيرة ترجع إلى الحالات النفسية مثل اليقين والقوانين المنطقية الكلية والمجردة، وهي حاصلة عندهم من تعميمات الخبرات النفسية.

لكن تلك المزاعم لا أساس لها من الصحة لأن موضوع المنطق ليس جزءاً من موضوع علم النفس، باعتباره يتعلق بالتفكير الصحيح فقط، بينما علم النفس له عناية بأنواع مختلفة، وينظر إليها كمظاهر نفسانية فحسب، ليست صادرة عن العقل.

وإذا تأملنا جيداً هذا الفرق فإننا نجد أنه يشبه الفرق بين الواقع والمثال، مادام علم النفس مثل باقي العلوم يقوم على وصف الأحوال النفسية، ثم يفسرها بقوانين الترابط بين الأحداث، لأن الأحداث النفسية تتعاقب في الزمان، وهذا التعاقب يكون خالياً من مبدأ العلية، بينما التفكير العقلي المنطقي أكثره لا تتعلق له بالزمان، كما أن المنطق لا يوصف ولا يفسر شيئاً محددًا واقعياً وزمناً ومبدأ العلة فيه قائم على الضرورة لا مجرد الترابط وغايته عموماً التمييز بين الصواب والخطأ، وهذا ما يدخل ضمن اهتمامات علم النفس.

4-5/ المنطق وعلم الاجتماع :

لما استقلت علوم كثيرة عن الفلسفة، منها علم الاجتماع، فزعم علماء الاجتماع أن موضوع الفلسفة اقتسمته العلوم الجديدة وكان المنطق من نصيب علم الاجتماع، لأن قضايا من قضايا الحيات الاجتماعية ذلك أن الفرد في حد ذاته لا يستطيع اكتساب معاشه بنفسه بل هو في حاجة إلى الجماعة وهذه الجماعة عبر التاريخ هي التي أنتجت الحاجات المادية كما أنتجت العادات الفكرية، بمعنى أن قوانين الفكر والمعرفة نشأت من اتحاد عقول الناس عبر الزمن ومن تفاعلهم في الحياة الاجتماعية.

لذلك فإن الحقيقة الفكرية منتوج اجتماعي أي ما اتفقت عليه الجماعة كاللغة وجميع مضامين الفكر مثل فكرة الحق والصواب وغيرها، فهي قضايا اجتماعية ويقول دوركايم

Derkheim : « إن المعاني والمدركات الكلية لا تقوم بحال مامقام الأشياء نفسها ، لأن هذه المعاني حصلت نتيجة بعض التجارب تسعى للتوفيق بين سلوكنا والعالم الخارجي »¹. وهذا القول يعني أن الجماعة هي التي كونت الفكر المنطقي وليس العكس، وبمعنى آخر يعتبر أن قواعد المنطق مكتسبات اجتماعية ولا شيء اسمه العقل الفطري ينتج الفكر المنطقي .

ومن مزاعم هؤلاء الاجتماعيين أنهم يدرسون الظواهر الاجتماعية على أنها (أشياء) حتى تكون قابلة للملاحظة التي هي منطق العلم، لذلك جعلوا هذه الخاصة موجودة في الأفكار التي يكونها الناس عن القيمة وهي عبارة عن انعكاس للمعاملات الاجتماعية .

لكن زعم هؤلاء بأن الحياة الاجتماعية هي التي تصنع العقل والفكر هو قول باطل ؛ لأن الإنسان إنسان بعقله لا بكونه يعيش في جماعة فالحيوانات أيضا تعيش ضمنجماعات و مع ذلك لم يظهر عندها الفكر مع العلم أن جميع الحكماء يتفقون على أن الإنسان يمتاز على الحيوانات الأخرى بالعقل .

وأما مبررات قانون الأحوال الثلاث عند كونت Conte فهي أدلة غير مقنعة لأصحاب العقول، لأنها خالية من سند منطقي ولأن تطور الإنسان من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة فيه نظر، ففي البداية ما المراد بالضعف والقوة وإذا كان الإنسان قد خرج تماما من مرحلة الضعف وانتقل إلى مرحلة القوة أي لم يعد في حاجة إلى الاستعانة بالدنيا والفلسفة حسب كونت Conte فماذا عسانا نقول إزاء ظاهرة عودة البشرية إلى الأخذ بالأديان والفلسفة وتعلق الناس بهما ؟

والحق أن علم الاجتماع علم وضعي ووصفي يبحث في تطور السلوكيات البشرية ،بينما المنطق عقلي يقوم على أفكار فطرية يبحث يقوم بوظيفة مراقبة التفكير وتسديده، فالفرق واضح لايحتاج إلى المزيد من الكلام .

¹ د رشيد قوقام ، أسس المنطق الصوري، ص37

إنّ العلاقة بين المنطق و اللغة قديمة و وثيقة ، لأنّ، أسباب نشأة المنطق ترجع إلى إشكالية التعبير اللغوي ، حيث وضع المنطق من أجل إزالة التلاعب بالألفاظ ، و من المعروف عن الفكر اليوناني أنه عرف فترة تتميز بظاهرة السفسطة ، و كان سقراط SOCRATE أول فيلسوف يتصدى لها حتى قضى نجه ثم جاء أفلاطون platon بمحاولة أخرى لإقناع الناس بفساد المنهج السوفسطائي دون جدوى ، لكنّ أرسطو Aristote انتبه إلى موطن الفساد ، فوضع أداة المنطق التي تكتشف و تفضح التفكير الفاسد ، الذي هو التلاعب بالألفاظ .

الأمر الذي أوحى في ما بعد على أنّ المنطق فرع من اللغة ، أي أن أبحاثه في موضوع اللغة كتقسيم اللفظ إلى مفرد و مركب ، و إلى المرادف و المشترك و المتباين لذلك زعم اللغويون أنّ اللغة وسيلة التعبير الجوهرية عن الفكر، و بما أنّ المنطق يبحث في الفكر كذلك فلا مناص له أن يكون له تعلق باللغة و لا تعبير خارج اللغة ، لأنّ جميع العمليات الفكرية يعبر عنها باللغة.

و لا شك أنّ الصلة بين اللفظ و المعنى أخذها كحجة و ذريعة لإثبات دعواهم خاصة عند السوفسطائية و الرواقية ، فقد اشتهر السوفسطائيون بالتلاعب بالألفاظ ، و أمّا الرواقيون فقسّموا المنطق إلى فنون كالخطابة و الجدل و غيرها ، فإنّ كلام الخطابة متصل و قائم على التأثير اللفظي والمعنى السحري ، و أمّا الجدل ففيه سائل و مجيب ، و هو أحسن طريق للفكر عند الفريقين لهذا نجد سقراط و أفلاطون قد استخدموا منهج الخصوم من أجل تصحيح معاني الألفاظ المتلاعب بها. كذلك كان المسلمون قد رفضوا المنطق في البداية لأنهم اعتقدوا أنّه نحو للغة اليونانية ، لكنّ أنصار المنطق بيّنوا لهم أنّه ليس كذلك و يمكن القول أنّ العلماء المسلمين قد انقسموا إلى ثلاث فرق هي :

* الفرقة الأولى : " النحويون الخالص "

يروون أنّ النحوي لا يحتاج إلى المنطق و أمّا المنطقي فيحتاج إلى النحو لمعرفة حركات الأفعال والأسماء و الحروف لإفادة التعبير .

* الفرقة الثانية : " المنطقيون "

يروون أن المنطقي لا يحتاج إلى النحو لأنه يعتني بالمعاني لا بالألفاظ اللغوية ، و إستدلوا على ذلك بقول الشاعر :

أمرّ على الدّيار ديار ليلي أقبل ذا الجدار و ذا الجدار
وما تلك الدّيار شغفن قلبي ولكنّ حب من سكن الدّيار

هذا يعني أن هناك فرقا شاسعا عند المنطقيين بين اللفظ و المعنى ، كالفرق بين المراد عند الشاعر و الأطلال .

* الفرقة الثالثة : "الفريق الوسط "

كأبي سليمان السجستاني الذي يرى أن المنطقي يهتم بالمعاني ، لكنه في الوقت نفسه لا ينبغي أن يخلّ بالألفاظ ، مع ذلك هناك فرق بين وظيفة النحوي و وظيفة المنطقي ، فالنحوي يرتب الألفاظ حسب ما جرت به عادة القوم أي يرد المعاني إلى ما هو معروف لديهم ، وأمّا المنطقي فإنه يرتب المعنى حسب الحق و الصواب و ما يميله العقل لا العادات الاجتماعية ، لأن المعنى في اللغة يتحدد باللفظ و في المنطق يتحدد بالعقل لذلك قال السجستاني : « النحو منطق عربي ، و المنطق نحو عقلي»¹

هكذا استمر البحث و الاختلاف بين اللغة و المنطق في العصر الحديث فمنهم من جمع بينهم و منهم من فصل ، لكنّ العلاقة بين المنطق و اللغة انقطعت بعد أن تطور المنطق و اتخذ الرمزية الرياضية أداة للتعبير عن قضاياها ، فإن الصورية التي ظهرت من استخدام الأداة الجديدة كانت كافية إلى حد ما لكي نقول أنّ اللغة النموذجية للمنطق ليست اللغة الطبيعية .

6/ الغاية من المنطق :

خلق الله الإنسان مفطورا على التفكير بما منحه من قوة عاقلة مفكرة، ولكنّه مع ذلك نجده كثير الخطأ في أفكاره فيحسب ما ليس بعلة علة و ما ليس بنتيجة لأفكاره نتيجة، و هكذا فهو إذن بحاجة إلى ما يصحح أفكاره و يرشده إلى طريق الاستنتاج الصحيح و يدرّبه على تنظيم أفكاره و تعديلها، و قد ذكروا « أن العلم هو الآداة التي يستعين بها الإنسان على العصمة من الخطأ و ترشده إلى تصحيح أفكاره »².

إنّ علم المنطق لا يعلّم الإنسان التفكير، بل يرشده إلى تصحيح التفكير و ما أعظمها من حاجة!، « فغاية علم المنطق أن يفيد الذهن معرفة التصور و التصديق فحسب أمّا الوسيلة إليهما

¹ د رشيد قوقام ، أسس المنطق الصوري ، ص39

² رائد الحيدري، المقرر في توضيح المنطق المظفر، ص16

و منفعة صناعة المنطق هي وحدها تكسبنا القدرة على تمييز ما تنقاد إليه أذهاننا . فهي مقدمات منها يتوصل إلى معرفة الفرضين المطلوبين و تلك هي صناعة علم المنطق، حيث تكسب بطرائقه الخاصة لا بالفطرة الإنسانية لأن الفطرة الإنسانية غير كافية في ذلك»¹

7/ الأثر المنطقي و الجمالي في البلاغة العربية :

غالباً ما تتداخل المعارف و العلوم فتتبادل التأثير فيما بينها و يغذي بعضها بعضاً، و هذا ما حصل بين المنطق و البلاغة طوال العهد العباسي من خلال انفتاح الثقافة العربية على غيرها من الثقافات الأخرى.

و يتميز هذا التداخل بأنه كان يتبع الفلسفة و المنطق و يصبّ في البلاغة ، و العلة في ذلك هي كون المنطق لا يحتاج لأي علم من العلوم في حين أن العلوم الأخرى بحاجة ماسة إلى المنطق ، مما جعل بعض المناطق ينظرون إليه باعتباره المدخل لكل العلوم ، و في هذا يقول أرسطو : « أنّ المنطق نسق من القواعد التي يمكن أن يتم الاستنباط وفقاً لها، و هذا يعني أن العلوم الأخرى لا بد و أنها تحتاج المنطق كعلم للاستنباط »²

إن هذا التداخل الأحادي الحاصل من أحد الطرفين دون الآخر لا يخص المنطق و البلاغة، وإنما يعم الأدب و النقد و المناهج الأدبية ، و في هذا القرن نجد الفلسفة و العلوم الطبيعية في الغرب قد أثرت في الأدب و النقد و الأبحاث اللغوية، مما أدى إلى ظهور كثير من المناهج كالبنويّة و الأسلوبية و السيميائية، وهو أمر يوضح أنّ الفلسفة و العلم يؤثران في الأدب و ما يتصل به من نقد و مناهج، بل إنهما أكثر من هذا يؤثران في الفنون عامة .

إننا إذا ما عدنا إلى الثقافة العربية وجدنا المنطق قد أثر فيها كثيراً، بحيث أفاد منه علم الكلام و الفلسفة و أفادت منه العلوم الدينية كالأصول و أفاد منه النقد الأدبي في بعض مناهجه، و تتجلى، إضافة هذه العلوم من المنطق في ضبط مناهجها و جعلها قائمة على البحث الدقيق المحكم.

و عند استعراضنا تأثير الفلسفة و فروعها من المنطق و الكلام في البلاغة فإننا نجد أن هذا التأثير كان قويا واسع المدى يشمل جميع مراحل تطورها، فقد نشأت البلاغة في أحضان كثير من العلوم كان المنطق على رأسها ، و الدليل على هذا أنّ أكثر البلاغيين كانوا يتعاطون الفلسفة و من بينهم :

¹ رائد الحيدري، المقرر في توضيح المنطق المظفر، ص16

² د. ماهر عبد القادر مجّد علي، المنطق و مناهج البحث، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، ط1، 1985، ص15

بشير بن المعتمر، والجاحظ، وقدامى بن جعفر، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسكاكي وغيرهم كثير، وقد كان لصلة رجال البلاغة بالفلسفة أكثرها في توجيه الأبحاث البلاغية توجيهها كلامياً فلسفياً، مما جعل بعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البلاغة كانت وديعة في يد المتفلسفين على مرّ العصور، ولتأثير الفلسفة بمنطقها وكلامها في البلاغة صور ومظاهر كثيرة منها: أنّ المتكلمين وضعوا المصطلحات وأمدوا بها البلاغة أثناء نموها وتكوينها، بحيث استفادت من ذلك في وضع أسسها وتدعيمها وجعلها نشاطاً خاصاً قائماً بذاته، ومنها أيضاً ظهور فنون بلاغية على يد الباحثين في الإعجاز وأغلبهم من المتكلمين الذين تمثلوا المنطق واعتمدوا عليه في أبحاثهم الاعتقادية، «ومنها كذلك النزعة الجدلية الحجاجية التي سيطرت على البلاغة ولاسيما عند المتكلمين ومنها الكلام على أوجه الحسن الفلسفي كما نجد في البيان، والكلام على الأسباب والمسببات كما نجد في المجاز المرسل»¹

لقد ازداد تأثير المنطق في البلاغة قوة عند المتأخرين "فالسكاكي" حين ألّف كتابه "مفتاح العلوم" في العلوم الأدبية أورد علوم البلاغة بالبحث المنطقي في الحد والاتدلال وعلل ذلك بأن «تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»²

لقد جعل السكاكي حسب قوله أن معرفة المنطق ضرورية لمن يتعاطى البلاغة فهو عنده عمادها الذي تقوم عليه، ومن ثم تكلم عن البلاغة والمنطق في كتاب واحد.

ونظير هذا التأثير القوي تلك المداخل المنطقية التي ذكرها البلاغيون المتأخرون كتمهيد للبيان، وتنصب على الدلالة وشروطها وأقسامها الوضعية والعقلية، وقد أفضى هذا التأثير إلى ظهور مدرستين في البحث البلاغي نص عليهما أبو هلال العسكري بقوله: «وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتّاب»³

لقد قصد أبو هلال العسكري في هذا النص أن يذكر مدرستين في البحث البلاغي هما: المدرسة الكلامية والمدرسة الأدبية ولكلّ واحدة منهما معالمها وخصائصها: فالمدرسة الكلامية تتميز بالجدل والمناقشة والتحديد اللفظي والعناية بالتعريف الدقيق الصحيح، والحرص على القواعد المحددة مع التقليل من الشواهد الأدبية والاعتماد على المقاييس الفلسفية والقواعد المنطقية

¹ أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1961، ص147

² أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص432

³ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي مجّد البجاوي، ومجّد أبو الفضل إبراهيم، دار الحياء للكتابة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1952، ص9

في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه وردائه، وذلك دون النظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق وتعنى المدرسة الكلامية غالبا باعجاز القرآن الذي هو ملتقى ما بين الأدب والعقائد والفلسفة الإلهية.

أما المدرسة الأدبية فتتميز بالإكثار من الشواهد نثرا وشعرا مع التقليل من التعاريف والقواعد والأقسام، وتعتمد في النقد الأدبي على الذوق الفني والحاسة الجمالية أكثر من اعتمادها على المقاييس الفلسفية وسلامة النظر المنطقي، « وتعنى هذه المدرسة بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيد من الكلام وتربية الذوق النقدي »¹، ومن أعلامها "عبد الله بن المعتز" في كتابه "البديع" حيث نجده يقتصد في التعاريف ويسوق للفن الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الصحابة والشعر القديم والحديث، ومنهم أيضا "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "أسرار البلاغة" حيث تكلم على أساليب البيان وقارن بينها وذكر لها من الشواهد مصحوبة بتحليل جمالي دقيق يزخر بكثير من الاشارات الأسلوبية، ومنهم كذلك "ابن الأثير" في كتابه "المثل السائر" الذي سار فيه على طريقة الأدباء في ذكر الشواهد وتحليلها اعتمادا على الذوق الفني.

ومن أعلام المدرسة الكلامية: "قدامة بن جعفر" في كتابه "نقد الشعر" الذي تظهر فيه الطريقة المنطقية الكلامية جليّة، وذلك عندنا يتحدث "قدامة" عن المديح فينظر إلى مذهب أفلاطون في أصول الفضائل الأربع وأمهاً من "العقل، الشجاعة، العدل، والعفة"، ويرى: « أنّ القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال مصيب، والقاصد إلى مدحهم بغيرها مخطئ »²

ويتجلى تحكيم القواعد الفلسفية في نقد المعاني الشعرية حين يتكلم "قدامة" على الهجاء بالغدر فيقول: « بأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمية والقحة التي هي القوة المميزة »³

¹ أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 136

² قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2007، ص 65-66

³ قدامة بن جعفر، المرجع نفسه، ص 93-94

كما يعتمد "قدامة" على الفلسفة حين يفاضل بين المغالاة وغيرها فيقول: «إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم»¹

والملاحظ أنّ "أبا هلال العسكري" قد نهج في اعتماده المنطق على نهج "قدامة" وإن لم يبالغ مثله حيث أنه ذهب إلى «أن المدح إنما يكون بالفضائل الأربع، وأن الهجاء إنما يكون بعكس تلك الصفات المستحسنة التي تختصها النفس»²

وإذا ما نظرنا في القرون التالية فإننا نجد المدرسة الكلامية قد خطت خطوات بعيدة على يد "السكاكي" الذي جعل البلاغة أبواباً وفصولاً وفرع مسائلها وشقق أقسامها، ووضع لها حدوداً مركزة وقواعد محددة بحيث تغلغل فيها المنطق وأصبحت جلّ مسائلها لا تفهم إلاّ به و من خلاله.

وبالعودة إلى تاريخ البلاغة واستعراض ما كتب فيها إلى عصرنا الحاضر نجد «أنّ المدرسة الكلامية الفلسفية غلبت على البحث البلاغي بحكم سبق الاتصال الكلامي بحياة البلاغة ومواكبته إياها طوال عمرها، وقد أدت هذه الغلبة إلى انفصال البلاغة عن النقد منذ القرن الرابع هجري "4هـ" على يد أبي هلال العسكري»³، بحيث أصبحت متقدمة الوظيفة تسبق الإبداع، فالبلاغي يصنع القواعد والقوانين ويطلب الأديب بتطبيقها والنسج على منوالها، بينما بقي النقد كما كان متأخر الوظيفة يأتي بعد إنشاء الكلام الفني لينظر فيه وفق مقاييس نقدية يقدر بها الكلام لبيان مافيه من محاسن ومساوئ.

وقد أدى انفصال البلاغة عن النقد تحت تأثير الفلسفة وما يدخل تحتها من منطق وكلام إلى ظهور المنهج التقريري في مقابل المنهج الفني التأثري، ويتميز المنهج الأول بأنه منهج عقلي علمي يقوم على التعاريف والتفاسيم، ويصدر عن آراء سابقة في موضوعات الأدب ومعانيه ويحاول أن يخضع لها الشعراء والكتاب، مما جعل بعضهم يمقت هذا النوع من التحكم في الإبداع وفي هذا

¹ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 62

² أبو الهلب العسّين ككتب الصنة عتّين، ص 98

³ يحيى بن دور، للنقد اليننهجي عد العب، دار السلب عم لابة كاشنل، الق هة، مص، 320، ص

يقول الباحثي :¹

كلفتونا حدود منطقكم

في الشعر يغني عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القروح يلهج بال

منطق مانوعه وما سببه

والشعر لمح تكفى إشارته

وليس بالهذر طولت خطبه

أمّا المنهج الثاني فيتميز بأنه فني ذاتي يقوم على تأثير الناقد وعلى القواعد والأصول الفنية لنوع الأثر الأدبي، وهو أصيل في الأدب العربي عرفه النقاد قبل تأثرهم بالفلسفة اليونانية بخلاف الأول.

إن الحديث عن أهم مظاهر التأثير للفلسفة بمنطقها وكلامها في البلاغة يجرنا إلى سؤال يفرضه المقام وهو: هل هذا التداخل أفاد البلاغة أم أنه أضر بها؟

الواقع أن تأثير البلاغة بالفلسفة قد أفادها في بعض المواطن، أفادها من حيث العناية الفائقة التي أولاهها المتكلمون إياها إذ أمدوها بوضع المصطلحات أثناء نشأتها ونموها، مما عجل باتساع أبحاثها وظهور أبوابها واستقلال علومها .

ولكنه في المقابل قد أضر بها حين ضيق ميدانها « وجعل أبحاثها لا تتعدى دائرة الجملة التي رأوها نظيرة القضية»² وهذا واضح في علومها، فالبحت في علم المعاني إنما هو بحث في طرقي الجملة" المسند والمسند إليه" وتوابعها، وكذلك البحث في علم البيان فهو لا يتجاوز دائرة الجملة أو بعض الجمل التي تنزل منزلة الجملة الواحدة كما في التشبيه المركب وكذلك المجاز .

وقد أضر المنطق بالبلاغة أيضا إذ جعلها تنفصل عن النقد، وتعتمد المنهج التقريري وموطن الضرر هنا أن البلاغة أصبحت تعليمية معيارية ترمي بقواعدها وتقنياتها إلى خلق الإبداع، وهو أمر له الضرر الواضح على الأدب لأنه ضد حرية الابتكار، فالذي يتقيد بوصايا المنهج العقلي التقريري لا يصدر عن طبعه ولا ينتج أدبا صحيحا، وأكثر من هذا أن خضوع البلاغة للمنهج التقريري بروحه العلمية التعليمية قد أبعدها عن تلك الاشارات الجمالية التي نجدها عن بعض البلاغيين أمثال: "عبد القاهر الجرجاني".

¹ الباحثي، ديوان الباحثي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج1، 1987، ص 196

² أمين الخولي، مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 165/166

لقد عمد السكاكي إلى كتاب "أسرار البلاغة" وكذا كتاب "دلائل الإعجاز" وجردهما مما يزخران به من تحليل فني وتعليل جمالي ونفسي للأساليب والشواهد وجرى وراء التقاسيم والقواعد، وتبعه في ذلك الخطيب "القزويني" وجميع الشراح، مما جعل البحث البلاغي قاصرا من هذه الناحية وصحّ في هذا ما قاله القدماء في حكمهم الجمل على البلاغة: «بأنها علم لانضج ولا احترق»¹.

ومن أجل أن يصبح البحث البلاغي ناضجا دون إحراقه لا بدّ من جعل ميدانه أكثر سعة وأكثر خصبا، بحيث ينصب إلى جانب الجملة على الأساليب وبين أوجه اختلافها ومزاياها، ويسعى فوق هذا في مجال التشبيه والاستعارة والكناية إلى ما وراء المستوى الدلالي الظاهر بحيث يقف على المستوى الجمالي أو النفسي أو الحضاري أو ما إلى ذلك مما يكمن وراء المعنى الجزئي للصورة، وأيضاً لا بدّ من الرجوع بالبلاغة إلى أحضان النقد بحيث ينظر البلاغي في الإبداع بعد وجوده، ويزاول في تلك النظرة بين الموضوعية والذوق الفني ويتجاوز تحليل الشاهد الواحد إلى تحليل النص بأكمله، بحيث يستخرج ما يزخر به من علاقات ويكشف عن تشابكها وتفاعلها في خلق النص الأدبي، وهذا هو سبيل البلاغة الصحيح.

¹ أمين الخولي، مناهج تجديدي في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 127

8/ أشهر الكتب البلاغية ذات الصبغة المنطقية:

في القرن الرابع هجري "4هـ" نلمس نشاطا مكثفا للكتابات البلاغية و النقدية على نحو ما نرى في عيار الشعر ، والوساطة والموازنة، والصناعتين، أمّا في القرن الخامس هجري "5هـ" نجد كتاب "العمدة" يتصدر قائمة الكتب التي عنت بالبلاغة، وكذا سر الفصاحة والدلائل والأسرار وأشهر الكتب البلاغية المتميزة بالصبغة المنطقية ألّفت بعد "السكاكي" إذا استثنينا "نقد الشعر" و"نقد النثر" فهي إمّا تلخيص لمفتاحه أو شرح له ، أو تلخيص لتلخيص حتى ظهر من سمى هذه المرحلة بمرحلة التلخيصات والشروح ومن هذه الكتب ما يلي :

- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني
- تلخيص مفتاح العلوم للقزويني
- الإيضاح في شرح التلخيص للقزويني
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي
- مختصر التفتازاني لتلخيص الخطيب القزويني
- الجمان أرجوزة لجلال الدين السيوطي
- التنبهات على ما في التبيان من التمويهات لابن عميرة المخزومي

ثانيا : الحجاج اللغوي :

يعتبر الخطاب الطبيعي خطابا لا يخضع لمبادئ الاستنتاج المنطقي أو البرهنة الرياضية ولا حتى للقوانين المنطقية، التي غالباً ما نجدتها في منطق القضايا الأخرى ، لأن ما نراه في الخطاب الطبيعي هو ما نسميه بالحجاج وهو منطق اللغة، وهو على اختلاف كبير و واسع عن المنطق الرياضي أو المنطق الصوري، ويمكن الاختلاف عنهما من حيث طبيعته ومجاله ووظائفه.

يعتبر مصطلح الحجاج من المصطلحات الفكرية القديمة، والتي لها جذور تمتد إلى السفسطائيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد "5 ق.م"، كما أنه يتداخل مع مصطلحات أخرى منها: البرهنة والاستدلال ، أما في عصرنا هذا فيتنازع الحجاج مع علوم شتى ومنها: المنطق ، الفلسفة ، الخطابة ، علم اللغة ، وعلم الاجتماع ، و التداولية و غيرها .

يعد الحجاج من النظريات التي تهتم بها التداولية ، كونه أسلوبا استدلاليا يوظفه المتكلم في خطابه من أجل إقناع المتلقي و التأثير فيه ، وهو بذلك يدافع عن وجهة نظرا أو فكرة معينة مدعومة بحجج قوية ، تؤثر في المستمع أو الطرف الآخر بصورة مباشرة أثناء التواصل الإنساني .

ويعد مصطلح الحجاج ذا جذور عريقة في التاريخ بحيث أول ظهور له كان في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان يهدف إلى جلب الناس و اكتساب أصواتهم و موافقهم بغية الإنخراط في موقف سياسي أو ديني أو فكري معين ، ومن مظاهر الممارسة الحجاجية في الموروث الإغريقي والذي كان في البلاغة اليونانية و يظهر ذلك عند سقراط و أرسطو ، ثم ظهر في الدراسات الغربية المعاصرة عند : " بيرلمان " في أبحاثه التي أطلق عليها عنوان " الأبحاث الجديدة " ، وفي موروثنا العربي الإسلامي تراث حجاجي ضخم يظهر في المؤلفات والمناظرات ، والخطب وفي الشروح والتفاسير وفي كتب العقائد والأصول.

كثيرة هي تلك النظريات الحديثة التي اهتمت بدراسة الحجاج اللغوي مبرزة أهم آلياته وعوامله ومؤثراته و روابطه، ولعل " نظرية الحجاج اللغوي " التي أرسى مبادئها العالم الفرنسي " أوزفالدديكرو " واحدة من تلك النظريات الحجاجية الحديثة، يهدف من خلالها إلى تبيين أن الحجاج أمر طبيعي في اللغة ، فاللغة تحمل في طبيعتها عوامل ومؤثرات و روابط حجاجية ، كما أنها تثبت أن الوظيفة الأساسية للغة هي وظيفة حجاجية و ليست الوظيفة التواصلية الإخبارية .

ولما كانت نظرية الحجاج اللغوي واحدة من اهتمامات التداولية، فإنه جدير بنا أن نقف عند هذين المصطلحين الهامين: "الحجاج والتداولية" في مفهومهما اللغوي والاصطلاحي و أهم نقاط التداخل والتقاطع بينهما.

1/ التداولية :

التداولية علم تواصلية جديد قريب إلى اللسانيات ،و تعتبر التداوليات من المقاربات التي نشأت في أحضان فلسفة اللغة العادية ،تعد التداولية فكرا فلسفيا حيث أن « هذا الفكر الفلسفي الذي نشأ مع رواد الفلسفة والمنطق أمثال " فريج، راسل ،أونسكومبر، بيرلمان ،و ديكرود »¹.

تهتم التداولية بدراسة الامكانيات في استخدام اللغة من قبل المتخاطبين ، وقد ساهم « هانسون من خلال تقسيمه التداولية إلى ثلاث درجات، فكانت كل درجة من تقسيمه تهتم بالسياق، لكن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى »² ، « ويعود الفضل إلى العالم اللساني الإنجليزي "أوستين"، الذي حدد التداولية في قصود اللغة و غاياتها و نيات مستعملها أو مؤولي العلامات ، كما تهتم بدراسة مختلفة الوسائل اللسانية التي يتوافر عليها المتكلم من أجل إيصال الفعل اللغوي »³ مما سبق يمكن القول أن التداولية هي نظرية استعمالية تبنى على دراسة اللغة في توظيفها من طرف الناطقين لها ، كما أنها نظرية تخاطبية تهتم بالتبليغ و التواصل بين الأفراد و الأشخاص ،وهذه الدراسة كانت تمهيدا لظهور نظريات أخرى تعنى بأفعال الكلام و مقاصده و باستعمالات اللغة وكان ذلك على يد " أوستين "،الذي وضع الحجر الأساس لما يعرف بلسانيات التلطف للعالم اللساني "بنفينايس" ،ومن بعده "ديكرود" و "أونسكومبر" اللذان ساهما مساهمة فعالة في تطوير هذا الإتجاه اللغوي و اللساني .

1-1/ التداولية لغة:

التداولية كلمة مشتقة من الفعل " دول " فقد جاء في " لسان العرب " لابن منظور : « وتداولنا الأمر: أي أخذناه بالدول ، وقالوا : دوايك أي مداولة على الأمر ودالت الأيام أي دارت ، والله يداولها بين الناس ، وتداولته الأيدي بمعنى أخذته هذه مرة وهذه مرة »⁴.

¹ عبد السلام اسماعيلي علوي ، ما التداوليات؟ ، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتاب الجديد ، إربد ، الأردن ، ط2 ، 2014 ، ص17

² صابر حباشة ، التداولية و الحجاج ، دار صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2008 ، ص40

³ د.عبد العزيز السراج ، التواصل و الحجاج ، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتاب الجديد ، إربد ، الأردن ، ج 1 ، 2010 ، ص277

⁴ ابن منظور ، لسان العرب ، مج 11، مادة "دول" ، ص 253

وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «إندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان ، ومنه تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض»¹ .

مما سبق يمين القول ان التداولية تحمل في معناها اللغوي معنى الانتقال و التحول .

1-2/ التداولية اصطلاحاً :

التداولية من العلوم اللسانية الحديثة التي تهتم باستعمال اللغة ،إذن فالتداولية هي « علم الاستعمال اللغوي»² ،

حيث تراعي التداولية كل ما يحيط بها كالتكلم و المخاطب ، والزمان و المكان المخصصان للتخاطب ، وكذلك علاقة المتكلم و المخاطب و أيضا المستوى الثقافي لهما ، كل هذه العناصر المشتركة في عملية الخطاب اللغوي « جعلها "رودولف كارناب " قواعد أساسية في لسانيات الخطاب كونها قادرة على حل الكثير من القضايا اللغوية ،التي عجزت عن حلها المناهج السابقة»³

مما سبق نتوصل إلى أن التداولية هي علم يدرس اللغة أثناء التواصل و الاستعمال ،فهي تجمع بين اللغة و السياق لفهم المعنى ، فالمعنى لا يتضح إلا بإشراك جميع عناصر الخطاب اللغوي من متكلم ومخاطب وكلام وسياق وغيرها.

2/ الحجاج:

1-2/ الحجاج لغة:

الحجاج لفظة مأخوذة من كلمة « حج ، يحج ، حجاجا ، الحج بمعنى القصد ، فنقول حج فلان أي قصد وقدم ، وحججت فلانا و اعتمدته أي قصدته ، ورجل محجوج أي مقصود، ويقال أيضا حجج ، حجج و حجة بمعنى البرهان، وقيل:الحجة ما دافع به الخصم»⁴

وجاء عند ابن فارس في مادة "حج":«الحاء و الجيم أصول أربعة ، فالأول القصد ، وكل قصد حج ، و الأصل الآخر :الحجة وهي السنة ،ويمكن أن يجمع هذا إلى الأصل الأول ، لأن الحج في

¹ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح :مُجد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1979 ، ص 314

² مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة : "الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص 15

³ ع الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص 23

⁴ ابن منظور ، لسان العرب ، ص 226

السنة لا يكون إلا مرة واحدة ، والأصل الثالث الحجاج وهو العظم المستدير حول العين ، والأصل الرابع الحججة أي النكوص يقال : حملوا علينا ثم حججوا بمعنى نكصوا ¹»

مما سبق يمكن القول بأن لفظة الحجاج في اللغة تحمل معنى الجدل والتخاصم، وعليه فإن من يدعي صحة رأيه عليه إثبات ذلك بالحجة القوية ، وقد وردت لفظ الحجاج في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها :

• قال الله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾

سورة آل عمران الآية 66

• وقوله تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾

سورة الأنعام الآية 80

• وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾

سورة غافر الآية 47

• وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

سورة الشورى الآية 16

2-2/ الحجاج اصطلاحاً :

كثيرة هي مفاهيم الحجاج في الاصطلاح، وهي مرتبطة أساساً بمجالات استعمال الحجاج و اختلاف مرجعياتها، و إلى تنوع مظاهر الحجاج فهناك مفاهيم فلسفية منطقية و أخرى بلاغية تداولية ، « والحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال ، بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها ²»

ويعرف الحجاج بأنه : « هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له

الاعتراض عليها ³» .

¹ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج2 ، ص29

² أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، تنضيد و إخراج حسين طه ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ص21

³ طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1998 ، ص226

كما يعرف الحجاج بأنه : « هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة و يتجسد عبرها استراتيجية الإقناع »¹

من خلال ما سبق نستنتج أن الحجاج هو تلك القرينة التي تظهر من خلال الأسباب والنتائج ، وهو عملية لغوية يقف فيها المتكلم موقفا معينا أمام المخاطب، يحق له قبوله أو رفضه انطلاقا مما يبذله المتحدث من جهد وما يستعمله من حجج و آليات بغرض إقناع الطرف الآخر ، وعليه و مهما اختلفت مفاهيم الحجاج الاصطلاحية غير أنها كلها تسبح في فلك الخطاب كونه عملية إقناع يقوم بها المتكلم في خطابه للمستمع مستخدما جميع وسائل الإقناع .

3/ أنواع الحجاج:

تعددت رؤى الباحثين حول أنواع الحجاج و تباينت وجهات نظرهم في تحديدها و نذكر منها ما يلي:

3-1 / الحجاج التوجيهي:

من البديهي أنّ للتواصل ثلاثة عناصر هي : "المرسل" المتكلم ، "المرسل إليه" المخاطب أو المتلقي، " و الرسالة." الخطاب"، والتوجيه هنا هو فعل إيصال المتكلم حجته إلى المخاطب ، فقد يهتم و ينشغل المنكلم بأقواله من حيث كيفية و طريقة إلقائها، ولا ينشغل بنفس الاهتمام السابق و بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها وردّ فعله عليها ، فهو بذلك يولي أكثر اهتمامه و أقصى عنايته إلى قصوده و أفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ، إذن فالخطاب التوجيهي « يقصد به إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل »²، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره ، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقائه لها ولا يشتغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها فنجده يولي أقصى اهتمامه قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ، ويمثل لهذا النوع من الحجاج بالأفعال الكلامية التي تفي فقط بالجزء الذي يخص المرسل من الاستدلال، لأنه لم يفترض حجج المرسل إليه إلى هذه اللحظة ، فتصوره عنه مازال ناقصا ويعهد هذا النوع في مستوى أدنى من مستوى الحجج التوجيهي و « ذلك لأن المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه وتنظيم خطابه ، فلا يجرّد من ذاته ذاتا أخرى تمثل المرسل إليه ، في محاولة لتوقع اعتراضاته و استباق حججه ،

¹ ع الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 456

² ع الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع نفسه، ص 470

ليدحضها و يصل إلى إقناعه، و كأن المرسل في هذا العمل لا يقيم وزنا كبيرا للمرسل إليه، كما لا يهيمه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت والنظر بعين الناقد البصير إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه ¹»

3-2 / الحجاج التقويمي :

هو ذلك الحجاج الذي يعتمد فيه المتكلم على توقعه لحجج المرسل إليه المعارضة لحججه في خطابه نحوه، ويقوم الحجاج التقويمي على مراعاة المرسل في خطابه الحجاجي الموجه للمرسل إليه على شيئين اثنين هما: «الهدف المراد تحقيقه ألا وهو الإقناع والتأثير في المخاطب، و الأمر الثاني هو توقع الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه، والتي يضعها في الحسبان أثناء بناء خطابه فيمحصها عند استحضار حججه، و يفندها و يعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها إلا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم» ².

و هناك تقسيم آخر يبنى على أساس النظر في العملية الحجاجية و عناصرها، و يقسم الحجاج إلى ثلاثة أقسام و هذا ما ذهب إليه "طه عبد الرحمان"، هذا الأخير الذي وضع ثلاثة نماذج للحجاج هي كالاتي:

أ/ النموذج الوصلي :

يهتم هذا النموذج بالرسالة أو بالخطاب ذاته بغض النظر عن المرسل و المرسل إليه؛ لأن الغاية منه هو أن يبلغ الخبر إلى المتلقي، و النموذج الوصلي يقوم على «تجريد الحجاج من الفعالية الخطائية بمحو آثار المتكلم و المستمع، و بإظهار المضمرات الخطائية مع الجمود على الخصائص الترتيبية و الصورية للحجاج، مستندا في ذلك إلى نظرية الإعلام حتى تكون نتيجة هذا التجريد تحويل الحجاج إلى بنية دالية مجردة» ³.

¹ ع الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 470

² ع الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 473

³ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 270

ب/ النموذج الإيصالي:

يهتم هذا النموذج بدور المتكلم في إيصال الرسالة إلى المخاطب ، إذن فهو يشغل بدور المتكلم أو المرسل في الفعالية الخطابية ، فيركز أكثر على القصديّة من جهة ارتباطها باللغة ومن جهة أنّها تتكون من عدة طبقات قصديّة متفاوتة ، ويستند المتكلم في هذا النموذج إلى نظرية الأفعال اللغوية ، « فتكون نتيجة هذا الاهتمام البالغ لدى المتكلم هو جعل الحجاج بنية دلالية موجهة ، ويكون الحجاج هنا مركزاً على دور المتكلم في العملية الحجاجية ، ويهتم بمقاصده وما يوفره من طرق تمكنه من إقناع المتلقي »¹.

ج/ النموذج الاتصالي:

يرتكز هذا النموذج على المتكلم والمخاطب معاً ، فهو يجمع بين النوعين السابقين "النموذج الوصلي و النموذج الإيصالي " ، إذن فهذا النموذج أي الاتصالي يشغل بدور المتكلم و المستمع معاً في الفعالية الخطابية ، فيركز على علاقة التفاعل الخطابي بينهما، مبرراً أهمية التفاعل القصدي و الوظيفي و السياقي و دور الممارسة الحية التي تقوم على الأخذ بالمعاني المجازية و القيم الأخلاقية ، مستمداً في ذلك إلى نظرية الحوار و تطويرها ، « وتكون ثمرة هذا الاشتغال المزدوج بالمتكلم و المستمع هي إحياء الحجاج و جعله بنية تداولية ، يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأفعال والتقويم المقترن بالأخلاق »².

من النماذج الحجاجية الثلاثة السابقة نستنتج أن هذا النموذج أي الاتصالي هو الأنسب و الأشمل و الأنجع و الأنفع في مجال التداولية ؛ لأنه يركز على جميع العناصر المكونة للعملية الحجاجية ألا وهي: "المتكلم ، المتلقي ، الخطاب " .

وهناك تقسيم آخر اتخذ من نوع الحجاج للدراسة ، وهذا التقسيم قد اعتمده نزر قليل من الباحثين حيث يرون أن للحجاج ثلاثة أنواع وهي :

¹ طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 271

² طه عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 272

3-3 / الحجاج البلاغي:

هو ذلك الحجاج الذي يعتمد أساسا على البلاغة و أقسامها ويتخذ منها مجالا له ، فيتخذها بأنواعها و أقسامها وأساليبها آلية من الآليات الحجاجية ، وذلك باعتبار أن البلاغة تعتمد و في نفس الوقت تهدف إلى الاستمالة والتأثير في المتلقي ، وذلك « عن طريق الحجاج بالصور البيانية و الأساليب الجمالية ، أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره و مشاعره معا ، حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب »¹

3-4 / الحجاج الفلسفي:

هو ذلك الحجاج الذي يعتمد على الفلسفة و يتخذها بعدا من أبعاده و آلية من آلياته ، فتقاس نجاعته و فاعليته بمقاييس خارجية كالقوة و الضعف و الكفاءة أو عدمها ، وكذلك بمعيار النجاح أو الفشل في الإقناع و التأثير في المتلقي ، ويسعى المتكلم في هذا النوع من الحجاج إلى إقناع المتلقي بفكرته و التأثير فيه حتى تراه يتقبل لطرح المتكلم ، وذلك من خلال الحجج المدرجة في خطابه و أقواله .

3-5 / الحجاج التداولي:

هو ذلك الحجاج الذي يعتمد على العملية التداولية و يجعلها غاية اهتماماته ، كونها تبعث على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب و رصدها فيه ، « ويركز هذا الحجاج على الجانب التداولي في الخطاب ، وذلك بغرض إقناع المخاطب على الرغم من اختلاف الأبعاد التداولية التي تتيح توجيه الخطاب الحجاجي ، والإجابة عن التساؤلات و الإشكالات التي تحيط بالعملية التخاطبية و الحجاجية »².

إذن فالحجاج التداولي يهتم بعلاقة الحجاج بالتداولية و يبرز دور الحجج المدرجة في الخطاب التداولي التي من شأنها إقناع المتلقي والتأثير فيه .

¹ هاجر مدقن ، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان ، مجلة الأثر ، الجزائر ، العدد 5 ، 2005 ، ص 191

² هاجر مدقن ، المرجع نفسه ، ص 191

4/ دوافع الحجاج و دواعيه:

إنّ الغاية المرجوة من الحجاج هي إقناع المتكلم للمتلقّي و التأثير فيه من خلال تقبله لرأيه ، لذلك فالخطاب هو ممارسة كلام بين طرفين أو أكثر قصد إقامة علاقة تخاطبية تتمثل في نقل قول أو الإخبار عن شيء ، وقد تنشأ لإقناع الطرف الآخر و يحمله على ما يتكلم به .

ومن هذا المنطلق يكون للخطاب مقاصد جمّة منها: « قصد التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مرادا مخصوصا من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد ، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شكّ ، و إنّما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدتين التخطابيتين المذكورين قصدتين معرفيين هما : " قصد الادّعاء " و " قصد الاعتراض" ¹ .

يعتبر كل من " قصد الادّعاء " و " قصد الاعتراض" من دوافع الحجاج ودواعيه و بواعثه ، أمّا عن قصد الادّعاء فهو « أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد ، ذلك لأن الخلو من الاعتقاد يجعل الناطق أي المتكلم إمّا ناقلا لقول غيره فلا يلزمه اعتقاده ، وإمّا كاذبا في قوله فيكون عابثا باعتقاد غيره ، ولأنّ الخلو عن الاستعداد للتدليل يجعل المتكلم إمّا متحكما بقوله ، و إمّا مؤمنا بقول غيره فلا يحتاج إلى دليل أو برهان ² .

وأمّا " قصد الاعتراض " فهو « أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون للمتلقّي حق مطالبة المتكلم بالدليل على صحة ما يدعيه، ذلك لأنّ فقدان المتلقّي لهذا الحق يجعله إمّا دائم التسليم لما يدعيه المتكلم ، وإمّا عديم المشاركة في مدار الكلام ³ .

مما سبق نستنتج أنّ المتكلم هو المدّعي و أنّ المستمع أو المتلقّي هو المعترض، هذا الأخير الذي يطلب الدليل و البرهان على ما يقوله المتكلم ، ومن هنا "فالادعاء و الاعتراض" يعمّلان على تكوين سبب للحجاج ، كونهما من دوافع و بواعث الحجاج المقترن بوظيفة طرفي التواصل "المتكلم و المستمع" .

وهناك أيضا دافع آخر يدفع المتكلم إلى ممارسة الحجاج من أجل إقناع المستمع و التأثير فيه ، وقصد حمله على قبول رأيه ألا وهو "الاختلاف" ؛ لأن الحجاج لا يكون على أمر يقيني مؤكّد أو على أمر إلزامي ، وإنّما يكون الحجاج « على أمر مرجح أو ممكن أو على أمر محتمل ،

¹ طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 225

² طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 225

³ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 226

لأن الأدلة المقدمة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، إذ ليس لمسألة ما لها حقائق متعددة و متدرجة أو يكون لها وجه واحد ، إنما على الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى أو أن تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب ¹.

مما سبق نرى أن الاختلاف الذي يعد دافعا للحجاج وبعثا عليه ، إنما هو ذلك الاختلاف بين المتكلم والمستمع في أمور ممكنة و مواضع مرجحة فتكون الغلبة فيها لطرف على الآخر ، ولا يكون الحجاج أبدا قائما على أمور و حقائق ومعارف متفق عليها و مشروعة في المجتمع على اصطلاحيتها ، كونها أمور حقيقة يقينة راسخة كالحقائق الرياضية مثلا .

5/ علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى:

1-5/ علاقة الحجاج بالتداولية واللسانيات :

يعتبر الحجاج على صلة وثيقة بحقول معرفية متعددة وهو على علاقة وطيدة بكل من التداولية و اللسانيات ، وكذلك بالبلاغة و الخطابة و أيضا بالمناظرة ، التي يفترض أنها المؤهلة إلى توظيف الحجاج في أرقى صورة و أبهى معانية .

أما عن علاقة الحجاج بالتداولية و اللسانيات فالحجاج يعتبر ظاهرة متجسدة في الخطاب وبه يتحقق ، فهو متلبس بألبسة لسانية و أسلوبية كون النص الحجاجي نصا لسانيا متميزا عن باقي الأجناس النصية الأخرى ، لذلك فقد « اعتاد اللسانيون النظر إلى الخطاب اللفظي الحجاجي كخطاب يتوفر على خاصيات بنائية و براغماتية تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات سردية ، حكائية ، إخبارية وغيرها ²»

لقد كان بعض الباحثين في علم اللغة يعتقدون أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو نفسه التداولية، وإن لهذا الاعتقاد مصوغاته و مبرراته كون الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقي، أي أن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية ودور التأثير وأهمية الفعالية ، وبالتالي فإن قيمة ومكانه أفعال الذوات متخاطبة وهكذا ينتمي القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات، و بالموازاة مع التناول التداولي للحجاج فإننا نجد المقاربة اللسانية التلغظية للظاهرة الحجاجية ، هذه الأخيرة التي حاولت أن تعالج الحجاج كظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إظهار مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، إضافة

¹ جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، القاهرة ، دط ، 2008 ، ص 106

² ع المهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 470

إلى ذلك وجوب الوقوف عند العوامل والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات أساسية لسانية هامة، تساعد على بناء السلام الحجاجية داخل الأقوال والخطابات.

5-2/ علاقة الحجاج بالبلاغة:

تعتبر نظرية الحجاج التي قام كل من " بيرلمان " و " تيتيكا " بتطويرها من أهم الدراسات التي تعرف ب " بحوث البلاغة المعاصرة "، و هي بحوث تهتم أساسا بأساليب إجراء اللغة وتنويعات الخطاب و مقاماته و بطبائع الناس المعنيين بكل تلفظ معين، هذا الاهتمام المتنوع لأصحاب نظرية الحجاج من خلال بحوثهم النظرية والتطبيقية جعلهم يعتمدون على الكثير من الآليات ضمن حقول معرفية قريبة من البلاغة و اللغة ومجاورة لها، لذلك فإن وجود تداخل معرفي بين الحجاج والبلاغة يبدو جليا. كون العملية الحجاجية تعتمد آليات متعددة يتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المعنيين.

كل هذه التقنيات الجديدة في علاقة المتكلمين بالمخاطبين (السامعين) و بالمقام (الموضع) « تعتبر من نتائج التظافر بين البلاغة والبحوث اللسانية المعاصرة، التي تؤكد على أن اللغة ليست أداة للتواصل فقط إذ فيها تنويع أبعاد الوجود وحقائقه، كما أنها " اللغة " هي الأقدر على استيعاب المناهج الحديثة والاستفادة من بحوثها التقنية في التعبير عن الراهن وربطه بين السابق واللاحق في آن واحد »¹

لقد أكد التطور البلاغي المعاصر هذه الرؤية عند ما أصبحت بلاغة الخطاب تؤدي دورها بصورة مثالية إلى المتلقي، مهما كان نوع النص أو جنسه، « ضمن وجهة النظر الكلاسيكية للبلاغة نجد لها سبعة ملامح أساسية هي :

1/ الإقناع : أي إبداء الاتفاق والتفاهم بين الطرفين

2/ الإعجاب : أي الإغراء، أو التلاعب والتبرير وإظهار القبول

3/ تمرير الرأي بحجة متينة

4/ اقتراح الضمني من خلال الصريح

5/ تأسيس المعنى المجازي وبنائه على المعنى الظاهري

¹ سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط 1، 2004،

6/ استعمال اللغة المجازية والأسلوبية والأدبية

7/ اكتشاف نوايا المتكلم أو الكاتب ومنحها حجمها الذي يليق بها¹

إن التطور الذي حصل في مناهج الدرس اللغوي جعل الدارسين يطورونها بما يناسب الخطابات والنصوص، ومن أهم ما تتقاطع فيه هذه الدراسات المعاصرة هو اعتبار « البلاغة دراسة للخطاب ولتقنيات الإقناع و التلاعب بالذوات، و لتحقيق هذه الأغراض لا بد من حجاج »²

لقد تمكن الباحث " بيرلمان " من جعل تطابق بين البلاغة والحجاج، جاعلا كل مكوناته الأسلوبية الموجودة في رسالة معينة أو خطاب معين هي مستويات معينة من مستويات الحجاج، بما في ذلك التضمين والشواهد والأمثلة حتى السخرية والمفارقة هي عبارة عن حجة في ذاتها، وكذلك الاستعارة إنها استدلال قائم على المقايسة المكثفة، وعليه « فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج بل إنها لتنتمي لبنيتها الخاصة »³.

3-5/ الحجاج والبلاغة والخطابة:

لقد شهد الأدب شعرا كان أم نثرا خلال العقود الأخيرة تطورا ملحوظا وخاصة علم البلاغة التي عرفت انبعاثا واضحا، حيث إضافة الى كونها تبحث في الخصائص الجمالية للنص وإلى العمل على إقناع المتلقي بشتى الوسائل و الآليات البلاغية فهي أيضا أضحت من أكثر المباحث اللسانية دراسة وتعمقا في البحث وسميت على هذا الأساس بـ البلاغة الجديدة « التي تسعى لأن تكون علما واسعا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص عملت اللسانيات والتداولية على إنضاجها »⁴ وترمي البلاغة الحديثة إلى معرفة العلاقة بين عناصر النص الخطابى القائم على المرسل. والمرسل إليه وكذا الرسالة فهي بالضرورة تهدف « إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة و تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم أو تعزز هذا التأيد »⁵.

¹ سالم نجّاد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 177

² سالم نجّاد الأمين طلبة، المرجع نفسه، ص 178

³ سالم نجّاد الأمين طلبة، المرجع نفسه، ص 179

⁴ بدرى فرحات الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الحامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 31

⁵ بدرى فرحات الحربي، المرجع نفسه، ص 32

ويرى الجرجاني : « أن البلاغة هي ذلك الكلام الهادف والمعبر عن مقاصد المتكلم و دواخله»¹ والبلاغة عند معظم الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة قديما كانت تدور معانيها في فلك الإقناع والحمل عليه و على هذا الأساس فإنه يمكن القول بأن القدماء قد نظروا إلى البلاغة نظرة تداولية نفعية في بداية الأمر .

لقد ارتبطت البلاغة بالخطابة ، هذه الأخيرة التي تهدف إلى الإقناع بشتى الوسائل والآليات العامة لاسيما البلاغية منها ، الأمر الذي رفضه "بيرلمان" في نصوصه الخطابية الجديدة لأنه يرى أن البلاغة أو الخطابة القديمة كانت « تهدف قبل كل شيء إلى إقناع الجمهور لذلك فقد بنى أرسطو الخطابة على ثلاثة عناصر هي وسائل الإقناع "البراهين" ، و الأسلوب "البناء اللغوي" ، و ترتيب أجزاء القول »².

نستنتج أن الخطابة عند أرسطو كانت على ارتباط وثيق بالبلاغة لكننا نجد أن هذه النظرة تختلف عند العرب بعض الشيء لأنه قد وجد نوع من التكامل و التقابل بين الخطابة و البلاغة و الشعر، « فالخطابة عندهم هي نوع من القول أمّا البلاغة فهي بعد أسلوبية في ذلك القول ولهذا جاز القول عندهم عن بلاغة الخطاب و استحال القول بالعكس »³.

في حين أن "بيرلمان" و "تيتيكا" قد قربا بين الخطابة و الحجاج و يظهر ذلك في قولهما : « الغاية من تقرينا بين الحجاج و الخطابة أن نلحّ على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع و يسلم و يصادق عاى ما يعرض عليه »⁴.

و يرى كل من بيرلمان و تيتيكا أن الخطابة و الحجاج يختلفان من جهتين هما:

1/ من جهة نوع الجمهور :

حيث أن جمهور الخطابة يتمثل في جماعة مجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب بينما جمهور الحجاج فهو على أنواع إذ يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا كما يمكن أن يكون الحجاج بين شخصين متحاورين أو حتى بين الشخص و نفسه .

¹ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : مُجّد التبجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص47

² العمري محمد ، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الأول نموذجاً ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص20

³ حبيب أعراب ، الحجاج و الإستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري ، عالم الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص108

⁴ حبيب أعراب ، المرجع نفسه ، ص108

2/ من جهة نوع الخطاب :

ينحصر الخطاب في الخطابة على ما هو شفوي أمّا الحجاج فإن الخطاب فيه يحتمل نوعين الشفوي و الكتابي و « في الغالب يكون الخطاب الحجاجي مكتوبا »¹

لقد ركزت البلاغة القديمة على فكرة "المقام" فقد كان العرب قديما يهتمون بها كثيرا في خطاباتهم و ذلك بسبب ارتباطها بالبيان التي بدورها وجدت صدى في الخطابة الجديدة باعتبارها تدل على محورية التلقي ، و « يكون فيها البيان مرتبنا بالإفهام و الإقناع »² .

والبلاغة أيضا مجالها التعبير بأساليبه المختلفة و هو المجال الذي يتخذ منه الحجاج أدواته و تقنياته ليكون بذلك أحد مباحث البلاغة الجديدة و ذلك من خلال استعماله الأساليب و الأدوات و الآليات البلاغية كوسائل إقناعية تدفع بالمتلقي إلى أن يقتنع بالفكرة أو الأفكار التي يعرضها المتكلم و كذا مدى التأثير فيه ، وهي فكرة مشتركة تتقاطع فيها البلاغة القديمة مع الجديدة إذ أنهما تعتبران المتلقي هو محور العملية التواصلية و هدفها أولا و أخيرا هو إقناع المستمع بتوظيف آليات بلاغية مختلفة و مناسبة تتلاءم مع المتلقي من جهة و مع المقام من جهة أخرى.

6/ تاريخ الحجاج :

لقد عرف الحجاج مع العلماء القدامى ، لا لشيء إلا لكونه لصيقا بتاريخ الفلسفة و فن الخطابة، فقد درسه السفسطائيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد "5ق.م" ، وكان يرمي إلى اكتساب مواقف الجمهور و أصواتهم ، و دفعه إلى الإنخراط في موقف سياسي أو ديني أو فكري معين ، و من مظاهر الممارسة الحجاجية في الموروث الإغريقي محاورات " أفلاطون " و مساهمات " بروتاغوراس " و " جورجياس " من خلال تأسيسهما بما يسمى بالخطاب المزدوج (مع/ضد) في معالجة المسائل الفلسفية أو السياسية ، لذلك فقد كان للحجاج حضور واسع في أذهان هؤلاء العلماء و الفلاسفة الغربيين وكانوا بذلك السابقين إلى هذا المجال ، حيث ظهرت على أيديهم النظريات الأولى في الحجاج بين "440-450 ق.م" وكان ذلك جليا

¹ حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج ، كلية الآداب منوبة ، تونس ، دط ، 1994 ، ص 306

² جميل عبد المجيد ، البلاغة والإتصال ، ص 103

في خطاباتهم و مواقفهم المتباينة المبعث والأبعاد خاصة عند اليونانيين على يد كل من "كوراكس" و "تيزياس".

ويستمر الحجاج في التطور عبر الأزمنة و العصور حتى « أضحى الدراسات الحجاجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين حقلاً مستقلاً تجلّى في الأبحاث المتواترة التي اشتغل على بنائها مجموعة من الباحثين منذ الخمسينات »¹

وكان هذا التطور نتيجة الأبحاث المستمرة و الاشتغال المتعدد في مجال الحجاج من قبل الباحثين و العلماء و الفلاسفة من الاتجاه السوري وغير السوري، إضافة إلى أولئك الذين تخصصوا في مجال تحليل الخطاب و رواد الاتجاه التخاطبي و التواصل و درسوا اللغة و تعمقوا فيها ، فكانت شرارة الانطلاق « مع "بيرلمان" و "تيتيكا" في الخطابة الجديدة ، والنموذج التحليلي التدليلي عند "تولمين" والنموذج الاستشكالي عند "ماير".....، وآخرها كانت التداولية المدججة "اللسانيات الحجاجية" عند "ديكرو"، إضافة إلى مقاربات في الإطار الحجاجي لمجموعة من العلماء و الفلاسفة كانت بشكل متفاوت »²

أما في العصر الحديث فإن تاريخ الحجاج يعود إلى سنة 1950م ، وهنا يجدر الإشارة إلى وجود ثلاث مدارس تعتبر في حد ذاتها أساس النظرية الحجاجية المعاصرة ، أولها المدرسة البلجيكية بزعامة : "بيرلمان" التي اهتمت بالدراسات الحجاجية القانونية و « بدخول الدراسات البلاغية مرحلة جديدة يعنى فيها بدراسة الحجاج الذي يركز بصفة عامة على دراسة تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم »³

وثانيها المدرسة الإنجليزية بزعامة: "ستيفن تولمين" الذي ألف كتاباً بعنوان "استعمالات الحجة" ، أما المدرسة الثالثة فهي التي ظهرت على يد: "أرن نايس" في شمال أمريكا و كندا، والتي لم يكن لها تأثير كبير على الدراسات الحجاجية المعاصرة.

¹ عليوي أبا سيدي ، التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار (التفكير) النقدي، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتاب الجديد، إربد، الأردن ، ج 2 ، 2010 ، ص 258

² عليوي أبا سيدي ، المرجع نفسه، ص 258

³ محمد ولد سالم الأمين ، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، طرابلس الجماهيرية العظمى ، ط 1 ، 2004، ص 15،

1-6 / الحجاج عند الغرب قديما:

1-1-6 / الحجاج عند أفلاطون (347، 427 ق.م):

لقد عرف الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" مصطلح الحجاج في مناهضته لحجاج وخطابة السوفسطائيين ، فقد كانت الآراء الحجاجية عند أفلاطون تقوم ضد أولئك السفسطائيين ، ولم تكن في نيته أدنى اهتمام لبلاغة القول أو الكلام أو حتى شكله اللغوي ؛ لأنه لايهتم بالبنية الأساسية المكونة للكلام ولا حتى للمتخاطبين ولا حتى للحكم على صاحب القول بالصدق أو الكذب ، إنما يكمن اهتمامه بما يحققه ذلك القول من قيم إنسانية نبيلة و مثل عليا ومبادئ عظيمة من شأنها أن تضبط الفرد و المجتمع ، وهذا أمر مسلم به لأن "أفلاطون" فيلسوف تقوم فلسفته على المثالية المطلقة ، وبالتالي « فالحجاج حسب رأي "أفلاطون" هو حجاج استهواء بالنسبة للمقول إليه ، ولذة نفع بالنسبة للقائل »¹

ومهما يكن فإن دراسة الحجاج في المورث الإغريقي كان أساسها الصراع القائم بين الفلاسفة و السفسطائيين في "صناعة القول " « فالصراع بين الفيلسوف والسوفسطائي بعدت أسبابه و تعددت نواحيه دون شك ، ولكنها غالبا ما تجمعت في مسألة القول بنائه و وظائفه بل مسألة اللوغوس و اللوغرس بما هو كلام وفكر عند الإغريق »²

هذا ما بدأه أفلاطون وتبعه أرسطو ثم واصله بعض الفلاسفة في مجال النظر إلى البلاغة الجديدة ، و في إطار الخطاب اللغوي و التواصل بين المتخاطبين .

1-1-2 / الحجاج عند أرسطو : (384-322 ق.م)

لقد عرف اليونانيون الأوائل (القدامى) الكثير من فنون الكلام من شعر وخطابة وبلاغة و أولوها عناية كبيرة ، و جعلوها محل دراسة و تحليل ، و يعد أرسطو أول من نظر إلى هذه الفنون ، لاسيما ما تعلق منها بالشعر و الخطابة ، فأخذها بالدراسة والتحليل والتمحيص وبناء الحجج والبراهين داخلهما، قصد تبليغ الفكرة إلى المتلقي و إيصالها بل و إقناعه بها و ترسيخها.

¹ هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب والعلوم والفنون الإنسانية ، منوبة ، تونس ، ص68

² عليوي أبا سيدي، التواصل والحجاج في التداويات الحجاجية للحوار التفكير النقدي، ص259

وعليه فقد رأى أرسطو أن هذه الحجج التي يمكن إدراجها في تلك الفنون تصنف إلى قسمين هما: « حجج صناعية ، وحجج غير صناعية ، هذه الأخيرة كانت موجودة من قبل ولا دخل لنا فيها مثل الشهود في القضية والبصمات وما أشبهها ، أما الصناعية فهي كل ما يمكن إعداده بالحيلة و بمجهودنا أي تلك التي نكتشفها بأنفسنا »¹

وقد اهتم أرسطو بالحجج كونها أهم وسيلة للإقناع ، واعتمد في توظيف هذه الحجج و ترتيبها على المنطق، فقد « كان التناول الأرسطي للحجاج تناولا منطقيًا بالأساس ، و إن وسع في الخطاب بالخصوص روافد نفسية و اجتماعية و روافد أخلاقية و روافد سياسية »²

ينطلق أرسطو في اعتماده على الحجج خاصة في فن الخطابة من اعتبار الخطابة هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع ، هذا الأخير يقوم عند أرسطو على ثلاثة دعائم أساسية هي: « أولها "أخلاق القائل" وهو ما يتصل بالخطيب نفسه وتفكيره و أخلاقه ، وثانيها " حالة السامع النفسية " وهو ما يتعلق بالسامعين و أحوالهم ، والركن الثالث هو " أنه يثبت أو يبدو أنه يثبت " وهو ركن خاص بالخطبة ذاتها »³

مما سبق يمكن القول أن آراء أرسطو كانت الحجر الأساس لأغلب النظريات الحجاجية الحديثة ، كونها انطلقت من مبادئه وقوانينه الإقناعية من أجل الحصول على نظريات جديدة في ميادين كثيرة ومختلفة .

6-2/ الحجاج عند العرب القدامى :

6-2-1/ الحجاج عند الجاحظ (163هـ/255هـ):

كثيرة هي تلك الفنون الأدبية التي عرفها العرب منذ القدم ، من شعر وخطابة وقصة ومقامة وبلاغة وغيرها ، وقد اهتموا بها وطوروها وقاموا بدراستها حتى تتمكن من البقاء والاستمرارية ، فكان من بين عناصرها خاصة فن الخطابة ما يسمى بالحجاج ، هذا الأخير "الحجاج" الذي ورد قديما بمعناه الحديث بتسميات متباينة حسب المتكلم و توجهاته وتفكيره وإيديولوجيته ، ويعد "الجاحظ" واحدا من أولئك الأدباء الذين اهتموا ببلاغة الكلام عامة وبالحجاج في خطاباته على

¹ العمري مجّد ، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، ص24

² هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص105

³ عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكا ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 306

وجه الخصوص، فنجده عنده بمعنى "البيان" وفي هذا المجال يقول: «مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»¹

مما سبق يمكن القول أن الجاحظ قد جعل الحجاج في فنون الكلام يتمثل في إقناع المتكلم للمخاطب، وذلك من خلال وضوح المعنى وإيصاله للمتكلم سليماً واضحاً بعيداً عن اللبس والغموض، وهذا ما يسمى بالبيان.

6-2-2/ الحجاج عند حازم القرطاجي: (608-684هـ):

يرى حازم القرطاجي أن الإقناع هو أساس فن الخطابة، واعتبر القرطاجي الخطابة والشعر صناعتين تدرجان ضمن علم البلاغة، وفي هذا المجال يقول: «لما كان علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع، وكان لكلتيهما أن تخيل وأن تقنع في شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني، وكان القصد في التخيل والإقناع هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله و اعتقاده»²

مما سبق يمكن القول بأن حازم القرطاجي ينظر إلى أن الشعر يحقق مقصده الحجاجي عن طريق التخيل، بينما الخطابة تحققه عن طريق الإقناع، وهنا يكمن الفرق بين الخطابة والشعر، ومهما كان الفرق شاسعاً بينهما فهذا لا يمنع من وجود وجه شبه بينهما ونقطة تقاطع يشتركان فيها، والتي تتمثل في المعاني وأثرها على النفوس، فكلاهما "الخطابة والشعر" يؤثر بمعانيه في نفوس السامعين إما بالإيجاب أو السلب، وعليه فالحجاج في الخطابة عند القرطاجي هو إقناع المتكلم للسامع أي المتلقي ومدى التأثير في نفسيته.

6-2-3/ الحجاج عند أبي هلال العسكري:

لقد اهتم أبو هلال العسكري بالحجاج في اللغة سيما في الخطاب الشعري فقد ربط الحجاج بالشعر وجعل هذا الأخير "الشعر" وسيلة تقام بها الحجة ويرى أن الشاعر الماهر هو ذلك الذي ينظم شعراً يؤثر في المتلقي ويدفعه إلى استمالة النفس وتأجيح العواطف وتحريك المشاعر

¹ الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1، ط7، 1998، ص76

² حازم القرطاجي أبو حسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ص18

و الأحاسيس و في هذا المجال يقول : « وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة و يؤنس القلوب المستوحشة و تلين به العريكة الأبية المستعصية و يبلغ به الحاجة و تقام به الحجة »¹

من هذا القول نستنتج أن الشعر في نظر أبي هلال العسكري هو ذلك الكلام الموزون المقفي الذي يستميل القلوب و يؤنسها و من خلاله "الشعر" تتحقق الأماني و الغايات و يحرز الإنسان الأهداف و الطموحات ، والسّر في ذلك هو ما يملكه الشعر من قوة خفية و طاقة كامنة تدفع بالمتلقي إلى الإقتناع و التأثير به، كما يتضح لنا من خلال ذلك القول لأبي هلال العسكري أن الشعر عنده يعد وسيلة ناجعة وفعالة لإقامة الحجة و الدليل.

6-3/ الحجاج عند الغرب حديثاً:

لقد ظهر مصطلح الحجاج حديثاً عند الغرب على يد كل من "بيرلمان" و "تيتيكا"، و ذلك من خلال دراستهما الحديثة و الحثيثة للبلاغة القديمة خاصة البلاغة الأرسطية ،وقد أطلقا عليها اسم "البلاغة الجديدة" وكان ذلك سنة 1958 وما أضفيا عليها من تطوير في مبادئها و أسسها ، فكلاهما درس فن الخطابة و وجد أن هناك اختلافاً بين الحديثة و القديمة ، فالأولى جمهور الحجاج فيها يمكن أن يكون بين شخصين متجاورين أو حتى بين المرء و نفسه ، و الخطاب يمكن أن يكون فيها منطوقاً كما يمكن أن يكون فيها مكتوباً ، أما القديمة فالجمهور في الخطابة يتمثل في الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب ، و يكون الخطاب فيها مقتصراً على ما هو شفوي فقط.

مما سبق تمكن "بيرلمان" و "تيتيكا" من أن يبعثا الخطابة في ثوب جديد أسمياه "الحجاج" ، و يقدم "بيرلمان" تعريفاً للحجاج يركز فيه على وظيفة هذا الحجاج وهي : « حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإقناع »²

تظهر هنا الفائدة من الحجاج وهي إقناع الشخص بقضية معينة أو الزيادة في إقناعه عن طريق الحجاج ، لحملة إلى عمل أو تهيئته لذلك.

يبني الحجاج في نظر "بيرلمان" على جملة من التصورات و المقدمات و الفرضيات، التي ينسج منها المحاج "خطيباً كان أم أديباً" خططه البرهانية ، فبهذه المقدمات يستمال المعنيون كما أن

¹ أبو هلال العسكري ، كتاب الصنائع ، ص 49

² سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتة و أساليبه ، عالم الكتب الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،

لهم الحق في رفضها إذا لم تنسجم وتتوافق مع تصوراتهم ، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل أي عنصر جذاب ، يجذب انتباه المتلقين (السامعين) ويستثير نفوسهم.

كما أن "بيرلمان" يرى أن للحجاج مقدمات و منطلقات هي التي تؤسس نقاط الانطلاق للحجاج ، ومن أهم هذه المنطلقات « الوقائع ، الحقائق ، الافتراضات ، القيم ، وهمية القيم ، المعاني أو المواضع والتي بدورها تنقسم إلى مواضع الكم والكيف ، ومواضع أخرى كمواضع الترتيب ومواضع الوجود »¹.

فالوقائع بما أنّها ثابتة لا شك فيها فإنها تصلح لتأسيس نقطة البداية، فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس إذ أنّ الوقائع يقتضي إجماعاً كونياً ، والافتراضات وإن كان مسلماً بها من قبل المعنيين سلفاً ، إلا أنّ التسليم القوي بها في إطار الخطاب لا يكون كذلك ما لم يدعم بأدلة و براهين قوية، ثم أن الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعاً للوسط والمقام و المتكلم و السامعين، أمّا القيم فهي عنصر أساسي من عناصر الحجاج ، وللقيم دور بارز في مجالات العلوم الإنسانية ، بحيث يعتمد عليها في تغيير مواقع السامعين و دفعهم إلى العمل المطلوب ، والقيم نوعان هما: قيم مجردة مثل العدل والشجاعة ، و أخرى محسوسة كالوطن و أماكن العبادة ، وتخضع هذه القيم لتراتبية هرمية تمثل احترامها والوعي بها من قبل المحاج بغيّة تحقيق الخطاب ، وتلعب القيم دوراً فعالاً في بناء الثقة بين المتحاورين و توطيد العلاقة بينهم .

أمّا المواضع فتعتبر مقدمات أشمل من كل العناصر السابقة، وقد « اعتبرت في البلاغة اليونانية القديمة مخازن الحجج »² ،

وتلعب المواضع دوراً كبيراً في الحجاج والدفع إلى الفعل وحلحلة العقبات التصويرية، التي تكون أحياناً راسخة لدى المتحاجين ، والتي لا تنسجم مع البناء الحجاجي المقدم .

والحجاج في اعتقاد و تصور "بيرلمان" تميزه خمسة ملامح رئيسية:

¹ عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، ص 308

² سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتة و أساليبه ، ص 21

- (1) يجب أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- (2) مسلماته لا تعدو أن تكون إحصائية.
- (3) لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية لمعنى الكلمة.
- (4) ليست نتائجه ملزمة.

مما سبق يمكن القول أنّ الحجاج عند "بيرلمان" و "تيتيكا" من خلال الكتاب الموسوم ب "مصنف في الحجاج" الذي شكل ظهوره فتحاً جديداً و أساسياً في عالم الخطابة الجديدة ، قد مثل نظرة منطقية للحجاج متمكنة من آليات التفكير ، وهذا ما يضع الحجاج يقوم على أساس التفاعل بين الخطيب وجمهوره ، « فقد استندا على تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية ، وصناعة الخطابة من ناحية ثانية ، فإنهما قد حرصا على جعل الحجاج أمراً ثالثاً مفارقاً لهما رغم اتصاله بهما ، فالحجاج حسب نظرتهما يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي .

و يأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو الإعداد له ، لكنه يظل مختلفاً عن الخطابة والجدل من زاوية كسره للنائية التقليدية ، وجمعه بين النظري والتأثير السلوكي العملي ، فهو إذن خطابة جديدة متسعة¹ .

4-6/ الحجاج عند العرب حديثاً :

1-4-6/ الحجاج عند طه عبد الرحمان:

يعتبر "طه عبد الرحمان" أستاذاً للمنطق وفلسفة اللغة، الأمر شجعه على تأسيس نظرية الحجاج مرتكزا فيها على أصول الفلسفة والمنطق اليونانيين ، لذلك فالملاحظ عنده أنّ معظم آرائه الحجاجية قد طغى عليها الطابع الفلسفي ، وقد تمكن من جمعها ووضعها في كتاب اسمه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ، وخصّ في هذا المجال باباً عنوانه "الخطاب والحجاج" ، مبينا فيه أنّ الحجاج إنما هو صفة جوهرية في الخطاب ، وهو عنصر أساسي في التواصل الخطابي إذ لا يوجد خطاب دون حجاج ، ذلك « أنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفة الحجاجية بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج »² .

¹ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتة و أساليبه ، ص22

² طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص213

إنّ تكوثر الخطاب عند "طه عبد الرحمان" يعني بالضرورة حجاجيته ، وهذا ما يؤكد قوله المتعلق بتعريف مصطلح التكوثر حيث يقول : « التكوثر فعل عقلي ، فلا يتكوثر إلا العقل لأنّ العقل يتجدد ولا يدوم على حال ، وهو فعل قصدي أي أنّه يتوجه إلى الغير ، كما أنّه فعل نفعي فهو يقصد تحقيق منافع ¹ » .

من خلال هذا التعريف يمكن القول أن الخطاب يتضمن فاعليتين هما : الفاعلية القصدية والفاعلية النفعية ، وهاتان الفاعليتان تمثلان أساس الحجاج وجوهره ، وبالتالي فكلاهما أي الخطاب و الحجاج يتقاطعان في أمور مشتركة .

من خلال استقراءنا لمصطلح الحجاج فإننا نجد كائنا وعنصرهما في الخطابة قديما وحديثا ، وكذا في التراث الغربي والعربي وبشكل واسع مع اختلاف مساره بين القديم والحديث ، لذلك فالملاحظ أنّ الحجاج لا يقتصر كونه ممارسة على الثقافة اليونانية ، وأنه لم ينتقل إلى الشعوب الأخرى عن طريقها ، إنما هو صفة فطرية جبل عليها الإنسان كونه اجتماعيا ، فإن كان الحجاج في التراث الغربي يعود مصدره ونشأته إلى المنازعات بين الأشخاص حول ملكية الأراضي ، فإنّ الحجاج في التراث العربي منشأه هو القرآن الكريم ، الذي يعج بالخطاب الحجاجي غير أنّ كتب التراث العربي الإسلامي تكاد تخلو من تداول مصطلح الحجاج ، حيث عرف الباحثون مصطلح الحجاج وما يتوافق مع مجال تخصصه و ميدان بحثه و أفكاره ، حيث نرى أنّ "أرسطو" قد وضع نظرية يقوم عليها الحجاج بتقسيمه للحجاج إلى صناعية وغير صناعية ، في حين نظر إليه "أفلاطون" نظرة فلسفية واعتبره طريقة للوصول إلى الحقيقة المثالية وتحقيق القيم الفاضلة ، أمّا عند العرب القدامى ومنهم "الجاحظ" الذي قرن تعريف الحجاج ب "البيان" وجعله يشترك مع البلاغة في غاية الفهم والإفهام .

وينظر "حازم القرطاجني" إلى مصطلح الحجاج أنّه أساس الخطابة وهو بمعنى الإقناع بينما يكون التخيل أساس الشعر وعماده .

وبالنظر إلى مصطلح الحجاج في العصر الحديث فقد ظهرت الكثير من نظريات سواء كان ذلك في التراث الغربي أو العربي ، حيث نجد نظرية "البلاغة الجديدة" بزعامة "بيرلمان" و "تيتيكا" اللذان حاولا الفصل بين الخطابة و الحجاج على أساس نوع الخطاب ونوع الجمهور ، وعند العرب نجد "طه عبد الرحمان" الذي اعتبر الحجاج جوهر الخطاب وكنهه.

¹ طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 22

رغم تطور مصطلح الحجاج عبر الأزمنة والعصور ، واختلاف معانيه و دلالاته عند الفلاسفة و الباحثين غير أنه يبقى يصب في إناء واحد وهو إقناع الآخرين بواسطة جملة من الحجج والبراهين، التي تدفع بالمتلقي إلى التأثر بخطاب المتكلم فيقتنع به ويؤيده في موقفه.

6-4-2/ الحجاج في اللغة عند أبي بكر العزاوي:

لقد اهتم الدكتور أبو بكر العزاوي بقضية الحجاج في اللغة و تخصص في هذا المجال ، وصدرت عنه الكثير من الدراسات حول النظرية الحجاجية والتي منها : " اللغة والحجاج ، الخطاب و الحجاج الحوار و الاختلاف و الحجاج و يهدف الدكتور أبو بكر العزاوي في كتابة اللغة و الحجاج إلى دراسة و وصف بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية معتمدا في ذلك على نظرية الحجاج و اللغة التي وضع أسسها و لبناتها الأولى " ديكر و" والتي مفادها تبين فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير و تحمل هذه الفكرة في طياتها فكرة أخرى هي أن اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية .

لقد أسهم الدكتور أبو بكر العزاوي إسهاما كبيرا في مجال الحجاج في اللغة و ذلك من خلال مجموعة من المقالات تنوعت بين دراسة الشعر و دراسة النثر دراسة حجاجية ومن بين هذه المقالات ما كان موسوما ب "نحو مقارنة حجاجية للإستعارة"

حيث نجده قد طبق مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة ومدى قوتها الحجاجية « وفي بعض السياقات توصف الاستعارة بأنها الدليل الأقوى خصوصا ما صنفه على أنه الاستعارة الحجاجية لأنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه و بقصد تحقيق أهدافه الحجاجية و الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين و سياقاتهم التخاطبية و التواصلية »¹.

إضافة إلى ذلك فقد عالج أبو بكر العزاوي الخطاب بنوعيه النثري الشعري هذا الأخير الذي صنفه من وجهة النظر الحجاجية إلى شعر حجاجي و شعر غير حجاجي معتمدا في هذا التصنيف إلى ما ذهب إليه "حازم القرطاجني" في كون الشعر قد يستعمل للإقناع، كما تطرق في عمل آخر للحجاج مركزا على ما يعطيه المرسل من سلطة في السياق وذلك في مقاله الموسوم

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية ، ص 452

ب"سلطة الكلام وقوة الكلمات" مبينا من خلاله « أن وظيفة الحجاج هي الوظيفة الأولى للغة معتمدا في تحليله على السلم الحجاجي للخطاب »¹.

7/ بين الحجاج و الجدل:

يعرف ابن منظور الحجاج على أنه هو النزاع و الخصام بواسطة الأدلة والبراهين ، فهو بذلك مرادف للفظ الجدل ؛ لأن الجدل عنده هو « مقابلة الحجة بالحجة فنقول رجل محجاج أي جدل »²

ويقال أيضا : « جدل الرجل جدلا أي اشتدت خصومته ، وتجادل القوم أي تعادوا وتخاصموا و تضاغنوا ، و جادل أي ناقش بالحجج و الأدلة »³

غير أن الحجاج بمعنى الخصام و « الأغلب ما يفيد الخصام بباطل أمّا الجدل فيتميز عن الحجاج بكونه محاصمة في الخير »⁴

مما سبق نستنتج أنّ الجدل هو القدرة على الحجاج ، وهو ما نراه في القرآن الكريم كونه لا يلجأ إلى الجدل إلا في حالات الضرورة ، وهي حالات ردّ الخصم و إلزامه الحجة و إظهارها ، وفي نفس الوقت يطلب الدليل و البرهان لتبرير موقفه ويقصد به هنا البيان و التبيين ، و « هذا أيضا هو دأب الأنبياء و الرسل عليهم السلام ، فقد كانوا يردعون أقوامهم عمّا هو باطل ، و محاولة إدخالهم في دين الله عن طريق القوة والاجتهاد في إيراد الحجج و الأدلة »⁵

8/ بين الحجاج و المناظرة:

جاء في لسان العرب: « والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرت ما فيه معا كيف تأتياه، والتناظر بمعنى التفاوض في الأمر ونظيرك الذي يرواضك وتناظره ، وناظره من المناظرة وناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة »⁶.

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية ، ص 543

² ابن منظور، لسان العرب ،ص28

³ محمد إسماعيل إبراهيم ، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، دار النصر للطباعة ، مصر ، القاهرة ، ط2، 1968، مادة جدل ، ص378

⁴ عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص13

⁵ محمد فريد عبد الله ، معجم الفروق في المعاني ، دار المواسم للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، 2008، ص83

⁶ ابن منظور، لسان العرب ، مع5 ، مادة نظر ، ص217

كما تعني لفظة ناظر المشاركة في فعل النظر ، فنجد أنّ « لفظة ناظر تعني أن شخصين ينظر أحدهما إلى الآخر في وقت واحد ، والفعل تناظر يضيف إلى المعاني السابقة ما يدل على وقوف شخصين واحدا أمام الآخر».¹

كما تحمل الناظرة معنى يتمثل في « المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته والنظر البحت »²

مما سبق نستنتج أن المناظرة هي المحاورة بين شخصين حول موضوع معين ، يقصد كل واحد منهم إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر صاحبه ، وتهدف المناظرة إلى إظهار الحق وإقامة البرهان على صحته ، وتتكون المناظرة إلى ركنين أساسين هما :

1/ الموضوع : وهو القضية التي ستجرى حولها المناظرة

2/ الطرفان اللذان سيتحاوران حول الموضوع المطروح للمناظرة.

وللمناظرة خمسة أسس تقوم عليها وهي :

1/ أنّ الحق واحد لا يتعدد

2/ التحلي بالقول المهدب

3/ الاعتماد على الحججة والبرهان

4/ عدم تناقض أقوال المناظر فيما بينها

5/ إعلان التسليم بالمسلمات

كما أنّ المناظرة ترتبط بآداب و أخلاقيات و شروط يجب على الخصمين المتناظرين أن يتصفا و يلتزما بها وهي :

1/ « أن يكون المتناظران متقاربين مكانة ومعرفة وعلمًا .

2/ و أن يمهّل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته كي لا يفسد عليه توارد أفكاره وحتى يفهم مراده من كلامه

3/ وأن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه قولاً أو فعلاً بغية إضعافه عن القيام بحجته

¹ حسين الصديق ، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، الشركة المصرية للنشر - لونغمان - ، مصر ، القاهرة ، ط1، 2000، ص58

² الزويدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : عبد الحلیم الطحاوي ، مطبعة الكويت ، الكويت ، ج14 ، دط، 1974، ص254

4/ و أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به ، حتى لا يتباهى إذا ظهر على يده ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.

5/ و أن يتجنب المناظر المحاورة مع من ليس مذهبه إلا المضادة ، لأنه من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة¹»

و في الأخير يمكن القول أنّ الحجج مرتبط بالمنظرة ارتباطا وثيقا ، باعتباره يدخل في صلبها ويتبوأ منها مكانا مرموقا ويشغل منها حيزا كبيرا ، إذ لا يتصور قيام مناظرة دون حجج ولا حجج يدافع بيها كل خصم عن وجهة نظره ، ويقوي بها موقفه ويعززه ويعضده أمام الخصم ، إذن فالحجج من مسلمات المناظرة .

9/ بين الحجج و البرهان والاستدلال :

إنّ مصطلح الحجج يتداخل مع مصطلحات أخرى و يتقاطع معها في كثير من الأمور ومنها : "البرهان والاستدلال" ، ومن الملاحظ للوهلة الأولى وجود تقارب شديد بين كل من الحجج والبرهان و الاستدلال ، حتى أنه غالبا ما يحدث خلط بين هذه المصطلحات كونها متقاربة في المعنى ، ولكنّ المتفحص و المدقق لهذه المصطلحات يجد بعض الفروقات الدقيقة التي تمكننا من التمييز بينها.

* فالحجج هو «النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج»²

* بينما البرهان فهو يعتمد على « الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مـرورا بأبلغ إحصاء و أوضح استدلال، وصولا إلى أطف فكرة وأنفذها »³.

وتكمن علاقة الحجج بالبرهان في طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة ، وترتبط بالإقناع وذلك باكتشاف طريقة عرضه وتقنياته في الإقناع ، ولطبيعة العميلة الحججية دور هام في تحديد نوع النص أو الخطاب ، وذلك راجع لطبيعة العملية البرهانية.

* أما الاستدلال فهو : « تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر فيسمى استدلالا أتيا ، أو بالعكس ويسمى استدلالا لميا ، أو من أحد الأثرين إلى الآخر »⁴

¹ طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب ، ط2، 200، ص74

² عبد الله صولة ، التداولية والحجج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية ، دار الفرياني ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007، ص10

³ سامية الدريدي ، الحجج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتها و أساليبه ، ص24

⁴ علي بن محمد السيد شريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ط ، دت ، ص18

ويرتبط الاستدلال بالحجاج من حيث أنه يمثل «سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ، ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين، تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة ، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس ، فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية ، ترتيبا يستجيب لنية الإقناع»¹

من خلال التعريفات السابقة نخلص إلى بعض الفروقات الدقيقة بين المصطلحات الثلاثة:
"الحجاج ، البرهان ، الاستدلال " أما عن الفرق بين الحجاج والبرهان فهو كالآتي :

1/ من حيث مجال الاستعمال والتوظيف فإن مجال الحجاج ليس واحدا، بل هو مجموعة من المجالات تبعا للحيز المنفذ فيه ، أمّا مجال البرهان فهو مجال واحد ألا وهو المنطق.

2/ البرهان ليس شخصا عكس الحجاج الذي يعد شخصا ، كما يمكن تحديد الفرق من خلال الممارسة اللغوية ، فالحجاج يمارس في اللغة الطبيعية بينما البرهان يمارس في اللغة الرمزية ، وأمّا عمّا يعطيه الحجاج فهو الإقناع ، بينما البرهان فيمنح الصواب أو الخطأ.

* أما عن الفرق بين الحجاج والاستدلال فهو كالآتي:

1/ الحجاج خاص في حين أنّ الاستدلال عام ، ومن هنا يمكن القول بأن الحجاج جزء من الاستدلال ، وأنّ الحجاج والبرهان نوعان من أنواع الاستدلال، وهذا ما يؤكد تعريف الاستدلال على أنّ « الدليل والاستدلال يطلقان على الحجة من باب التجوز أو التوسع ؛ لأنّ الدليل أعم من الحجة و الاستدلال أوسع من الحجاج ومشتمل عليه »²

2/ إنّ مجال الحجاج هو الخطاب أمّا مجال الاستدلال فهو أوسع ويصعب تحديده لأنه ؛ يرتبط بالدليل والحجة.

10/ خصائص الخطاب الحجاجي ومميزاته :

توجد عدة شروط و ضوابط حجاجية يجب على المرسل أن يلتزم بها و من هذه الضوابط و الشروط مايلي:

1/ يجب يجب أن يكون الحجاج ضمن إطار من الثوابت مثل الثوابت الدينية و العرفية ، فليس كل شيء قابلا للنقاش أو الحجاج ، فهناك كثير من المسلمات يجب احترامها .

¹ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتة و أساليبه ، ص 27

² صابر حياشة ، التداولية والحجاج ، ص 47

2/ يجب أن تكون دلالة الألفاظ محددة ، و المرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددًا ، لئلا ينشئ عدم التحديد الدقيق مشكلة في تأويل المصطلحات على الرغم من أن هناك إقرارًا بصعوبة التحديد الدقيق الذي يجمع عليه كل الناس، إذ قلما يمكن اعتبار اللغة المستعملة في الحجاج ذات معنى واحد كما هو الحال في النظام الصوري.

3/ يجب أن لا يقع المرسل في التناقض بقوله أو فعله

4/ يجب موافقة الحجاج لما يقبله العقل ، و إلا بدا الخطاب مغلوطا و الحجة واهية .

5/ يجب توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب مما يبرر قبول المرسل إليه لحجاج المرسل أو إمكانية مناقشتها و تفنيدها ، « و إلا انقطع الحجاج بينهما توقفت عملية الفهم و الإفهام ، بل الإقناع »¹

6/ يجب أن يأخذ المرسل إليه أقرب ما يكون إلى الواقع قدر الإمكان، إذ ينتج عن تجاهله تصور قاصر أو عن حصول مجموعة من الظروف غير المتوقعة ، ما يؤدي إلى نتائج غير مرغوبة .

7/ يجب أن يتناسب الخطاب الحجاجي مع السياق العام ، لأنه هو الكفيل بتسوية الحجج الواردة في الخطاب من عدمها . فقد يكون الحجاج صحيحا من الناحية النظرية ، و لكنه غير مناسب للسياق، إذ يمثل مهربا للمرسل من المسؤولية.

8/ يجب أن يكون الحجاج خاليا من الإبهام و المغالطة والإبتعاد عنهما.

9/ يجب أن يكون المرسل صاحب ثقافة واسعة ، خصوصا ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج مثل المجال الديني أو السياسي ، لأنه بدون ذلك الرصيد المعرفي لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبني اعتراض معين، فتعوزه الحيلة للدفاع عما يراه ، كما تعوزه الحيلة في بناء خطابه و اختيار حججه .

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 465

11/ أنواع الحجج:

11-1/ الحجج شبه المنطقية :

هي مجموعة الحجج التي تعتمد في قوتها الإقناعية على مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية الرياضية في البرهنة، وتختلف عنها نوعاً ما في بناء استدلالها ، ومع ذلك فإن الحجج شبه المنطقية تعتمد على البنى المنطقية مثل التناقض، والتماثل التام أو الجزئي مثل قانون التعديّة، إضافة إلى أنها تعتمد على العلاقات الرياضية مثل علاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة الجزء بالكل وغيرها.

11-1-1/ أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

*التناقض وعدم الاتفاق:

مبدأ التناقض يقصد به وجود قضيتين تعتبران مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقيض لها ، أما عدم الاتفاق فهو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام من أجل اختيار إحداهما وإقصاء الأخرى فهي خاطئة، إذن « التناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكلة ، أما التعارض فيحدث في علاقة الملفوظات بالمقام »¹

* التماثل والحد في الحجج :

التماثل التام هو تعبير عن التمثيل بين الملفوظين وصيغة التماثل أو الحد المستندة إلى التعريف، هي تحصيل حاصل باعتبار دلالتها " خطأ " دلالة محددة سلفاً معلومة مسبقاً واعتبرت العلاقة بين اللفظين في التعريف هي نفسها دائماً و يعود ذلك الخطأ إلى ارتباط الملفوظ بالمقام.

كما يمكن أن تكون بعض هذه الصيغ حكماً، « لكن هذه الحكم لا يمكن أن تكون لها دلالتها إلا في مقام بعينه ».²

* حجج التعديّة :

تطبق حجج تعديّة على مجموعة من القضايا أو المشكلات باعتبار أن التعديّة خاصية شكلية تتميز بها أنواع كثيرة من العلاقات، و ذلك على اعتبار أننا أثبتنا العلاقة الموجودة بين "أ" و"ب" من ناحية وكذلك أثبتنا العلاقة الموجودة بين "ب" و "ج" من ناحية أخرى هي علاقة واحدة، على هذا الأساس نستنتج أن العلاقة نفسها موجودة بين "أ" و "ج".

¹ حمادي صمود ، أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص325

² حمادي صمود ، المرجع نفسه ، ص 327

11-1-2/ أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية:

* إدماج الجزء في الكل :

تطلق هذه الحجة من اعتبار أنه ما يطبق على الكل فهو يطبق بالضرورة على الجزء ، وتكون العلاقة في إدماج الجزء في الكل و ينظر إليها غالبا من منظور الكم حيث «أن الكل يحتوي الجزء وتبعاً لذلك فهو أهم منه»¹.

* تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له :

يعتبر الكل مجملاً يتكون من مجموعة من الأجزاء

فإذا ما بنينا عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها ب "حجج التقسيم أو التوزيع" لأن الغاية الأساسية من الحجاج بالتقسيم هي البرهنة على وجود المجموع فإننا نسلم بأن هذه الحجج تثبت على الكل كما تثبت هلى أجزائه.

11-2/ الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

يستعمل هذا النوع من الحجج حجج شبه المنطقية من أجل الربط بين أحكام مثبتة ومسلم بها و أحكام أخرى يسعى المتكلم إلى إثباتها و جعلها مسلماً بها و ذلك يجعل منهما يدوران في فلك واحد و ينتميان إلى كل واحد « إذ لا يمكن التسليم بأحدهما دون التسليم بالآخر»².

11-3/ الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

تستعمل هذه الحجج طريقتين في الاستدلال هما :

أ/ الاستدلال بواسطة الحالات الخاصة:

تتجسد الحالات الخاصة في الأمثلة التي يذكرها المتكلم و يجيء بها في الحالات التي يكون فيها بناء الحكم، و ذلك من أجل تأسيس الواقع و البناء عليه بحيث يصبح المثال المذكور في الخطاب حالة خاصة ينطلق منها المحتج و يبني عليها خطابها و حججه، فيكون بذلك هذا المثال مدعماً و معضداً لصاحبه، ومن الحالات الخاصة أيضاً البيّنة أو الاستشهاد هذا الأخير الذي من شأنه « أن يقوي درجة التصديق بقاعدة معلومة كما يقوي حضور هذا القول في الذهن»³.

¹ حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 329

² حمادي صمود ، المرجع نفسه ، ص 331

³ ، حمادي صمود ، المرجع نفسه ، ص 337

ب/ الاستدلال بواسطة التمثيل :

يتجسد التمثيل في الخطاب الحجاجي بإدراج المتشابهات حيز هذا الخطاب و الغرض منه هو تقوية الاستدلال عند المتكلم و التسليم بالخطاب لدى المتلقي، و « التمثيل هو مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة »¹

12/ أنواع الحجج و مراتبها:

1-12 / الحجة البرهانية :

و تسمى أيضا ب "البرهان" وهي الحجة التي تفيد اليقين وهي تتكون من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة يقينية ، و يكون اليقين في النتيجة مساو لليقين في المقدمات، و كثيرا ما نجد الحجة البرهانية في الحقائق الفكرية و مثال ذلك قولنا : « هذا العدد منقسم ب متساويين زوج »².

12-2 / الحجة الجدلية:

وهي الحجة التي تتكون من مقدمات مشهورة يكون مضمونها مقاربا لليقين، أو هي الحجة المؤلفة من مقدمات يسلّم بها المخاطب لكنها لا ترقى إلى مرتبة اليقين التام، و توجد بكثرة في قضايا الحق و الواجب « كالقانونيات و الأخلاقيات ، كما تكثر أيضا في الاجتماعيات و السياسيات و القضائيات و مجالات التربية و غير ذلك »³.

12-3 / الحجة الخطابية :

هي الحجة التي تستند إلى مقدمات تشتمل على ظن راجح من وجهة نظر المحتج بها و بهذا الظن لا يبلغ مبلغ اليقين ، كما أنها لا تلزم الطرف الآخر بالأخذ بها و توجد أمثلتها في جلّ شؤون الحياة و قضايا الإنسان، و « لا يشترط فيها أن يكون المخاطب مسلما بمقدماتها أو غير مسلم بها »⁴.

¹ حمادي صمود ، أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 339

² الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة ، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط3 ، 1998 ، ص298

³ الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة ، المرجع نفسه ، ص299

⁴ الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة ، المرجع نفسه ، ص300

12-4/ الحجّة الشعريّة :

هي الحجّة التي تعتمد على مقدمات وهمية وصور كاذبة لا تخفى على المخاطب، وهي الحجّة التي لا يشترط فيها أن تفيّد ظناً راجحاً مقبولاً وبالتالي فهي لا تفيّد يقيناً، إنّما تستخدم مشاعر الرغبة أو الرهبة لتحريك عنصر الإقبال أو النفور لدى المخاطب، وعلى هذا النوع تعتمد صناعة الشعر و عليها يعتمد الخطباء من أجل شدّ انتباه الجمهور و استمالة مشاعره.

12-5/ الحجّة الباطلة القائمة على المغالطة:

وهي الحجّة التي تستند إلى مقدمات تقوم على خطأ يقصد بها أن يتوهم المخاطب أنه على حق من أجل التضليل و التمويه، فهي مغالطة للواقع و مخالفة للحقيقة و يكون الغرض منها هو إبطال الحقائق يصطنعها أهل الباطل، و« للمغالطات صور كثيرة منها اللفظية و غير اللفظية »¹.

13/ شروط الحجّة المثبتة:²

حتى يكون المرسل موفقاً في أداء خطابه الحجاجي المتضمن لمجموعة من الحجج يجب على هذه الحجج حتى تكون مثبتة أن تتوفر على الشروط التالية :

1/ شرط المضمون القضوي :

على المتكلم أن يأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة التي ينطوي كل منها على قضية مخصوصة

2/ الشرط الجوهرى :

ينبغي أن يكون إتيان المتكلم بهذه المجموعة من الأحكام اجتهداً منه لإثبات الدعوى

3/ الشرط التمهيدى :

ينبغي أن يعتقد المتكلم أن المستمع لا يسلم بالدعوى، وأنه يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها، كما ينبغي له أن يعتقد أن المستمع يسلم بمجموع هذه القضايا بوصفه إثباتاً للدعوى .

¹ الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة ، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة ، ص304

² عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص468

أما شروط الحجة المبطللة فهي كالتالي :¹

1/ شرط المضمون القضوي:

على المتكلم أن يأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة التي ينطوي كل منها على قضية مخصوصة .

2/ الشرط الجوهرى :

ينبغي أن يكون إتيان المتكلم بهذه المجموعة من الأحكام بمنزلة اجتهادا منه لإبطال الدعوى .

3/ شرط الصدق :

ينبغي على المتكلم أن يعتقد كذب الدعوى وصدق القضايا التي جاء بها لإبطالها.

4 / الشرط التمهيدي :

ينبغي للمتكلم أن يعتقد أن المستمع يسلم بالدعوى و أنه يسلم بالقضايا التي جاء بها لإبطالها كما ينبغي له أن يعتقد أن المستمع يسلم بمجموع هذه القضايا بوصفه إبطالا للدعوى

14/ التداولية المدججة :

يجدر الذكر إلى أنّ الحجاج في معناه الحديث وحسب آراء العلماء المحدثين قد انفتح على العلوم الأخرى ، مما جعل الحجاجيات اللسانية تتجاوز النزعة التداولية الكلاسيكية في تدقيق وتنسيق المشروع العام للتوجه التداولي في الدراسات اللغوية ، فقد يكون التوجه الحجاجي فلسفيا نصيا أو توجهها لفظيا وذلك بحسب زوايا التناول ، كالتركيز على المتكلم مثلا باعتباره زاوية للتفاعل ، كما يمكن النظر إلى الحجاج « من خلال علاقة المتكلم بالمتلقي في إطار الحال الذي يفرض إحداثه من تأثير باستعمال آليات الإرسال من جهة ، وما قد يفهمه المتلقي من قول بطريقة معينة و بالمفهوم القديم تستند الحال إلى بلاغة معينة ، أمّا الزاوية الأخرى فتتمثل في رؤية الحجاج على أساس بنية نصية وهنا يكون التركيز على الجوانب اللغوية فقط ، وذلك بالحديث على الأدوات اللغوية التي نلعب في النص دورا حجاجيا وهي المفردات ، الأفعال، الظروف، والأسماء وغيرها »².

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 469

² صابر حباشة ، التداولية والحجاج ، ص 68

ويمكن الإشارة في هذا الباب إلى الدراسات المبكرة لـ "أونسكومبر" و "ديكرو" اللذين أسسا لميلاد نظرية الحجج في اللغة منذ سنة 1973م، والتي تتعارض بدورها مع الكثير من النظريات والتصورات الحججية الكلاسيكية وتعتبر هذه النظرية بأنها نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، كما تهتم بقصدية توجيه الخطاب ومدى تحقيق الأهداف الحججية انطلاقاً من الوسائل والأدوات اللغوية الموجودة في الخطاب اللغوي لدى المتكلم.

ومنطلق هذه النظرية هو « أننا نتكلم عامة بقصد التأثير »¹، كما يعرفه أصحاب هذه النظرية بأنه « إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي نستنتج منها »²، ويعتبر كل من: "ديكور" و "أونكومبر" أنّ للغة وظائف حججية على غرار وظائفها الأخرى، غير أنّ أسمى وظيفة تؤديها اللغة هي "الحجاج" حيث تسعى نظرية الحجج في اللغة « أن تبين أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حججية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها »³، يعني أنّ المتكلم عندما يتكلم فهو ينتج لغة يهدف من خلالها إقناع السامع والتأثير فيه، وذلك من خلال توظيفه لمجموعة من الحجج و البراهين، التي تزيد موقف المتكلم قوة أدائية ترفع من نسبة القبول لدى الطرف الثاني، وبالتالي فاللغة تحمل في جوهرها بعدا حججيا في جميع مستوياتها.

والجدير بالذكر أنّ اللغوي الفرنسي "ديكور" قد ميّز بين معنيين للفظ الحجج هما: المعنى المادي والمعنى الفني، أو الإصطلاحي، والحجاج حسب رأيه هو موضوع النظر في التداولية المدججة إذن فهو بالمعنى الثاني لأن؛ المعنى المادي للحجاج يعني طريقة تقديم الحجج ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة السامع (المتلقي)، إذن فنجاح الخطاب يكمن في مدى مواءمته للسامع ومدى قدرة الآليات والتقنيات الحججية المستخدمة في إقناعه، أمّا الحجج بالمعنى الفني « فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية »⁴.

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجج، ص 16

² أبو بكر العزاوي، المرجع نفسه، ص 16

³ أبو بكر العزاوي، المرجع نفسه، ص 56

⁴ صابر حباشة، التداولية والحجاج، ص 21

وينزل الحجاج عند "ديكرو" و أتباعه في صميم المدرسة البرغماتية ، إلى اهتمامه بوظائف الخطاب الذي أصبح مفهوم التفاعل عاملاً أساسياً في أبحاث أصحابها ، بحيث « يضع المتكلم جملة من الآليات الإقناعية ذات طبيعة بلاغية معقدة تفعل في المتلقي الذي يحدث بدوره جملة من الأعمال ، من هذا المنطلق أكد "ديكرو" على وجود سلطة الخطاب الحجاجي فهو في نظره خطاب يسد المنافذ على أي حجاج مضاد فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون غيرها وعليه يمكن أن يتسم الخطاب اللغوي بميزتين هما : « التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية، وإبراز السمة التوجيهية للخطاب»¹.

لقد وضع الباحثان اللغويان "ديكرو" و "انوسكومبر" من صميم المدرسة البرغماتية مجموعة من الأسس والمبادئ للحجاج اللغوي ، وهي على النحو الآتي :

* « المبدأ الأول : الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

* المبدأ الثاني : المكوّن الحجاجي أساسي أما الإخباري ثانوي.

* المبدأ الثالث : إزالة الفصل بين الآليات والتداوليات².

تعد هذه المبادئ الثلاثة أساس قيام نظرية الحجاج في اللغة ، فهما أي "ديكرو" و "انوسكومبر" يعتبران أنّ الوظيفة الأسمى و الأساسية للغة هي الوظيفة الحجاجية ، في حين أنّ الوظيفة الإخبارية فهي وظيفة ثانوية ذلك لأن المتكلم عند إنتاجه للغة يكون الهدف منها هو الإقناع و التأثير في المتلقي (السامع) وليس مجرد الإخبار ، بينما يكون المبدأ الثالث معتمداً على الربط بين الدلالة و التداولية المدججة لذلك فدراسة اللغة في نظرهم تمر على مراحل ثلاثة « انطلاقاً من التركيب اللغوي لتحديد نحوية الجملة ، ثم تحديد دلالتها وتبيين العلاقات بين مكونات الجملة لتوليد معنى شامل لها، و أخيراً التداول الذي يعني استعمال الجمل ومدى ملاءمتها للمقام الذي قيلت فيه ، وهذه المبادئ الثلاثة تصب كلّها في تنظيم كل ما يتعلق بالحجاج اللغوي كونه جوهر اللغة و أساسها ، على عكس الإخبار الذي يعد فرعياً و كذلك يربط بين الدلالة و التداولية المدججة³.

¹ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيتة و أساليبه ، ص 24

² أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 79

³ أبو بكر العزاوي ، المرجع نفسه ، ص 65

15/ الأساليب الحجاجية عند "ديكرو":

لقد رأينا الحجاج عند "بيرلمان" و "تيتيكا" والحجاج عند "ديكرو" و "أنسكومير" ، و كيف أنّ الأول اهتم بالتفاعل القائم بين الخطيب و الجمهور ، و أنّ الحجاج غير الخطابة والجدل في العلاقة الموجودة بينهما ، بينما اهتم الثاني بالمدرسة البرغماتية " التداولية " وعدم اغفال كل من المتكلم و المتلقي ، لذلك فقد اختلف "ديكرو" وصاحبه عن "بيرلمان" اختلافا واضحا و واسعا من حيث المنطلقات وطرق المعالجة للكلام الحجاجي ، فتمكن "ديكرو" من وضع هيكلية العامل الحجاجي للملفوظ على النحو الآتي:

* هيكلية قائمة على الفصل والنقض وذلك من خلال ما يحدثه مثلا الرابط " لكن " في الملفوظ .

* هيكلية قائمة على الوصل والضم بحيث نجد أنّ العامل الحجاجي الذي يدخل على الملفوظ يعمل على تقوية توجه هذا الملفوظ إلى النتيجة المطلوبة، وتنتقل هذه القوة الحجاجية من مرحلة إلى أخرى ، وقد تجسدت هذه الهيكلية ضمن نظرية السلام الحجاجية .

حيث تنطلق « نظرية السلام الحجاجية في إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة والنتيجة، ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرّح بها وقد تكون ضمنية ¹»

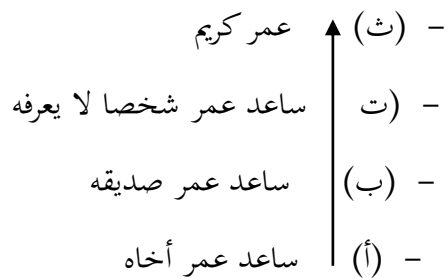
إن مجموعة الأقوال التي يمكن أن تمثل حججا تدعم النتيجة ذاتها تتفاوت من حيث قوتها وللتوضيح نأخذ المثال التالي :

* ساعد عمر أخاه (أ)

* ساعد عمر صديقه (ب)

* ساعد عمر شخصا لا يعرفه (ت)

* من خلال هذه الجمل التي نعتبرها حججا متسلسلة تكون النتيجة هي أنّ : عمر كريم (ث)



¹ أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص66

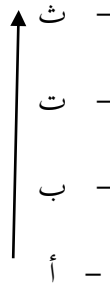
على اعتبار أن (أ) ، (ب) ، (ت) أدلة و (ث) هو المدلول منه ، فالأقوال " أ ، ب ، ت " أدلة تتفاوت من حيث قوتها و تؤدي إلى النتيجة وهي : "ث"

وفي علاقة الترتيب بين الحجج نجد أن القول الذي ينتمي إلى قسم حجاجي يقدم فيه المتكلم قولين معتبرا أنهما حجتان لفائدة النتيجة :

ومثال ذلك :

عمر كريم (ث) فقد ساعد أخاه (أ) وساعد صديقه (ب) وساعد شخصا لا يعرفه (ت)،
فهنا قدمت النتيجة لتدعيمها بحجج ثلاثة لأن هذه الأقوال تنتمي إلى قسم حجاجي واحد يحدد النتيجة (ث) .

في هذا المثال يظهر ترتيب الحجج التي تكوّن « سلما حجاجيا يتمثل عند "ديكرو" بالرسم التالي»¹



و هكذا نستنتج أنّ النظرية الحجاجية اللغوية عند "ديكرو" تخالف التوجه الحجاجي عند "بيرلمان" ؛ لأنها تبتعد عن المنطق وتعتمد على دراسة الخطاب .

16/ السلم الحجاجية :

السلم الحجاجي هو مجموعة من الحجج المرتبة و المتسلسلة من حيث قوتها ، تنطلق من القوية فالأقوى ثم الأكثر قوة وهكذا دواليك مشكلة بذلك سلما يدعى بالسلم الحجاجي ، ويعد السلم الحجاجي « علاقة ترتيبية للحجج وهو فئة حجاجية موجهة ، يتضمن علاقة ترتيبية معينة تنتمي هذه الحجج إلى السلم الحجاجي نفسه ، ويتسم السلم الحجاجي بميزتين هما :

1/ كل قول يوضع في درجة معينة من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة

¹ طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 364

2/ جميع الأقوال الموجودة في السلم الحجاجي نفسه رغم تفاوتها من حيث القوة والدرجة تؤدي إلى النتيجة ذاتها¹

وللتوضيح أكثر نأخذ المثال التالي :

- (أ) ← رمز للحج الأولى (حجة قوية)
 (ب) ← رمز للحجة الثانية (حجة أقوى)
 (ت) ← رمز للحجة الثالثة (أكثر قوة منها)
 (ث) ← رمز للنتيجة

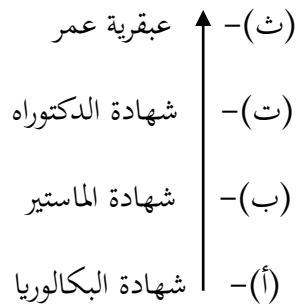
وعليه نقول :

(1) تحصل عمر على شهادة البكالوريا

(2) تحصل عمر على شهادة الماستر

(3) تحصل عمر على شهادة الدكتوراه

هذه الأقوال الثلاثة تمثل حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها و إلى السلم الحجاجي ذاته ، و تحقق هذه الحجج نتيجة واحدة وهي عبقرية عمر وتميزه ، ويمكن وضع هذه الأقوال في سلم حجاجي على هذا النحو :



¹ أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 59

16-1 / قوانين السلم الحجاجي :

يتضمن السلم الحجاجي ثلاثو قوانين هامة تتمثل فيما يلي :

16-1-1 / قانون النفي : يتمثل في وجود لكل قول مثبت قول آخر منفي، وكلما قبلنا الحجاج

الموجود في الإثبات وجب علينا أن نقبل الحجاج الموجود في النفي، ومثال ذلك قولنا:

1/ عمر مجتهد ، لقد نجح في الامتحان

2/ عمر ليس مجتهدا ، إنّه لم ينجح في الامتحان

- في المثال الأول كانت الحجة اجتهاد عمر فجاءت النتيجة وهي نجاحه في الامتحان ، ومعنى ذلك أنّ الحجة مثبتة فكانت النتيجة بالضرورة مثبتة .

- وفي المثال الثاني كانت الحجة هي عدم اجتهاد عمر فجاءت النتيجة بالضرورة منفية ، وعليه فإننا مادمننا قبلنا الحجاج الموجود في القول المثبت يكون لزاما علينا أن نقبل الحجاج الموجود في القول المنفي .

16-1-2 / قانون القلب : يعد قانون القلب مكملا لقانون النفي فهو مرتبط به، ومفاده هو أنّ

السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس السلم الحجاجي للأقوال المثبة، ومثال ذلك المثال الوارد في قانون النفي كونهما يصبان في نفس المعنى .

16-1-3 / قانون الخفض : هو القانون الذي يوضح فكرة هي أنّ النفي اللغوي يأخذ

احتمالات أخرى غير المذكورة فيه، و تؤدي معه إلى نفس النتيجة رغم تعدد الحجج وتفاوتها في الدرجة والقوة، ومثال ذلك قولنا :

- الجو ليس باردا

- لم يلبس عمر المعطف

إننا نستبعد التأويلات التي في المثالين فيكون:

- تأويل المثال الأول : إذا لم يكن الجو باردا فهو حار

- تأويل المثال الثاني : لم يلبس عمر إلاّ ألبسة خفيفة.

16-2 / الإتجاه الحجاجي:

يرتبط هذا المصطلح بمفهوم السلم الحجاجي ويعرف أيضاً بـ "الوجهة"، ويتمثل في دور العوامل و الأدوات والروابط الحجاجية الموجودة في الخطاب من تحديد وجهته واتجاهه، كما يعني أنه إذا كان قول معين ينشئ فعلاً حجاجياً، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بالاعتماد على "الاتجاه الحجاجي"، وهذا الاتجاه الحجاجي قد يكون ظاهراً و صريحاً أو مضمراً مخفياً، « وإذا كان القول أو الخطاب مشتملاً على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أمّا إذا كان القول غير مشتمل على الروابط والعوامل فنستنتج التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي من خلال الألفاظ والمفردات إضافة إلى السياق التداولي والخطاب العام»¹

من خلال هذا القول نستنتج أنّ للروابط والعوامل الحجاجية دوراً هاماً وفعالاً في تقوية درجة التوجيه، والوصول إلى النتيجة المراد تحقيقها في وقت أقصر و بطريقة أنسب .

17 / الأدوات والوسائل الحجاجية عند: "بيرلمان و تيتيكا":

يقسم "بيرلمان" و "تيتيكا" الوسائل الحجاجية اللغوية إلى قسمين هما: "أدوات الوصل وأدوات الفصل"، ويقصد بالأولى « ما يتم به فهم الخطأ التي تقرب بين العناصر المتابعة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كلّ منها بواسطة الأخرى سلباً وإيجاباً، أمّا تقنيات الفصل فهي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلاً واحداً، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها»².

كما أنّهما قد أضافا إلى ما سبق في تقسيمهما للتقنيات الحجاجية ما يلي: « الأدوات اللغوية الصرفة و ذلك مثل ألفاظ التعليل بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتوصيل الحاصل و أيضاً الآليات البلاغية مثل تقسيم الكلّ إلى أجزائه، والاستعارة، التمثيل، البديع، وكذلك الآليات شبه المنطقية التي يجسدها السلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها:

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 62

² ع الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، ص 477

الروابط الحجاجية ، لكن ، حتى ، فضلا ، عن ، ليس ، كذا ، فحسب ، و أدوات التوكيد والصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة»¹

إذا ما نظرنا إلى استراتيجية الحجاج والغاية منه ألا وهي الإقناع التي يقوم أساسا عليها ، والتي يعتمد عليها المتكلم للتأثير في المتلقي من خلال ما يتضمنه خطابه ، فإنّ الوسائل الحجاجية التي تقع تحت استراتيجية الإقناع يمكن ذكرها على النحو الآتي:

1-17/ الوسائل اللسانية:

ويقصد بها أدوات الاتساق والترابط والتلاحم والانسجام بين الألفاظ والعبارات و الأفكار ، وقد تستعمل هذه الأدوات استعمالا حجاجيا ومن أهمها:

أ-الوصل :

يتمثل في وصل اللاحق مع السابق من القول وهو « تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم »² ، ويمكن أن نوظف أدوات الربط خدمة لهذا الوصل بكل أنواعه ، الوصل الإضافي ، الزماني والعكسي .

ب- التكرار :

ويتمثل في إعادة ذكر اللفظ مرة أو أكثر بغرض التأكيد وهو « شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما »³ ، وتبدو حجاجية التكرار واضحة من خلال إعادة اللفظ أو معناه، فهو على قدر ما يؤكد المعنى تعتبر هذه الوظيفة حجاجية له .

ج - الحذف :

يتمثل في حذف بعض عناصر الجملة سواء كان هذا الحذف وجوبا أو جوازا مع عدم الإخلال بالمعنى المراد ، ويفهم المعنى العام من السياق ، والحذف هو علاقة داخل النص تكمن حجاجيته في جعل المتلقي يملأ الفراغ ، اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو استنادا لما سبق من القول أو الخطاب .

¹ ع الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة تداولية لغوية ، ص 477

² مُجَدَّ خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، دار المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1991 ، ص 16

³ مُجَدَّ خطابي ، المرجع نفسه ، ص 24

د - الإحالة :

وتتمثل في جعل المتكلم أو الكاتب بعض الأقوال مؤكدة دون تكرار لعناصرها، و ذلك من خلال توظيفه لأسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة وغيرها ، وتكمن حجاجية الإحالة في « أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتف بذاتها من حيث التأويل ، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها »¹ ، وتنقسم الإحالة إلى نوعين هما "إحالة مقامية" و "إحالة نصية" ، كما أن الإحالة النصية تنقسم إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية ، وبهذا تؤخذ الإحالة بنوعيهما كوسيلة لسانية للحجاج تؤثر على المستمع ، لعمله العقلي في إيجاد الشيء المحال له و أدوات الإحالة ، ولإيجاد معناها يجب مراعاة ما تستند إليه ، وهكذا هي وظيفتها الحجاجية .

17-2 / الوسائل الفلسفية :

أ/ القياس :

وهو ما أخذ في اللغة معنى المماثلة والمساواة والمشابهة ، وقد سمّاه العلماء اللسانيون و الباحثون والفلاسفة ومنهم " طه عبد الرحمان " بالاستدلال الكلامي ، واعتبره وسيلة حجاجية بارزة وهامة وفعالة في الخطاب الحجاجي ، فالقياس عنده هو « فعالية استدلالية خطابية »² ، ويفهم من هذا أن القياس إنما يؤثر تأثيرا واضحا في المتلقي، وذلك من خلال الخطاب الحجاجي ليكون وسيلة حجاجية أكثر نجاعة و إقناعا ، مع العلم أن للقياس أنواعا هي "المماثلة و القياس البرهاني ، والقياس البياني".

ب/ التمثيل :

وهو ما أخذ في اللغة معنى التشبيه ، وفيه تعقد « الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل (المتكلم) من الاحتجاج وبيان حججه »³ ، وعليه فإنّ العناصر المشتركة بين القياس والتشبيه كثيرة ، ويظهر هذا في اعتبار أنّ القياس هو « إظهار لوجود الشبه بين الشيئين »⁴ ، في حين أن التشبيه هو وجود علاقة مشتركة بين شيئين اثنين ، ويفهم من هذا أنّ القياس هو البحث في العناصر المكونة للتشبيه وفي السياق ذاته المعبر عن التشبيه ، فهو يبحث في البنى الاستدلالية لهذاه العناصر وكيفية الربط بينهما بمعنى أنّ « القياس أيّا كانت صيغته التعبيرية التي يرد بها إن مقارنة أو تشبيها أو استعارة أو غيرها ، فإنه يقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما »⁵ .

¹ مجّد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، ص 17

² طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، ص 98

³ ع الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة تداولية لغوية ، ص 497

⁴ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 99

⁵ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 99

كما أنّ القياس هو « البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي ، حقيقة كان أو مجازاً »¹ ، يعتبر القياس وسيلة و آلية منطقية حجاجية ، يمكن للمتكلم أن يعتمد عليها في إقناع المتلقي و التأثير فيه؛ لأن « الاستدلال القياسي يحتوي على آليات يتوالد بها كل خطاب طبيعي، وتتكاثر بها أجزاؤه وتتماسك فيما بينها »².

وتظهر قوة القياس الحجاجية في كونه يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم ، فهو يحتل مكانة عظيمة ويلعب دوراً هاماً وفعالاً في نجاح الخطاب الحجاجي ، وعليه فإنّه يمكن القول بأن الخطاب الحجاجي إنما هو حجاجي ما دام يقوم على القياس ، حاله كباقي الخطابات المعرفية الأخرى مثل الفلسفة ، والفقه ، والبلاغة وغيرها، فكلها توصف بأنها حجاجية (استدلالية) لاعتمادها على القياس كآلية حجاجية و وسيلة لتثبيت قضاياها .

وللقيام « دور كبير في هذه الصناعة عند من يحدق استعماله ؛ لأنّ لمقدماته صوراً عديدة منها مثلاً ما هو معلوم علم اليقين ، ومنها المظنون ومنها المحسوس ولكلّ منها درجته الحجاجية ، بحيث يعتمد المحاجج إلى التركيز على الجزء الذي يخدم بناءه الحجاجي »³ ، ومعنى ذلك أنّ القياس يعمل على إضفاء الصبغة الحجاجية على الخطاب ، ويزيد من عملية الإقناع و التأثير لدى المتلقي ، ومن الخطاب « يستمد القياس مسلماته وفيه يبيّن عملياته و به يربط قواعده ، لذلك اختص بصفات تداولية منطقية متفردة تجعل الآليات القياسية لا ينحصر عملها في قطاع فكري معين ، وإنما يشمل كل خطاب طبيعي أيّاً كانت لغته ، و أيّاً كان مجاله و أيّاً كان مستواه »⁴.

مما سبق نخلص إلى أنّ الاستدلال القياسي تبني فعاليته على ثلاث مسلمات هي: المسلمة الحوارية والتي مفادها أنّ للحوار ثلاثة عناصر هي " مرسل ، مرسل إليه ، والرسالة " ، « ومقتضى هذه المسلمة أنّه لا كلام إلاّ بين اثنين ، لكلّ منهما مقامان هما مقام المتكلم ومقام المستمع ، ولكلّ مقام وظيفتان هما وظيفة المعتقد و وظيفة المنتقد ، بحيث إذا كان المتكلم معتقداً كان المستمع منتقداً ، و إذا كان المستمع معتقداً كان المتكلم منتقداً »⁵

ومما سبق يمكن القول أنّ القياس آلية حجاجية هامة في الخطاب الحجاجي ، تظهر فائدة اعتماده في نجاعة ونجاح الخطاب الحجاجي ، و زيادة قوة الإقناع و التأثير في المتلقي ، فالقياس « لا يصدر حكماً من عنده لا يبتدئه ، بل إنما يصدر حكم الأصل إلى الفرع إثباتاً أو نفيًا ، اعتماداً على ما يجده هو من شبه بينهما يبرر القياس »⁶.

¹ طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 115

² طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 115

³ محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 197

⁴ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 140

⁵ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 99

⁶ طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 115

17-3 / الوسائل البلاغية:

17-3-1 / الآليات البلاغية: "الاستعارة ، التشبيه ، الكناية والمجاز"

الخطاب هو ذلك الكلام الموجه من طرف المتكلم نحو المتلقي ، يهدف من خلاله إلى إقناعه و التأثير فيه بأي شكل من الأشكال ، هذه اللغة التي وظيفتها المتكلم في خطابه سواء كانت حقيقة أو مجازية بقدر ما يفهمها المستمع تكن درجة الإقناع فيه ، « واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان ، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول و إلى التأثير ، وفي صورتها و أجراس كلمها بعدوبة النطق وسهولة اللفظ و الإلقاء والحفة على السمع ، وإنّ للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح والجواد القارح ، يعرف ذلك من أخذها بحق وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم وضرب في أساليبها بسهم»¹.

إنّ من يتمكن من استعمال اللغة ويوظف مفرداتها توظيفاً جيداً ، يمكنه وبسهولة و بطريقة مباشرة أن يبلغ مراده من السامع ، حيث أنّ التأثير في المتلقي يتوقف على مدى امتلاك المتكلم للغة و تمكنه منها ومعرفته بفنونها ، و الأكثر من ذلك هو حسن استعمالها وجودة توظيفها وذلك حسب المقام والحال ، وهنا يجدر الإشارة إلى طبيعة الخطاب سواء كان حقيقياً أو مجازياً ؛ لأنّ الوصول إلى إقناع المتكلم يتطلب اختيار الحجج المناسبة لذلك ، فالحجاج بالمجاز يعني استعمال المتكلم في خطابه الحجاجي للبيان لما له من دور فعّال في تقوية المعنى ومدى التأثير في نفوس المستمعين ، لذلك فالصور البيانية آليات ورسائل حجاجية هامة في الخطاب الحجاجي ، « واعلم أن ما اتفق عليه العقلاء أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورته الأصلية إلى صورته كساها أجهة و كسبها منقبة ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستشار لها من أقاصي الأفتدة صباة وكلفا ، وقسّر الطّباع على أن تعطيهما محبة وشغفا»²

ومن هذا نقول أنّ للصور البيانية أثراً كبيراً و تأثيراً قوياً وبارزاً في المتلقي ، خاصة عند ما يحسن المتكلم اختيارها و يراعي طبيعة المقام والحال ، فيكون مثلاً التشبيه أبلغ إذا وفق المتكلم في توظيف صورته و أنواعه حسب السامع وطبيعة المقام فما يصلح ، و يكون أبلغ في الفخر و التعظيم لا يصلح في الذم و المدح وهكذا ، « وإن كان حجاجياً كان برهانه أنور ، وسلطانه أفقر ، وبيانه أهر ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر ، وأدعى للفكر و أبلغ في التنبيه و الزجر ، و أجدر بأن يجلى الغيا به و يبصر الغاية ، و يبرئ العليل و يشفي الغليل»³.

¹ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح : محمود مجد شاكر ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1981 ، ص1

² عبد القاهر الجرجاني ، المرجع نفسه ، ص 92

³ عبد القاهر الجرجاني ، المرجع نفسه ، ص95

رغم اختلاف ضروب الكلام و تنوعها من فخر ، مدح ، ذم ، وعظ وغيرها ، سواء كان الكلام فيها حقيقة أو مجازا ولكل نوع منهما مقامه وحاله و تأثيره ، فإن طبيعته الحجاجية تبدو واضحة فيها لكتّنها أوضح و أبلغ عن طريق المجاز . إن طبيعة الحجاج تتأرجح بين ما هو وارد في الكلام الحقيقي أم ما هو وارد في الكلام المجازي ، ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة التي يؤديها، والتي لا نجد لها نظير في غيره من الاستدلال وذلك لأن « الأصل في الالتباس الذي يقوم بالحجاج ليس هو تعدد معاني اللفظ في قضية منه على معنى ، وفي قضية أخرى على معنى ثان ¹ » ، بحيث يكون الخطاب الحجاجي في مضمونه يشتمل على معنيين أحدهما حقيقيا و الآخر مجازيا وهو المراد .

وتعد الاستعارة من أنواع المجاز الأكثر استعمالا في الخطاب الحجاجي ، و الأشد وقعا على النفس و تأثيرا في العقل ، كونها تركيبيا يتناسى التشبيه ، كما تأخذ أنواع المجاز الأخرى مكانتها و قوتها في الخطاب الحجاجي على غرار الاستعارة ، لاسيما إذا وظفت في مقامها المناسب لها ، فالمجاز يكون أبلغ و أقوى تأثيرا عندما يوظف وفقا للمقامات و المواقف و الأحوال ، فهذا المقام يناسب الكناية أكثر من التشبيه و الاستعارة ، و آخر يكون أنسب للاستعارة وهكذا دواليك ، وهذا يتوقف على معرفة المتكلم للصواب و للمجاز المناسب لمختلف الخطابات و حسن توظيفه لهذا المجاز ، و تكمن حجاجية الاستعارة على سبيل المثال في « الخاصية التي تغلب على القول المجازي الاستعاري ، هي أنّ الجنس الذي يدخل فيه " المستعار " أو قل إن شئت " المستعار منه " يكون مباينا للجنس الذي يدخل فيه المستعار له ² »

و الأمر نفسه يكون مع التشبيه و حجاجيته التي تكمن في قوة التأثير في السامع، بحيث يسعى المتكلم من خلاله إلى تقريب المعنى إلى ذهن السامع و التأثير فيه و محاولة إقناعه ، و أيضا الكناية التي يرمي من خلالها المتكلم إلى إيصال المعنى المراد إلى السامع بطريقة غير مباشرة ، و يكمن سر بلاغتها في تشخيص المعنى و توضيحه ، أما حجاجيتها فتظهر في إيصال المعنى المراد بألفاظ تم توظيفها في غير حقيقتها .

إنّ الحجاج ما هو إلاّ تأثير جلي و واضح في المتلقي من طرف المتكلم بالمجاز ، الذي يعتمد فيه المتكلم بمعناه المشار إليه؛ لأنّ الكلمة في المجاز ينقل معناها و عن حكم كان بها إلى معنى و حكم ليس بحقيقة فيها ، و فضل الحجاج بالمجاز و بكلّ ضروبه و أنواعه هو « ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك ، وليس إذا كان الكلام في غاية البيان و على أبلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذلك عن الفكرة ، إذا كان المعنى لطيفا فإنّ المعاني الشريفة اللطيفة لا بدّ فيها من ثان على أول و ردّ تال على سابق ³ » .

¹ طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 299

² عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص 297

³ عبد القاهر الجرجاني ، المرجع نفسه ، ص 122

17-3-2/ البديع " المحسنات البديعية اللفظية و المعنوية":

و الأمر ذاته يكون مع البديع و حجاجيته تكمن في قوة التأثير في المتلقي و استمالة مشاعره و إمتاعه و دفعه إلى الإذعان و الإنصات بكل جوارحه و أحاسيسه ، لذلك فإن للبديع بشق ضروره دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب و لكن بهدف الإقناع و البلوغ بالأثر مبلغه ، و البلاغة العربية تعج بالبيان و البديع الذي يؤكد أن الحجاج من وظائفها الرئيسية و تثبت بأن البديع من الآليات و الوسائل البلاغية الحجاجية التي تساعد على الإقناع « و إذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي تقوم في عمليات التفريق و الإثبات و الإلحاق، و أن هذه الآليات هدفها الإفهام بينما أساليب البيان مثل المقابلة و الجنس و الطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين وكذلك البديع، و إنما هي أصلا أساليب للإبلاغ و التبليغ و على العموم فإن هناك أدوات كثيرة و آليات عديدة تسهم في بناء الخطاب حجاجيا بما يتناسب مع السياق فيختار المرسل ما يفي بقصده و يحقق هدفه الإبلاغي»¹

17-3-3/ الآليات اللغوية:

1/ ألفاظ التعليل:

هي مجموعة من الألفاظ التي تبين سبب حدوث الفعل وتعد ألفاظ التعليل من الآليات اللغوية التي يستخدمها المتكلم في تركيب خطابه الحجاجي و بناء حججه فيه ومنها :

أ/ المفعول لأجله ومهما يكن وجه وروده في الخطاب فهو يوصف بالمصدر الذي يدل على سبب ما قبله و يشارك عامله في وقته وفاعله، وهو ثلاثة أنواع قياسية فقد يكون المفعول لأجله :

1/ مصدرا منونا " مجردا من أل ومن الإضافة"

و مثال ذلك قولنا :

يتوافد الطلاب على الجامعة رغبة في التعلم

2/ مصدرا مضافا:

ومثال ذلك قولنا :

يقصد الطالب الجامعة بغية التعلم

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية ، ص498

3/ مصدرا مجرورا مقترنا ب ال:

ومثال ذلك قولنا :

يقصد الطالب الجامعة للتعلم

ب/ لأن:

تعتبر أهم ألفاظ التعليل و أبرزها على الإطلاق وقد يبدأ المتكلم بها خطابا الحجاجي في أثناء تركيبه و « تستعمل لتبرير الفعل و لتبرير عدمه »¹

ج/ كي :

وهي حرف يدخل على الفعل المضارع فينصب آخره و قد تتصل بلام التعليل فتصبح لكي ومن ألفاظ التعليل أيضا : لام التعليل، واللام الناصبة للفعل المضارع وكذلك لام الجر ، ومنها أيضا « ذكر كلمة السبب لحججه التي يسوقها وبالتالي فإن هذا التمهيد يفضي إلى أن ما وراءه هو حجته على الدعوى »².

2/ الأفعال الكلامية :

تلعب الأفعال الكلامية دورا هاما في الحجاج بين طرفي الخطاب و تكون الأفعال بمقدار الاستعمال ، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري من أجل التعبير عن وجهة نظره وكذا تحديد موقفه من نقطة الخلاف أو للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدعاء و لتدعيم وجهة نظره و لتأسيس النتيجة وهذا ما أكده كل من "إيميرن" و "جروتندورست" اللذان إعتبرا أن الهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة الشك لدى المرسل إليه في وجهة النظر محل الخلاف .

أما الأفعال الإلزامية فهي تستعمل للتعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج من عدمه وفي تدعيم موقف المرسل عند الدفاع عنه.

أما الأفعال التوجيهية فإن المرسل لا يستعمل جميع أصنافها وذلك لطبيعتها التي تناسب ما تقتضيه طبيعة الحوار فالسياق قد لا يتطلب بعضها منها كالأمر أو النهي أو الاستفهام و لذلك يقتصر المرسل على استعمال بعضها مواءمة و طبيعة الحال و المقام .

¹ عبد الهدي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية ، ص478

² عبد الهدي بن ظافر الشهري ، المرجع نفسه ، ص479

كما أن الحجاج إن كان قائما على سؤال و جواب ، فليس من الضروري أن يكون السؤال منطوقا به بل يكون سؤالا مفترضا ، لأنه يجسد الباعث على الحجاج بالموافقة تارة ، و بالإعتراض تارة أخرى ، وعليه « فهو الذي يوجه مسار فعل الحجاج فلكل اعتراض أو سؤال حجج تناسبه دون غيره ، وبتغير السؤال تتغير الحجج »¹ .

يعدّ الحجاج مصطلحا عرف الكثير من الأبحاث و الدراسات من أجل تحديد معناه ، لذلك يمكننا أن نقول أنّ الحجاج يأخذ أشكالا متباينة و أنواعا مختلفة ، وذلك حسب طبيعة المواقف و المقامات و الأحوال من جهة ، و حسب المتكلم و المتلقي من جهة أخرى ، غير أنّ الثابت في الحجاج هو وظيفته التي يؤديها والمتمثلة أساسا في إقناع المتلقي و التأثير فيه .

¹ عبد الهدي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية ، ص482

الفصل الثاني

في مفهوم البلاغة

1. مفهوم البلاغة لغة و اصطلاحا
 2. مفهوم الفصاحة لغة و اصطلاحا
 3. نشأة البلاغة العربية وتطورها
 4. أقسام علم البلاغة
 5. التفكير البلاغي عند الثغري التلمساني
 6. المرجعية البلاغية لدى الثغري التلمساني
- "مشاربه و مأخذه"

1/ مفهوم البلاغة:

تعتبر البلاغة من العلوم التي نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، والتي كان لها حظ وافر من العناية والاهتمام من طرف الباحثين والدارسين، كونها تستمد موضوعاتها من القرآن الكريم، هذا الأخير -القرآن الكريم- الذي حباها وآثرها عن سائر العلوم الأخرى، فأعطاهما منزلة مرموقة، وأكسبها شرفاً عظيماً ومنحها درجة رفيعة لا نظير لها في فلك علوم اللغة، لذلك وجب علينا وقبل أن نخوض في بحر هذا العلم الواسع والعميق أن نقف عند بعض المفاهيم والمصطلحات المتعلقة به محاولين تحديدها.

1-1 / لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «كلمة البلاغة مأخوذة من: بلغ، يبلغ، بلوغاً، بلاغاً وبلاغاً، فنقول: بلغ الشيء، أي وصل وانتهى أمّا: أبلغه، إبلاغاً بمعنى انتهى فيه وبلغه تبليغاً أي وصل إلى مراده، والبلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب»¹.

نستخلص من هذا التعريف أن ابن منظور قد حصر مفهوم البلاغة في معنى الوصول والانتهاء.

أمّا عن مفهوم البلاغة لغة عند الزمخشري فهو كالاتي:

«البلاغة مشتقة من بَلَّغَ، فنقول أبلغه سلامي وبلغه، بلاغ، تبليغ، وقد قيل: بلغ في العلم المبالغ، وبلغ الصبي، وبلغ الله به فهو مبلوغ به، وبلغ مني ما قلت بمعنى: وصل وانتهى»².

وعليه فإنّ الزمخشري سار على نهج ابن منظور في المفهوم اللغوي للفظ البلاغة فكان عنده بمعنى الوصول والانتهاء.

مّا سبق يمكن القول أنّ معظم المعاجم العربية ذات معانٍ متقاربة لمصطلح -البلاغة- فهي تدل على معنى الوصول والانتهاء إلى المعنى الذي يجول في الصدر.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج2، ط1، مادة (بلغ)، ص143.

² أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، مادة (بلغ)، ص75.

1-2/ اصطلاحاً:

يقول الإمام الطيبي في مفهوم البلاغة اصطلاحاً:

« البلاغة هي توفية خواص الترتيب في إفادتها، وإيراد معنى واحد في طرق مختلفة بدلالاتها وتحسينها من جهة المعنى، ونعني بها التراكيب من حيث هي لا الصادرة عن البليغ لفساد المعنى »¹.

ونستنتج من هذا التعريف أن الإمام الطيبي في مفهومه للبلاغة يجمع بين أمرين اثنين هما:

أولاً: وجوب وجود إفادة للتركيب يحسن السكوت عنها.

ثانياً: إمكانية وجود عدة تراكيب لمعنى واحد.

أما مفهوم البلاغة عبد العزيز قليقطة فيعرفها كما يلي: « البلاغة وهي في الاصطلاح البلاغي تختلف باختلاف موصوفها إما الكلام وإما المتكلم، فيقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه الكلمة بليغة لأن الكلمة المفردة لا تُكَوَّنُ معنى لا يمكن تبليغه فلا توصف بالبلاغة »².

ويذكرها "حميد آدم ثويبي" معرفاً إياها بقوله: « البلاغة في الاصطلاح وصف الكلام والمتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ولعدم السماح بذلك »³.

مما سبق يتضح لنا أنّ البلاغة عند هؤلاء تشترك في كونها توفية التراكيب إفادة يحسن السكوت عنها، وهي تختص الكلام والمتكلم فقط دون الكلمة باعتبارها لا تؤدي المعنى وهي مفردة لأنها لا تصل بالمتكلم إلى غرضه والشرط في الكلام البلاغة.

ويعرفها القزويني قائلاً: « البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته »⁴.

إنّ الملاحظ للتعريفات السابقة المتعلقة بمفهوم البلاغة في الاصطلاح يمكن أن يصل إلى أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع توفر شرط الفصاحة، وأنها لا تقال للفظه وحدها إنما تقال للكلام وللمتكلم.

¹ الإمام الطيبي، التبيان في البيان، تح: عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص225.

² عبده عبد العزيز قليقطة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص31.

³ حميد آدم الثويبي، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص12.

⁴ القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص8.

2/ مفهوم الفصاحة:

1-2/ لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « كلمة فصاحة مأخوذة من فصح، يفصح، فصيح، فصاح، فصحاء، فصاحة، والفصاحة عنده تعني: البيان، فيقال رجل فصيح وكلام فصيح بمعنى: بليغ، ويقال لسان فصيح أي طلق أفصح يريد بها بيان القول وإن كان بغير العربية »¹.

وعليه فإن الفصاحة هي بيان القول، وتأديته معنى يؤثر في النفس، كما أنها تحمل معنى الطلاقة في اللفظ. أمّا ابن فارس فيعرفها قائلاً: « فصح، يفصح، فصاحة، هي أصل يدل على خلوص في شيء، أو نقاء من الشوب، فيقال لسان فصيح أي طليق، ويقال: أفصح اللبن أي سكنت رغوته، ويقال أفصح الرجل أي تكلم بالعربية فجادت لغته حتى لا يلحن »².

إذن فالفصاحة عند ابن فارس في معناها اللغوي هي: البيان والظهور.

2-2/ اصطلاحاً:

يعرف "أحمد الهاشمي" الفصاحة كالتالي: « في اصطلاح أهل المعاني: هي عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكُتّاب والشعراء لمكان حسنها »³.

إذن الفصاحة في رأيه تختص الألفاظ، فإذا كانت الألفاظ جلية مفهومة تتبادر إلى الأذهان، وتؤثر في النفس، وتكون شائعة الاستعمال بين الكُتّاب والشعراء والأدباء فهي عندئذ ألفاظ فصيحة.

أمّا: عاطف فضل فيعرف الفصاحة بقوله: « هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه وللأشخاص الذين يخاطبُون به »⁴.

إنّ الفصاحة في نظره أنها إذا كان الكلام واضحاً فصيحاً يؤدي معنى ويؤثر في النفس، ويلائم الموضوع الذي قيل فيه فهو كلام فصيح.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصح)، ص186.

² أبو الحسن بن فارس بن زكرياء، المقاييس، ج1، ط1، مادة (فصح)، ص506.

³ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان، والبدیع، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص11.

⁴ عاطف فضل، البلاغة العربية، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص37.

ويعرفها القزويني: فيقول: « أن الفصاحة يوصف بها اللفظ المفرد، والكلام، والمتكلم، أما البلاغة فيوصف بها الأختيار فقط أي الكلام والمتكلم، ويضيف قائلاً: وحتى تكون الكلمة المفردة فصيحة، لابد أن تكون خالية من عيوب هي: التنافر، والغرابة والمخالفة»¹.

يرى القزويني أن الفصاحة لا تقتصر على اللفظة المفردة وحدها بل تتعداها إلى الكلام والمتكلم، أما البلاغة فهي محصورة عند الكلام والمتكلم فقط، ولا يقال: كلمة بليغة إنما يقال كلمة فصيحة إذا ما خلت من عيوب الكلمة وهي التنافر والغرابة والمخالفة.

مما سبق يتضح لنا أن الفصاحة هي الألفاظ المألوفة في الاستعمال، والمتداولة بين الكتّاب والأدباء والشعراء، والتي تؤدي معنى في النفس، هذا ما قد اصطلح عليه معظم العلماء.

3/ البلاغة العربية "النشأة والتطور"

3-1/ البلاغة عند العرب قبل البعثة الحمّدية:

كان العرب قبل الإسلام يتسمون بالبداوة والترحال يحترفون الرعي ويسيروا أميالاً طويلة بحثاً عن الماء والكأ لأنعامهم، غير أنهم ورغم ظروف الحياة القاسية، وشظف العيش لم يهملوا لغتهم وأسلوب خطابهم ومصدر تواصلهم، « وملاحظة جرس الكلمات وانسجام الحروف، ومؤاخاة المعاني للألفاظ وتناسقها لها»² كان كآه من السليقة عندهم وخاصة تميزهم عن غيرهم.

لقد كانت القبائل العربية آنذاك من أولوياتها وعظم اهتمامها أن يخرج من رحمها شاعر فحل فدّ، يكون لسان القبيلة وحاميها، وهو من يزود عنها بما تجود به قريحته في المسابقات والمناظرات، « وما إن تمتلك القبيلة شاعراً فحلاً إلاّ وتقيم الولائم وتدعو إليها جاراتها فتأتيها مهنئة ويؤمها الناس خائفين صاغرين»³.

ولقد ثبت أن العرب كانوا يجعلون من الأسواق والنوادي مسرحاً للمناظرات الشعرية، « ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سوق عكاظ حيث يتابرون في فنون الكلام والقول والبيان»⁴.

كما يبدو جلياً اهتمام العرب بالشعر والشعراء، ومن مظاهر هذا الاهتمام هو إعطاؤهم ألقاباً ونعوتاً لبعض شعرائهم، « ومثال ذلك المهلهل الذي قيل إنّ لقبه هذا إنما يعود لاحتمالين هما: إما أنه أول من هلهل الشعر بمعنى أرقه، انه أول من قصّد القصائد»⁵.

¹ القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص6.

² أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، 1989، ص15.

³ غازي طليمات وعرفات الأشقر، الأدب الجاهلي أغراضه، أعلامه، قضاياها، فنونه، مكتبة الإيمان، دمشق، ط1، 1992، ص55.

⁴ أحمد جمال العمري، المرجع نفسه، ص16.

⁵ المهلهل بن ربيعة، الديوان، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجليل، بيروت، لبنان، دط، ص8.

وإما أن شعره كان « مهلهلاً بمعنى رديئاً »¹.

ومثال ذلك أيضاً لقب « النابغة الشاعر المعروف سمي بذلك لظهوره وبروزه »².

إننا إذا ما أردنا أن نجعل مقارنة بين العرب وغيرهم ممن عرفوا البداوة والترحال من القبائل الأخرى، لرأينا أن العرب يحتلون مرتبة متقدمة عن غيرهم من القبائل، « هذه الأخيرة إنما تأتي في مرتبة أقل »³، والدليل على ذلك أننا مازلنا نقرأ الشعر الجاهلي بل نتذوقه إلى يومنا هذا، لا لشيء إلا لكونه يتسم بدقة الوصف وحكمة البيان، وقوة النفس النائرة لدى فحول شعراء العصر الجاهلي أمثال: امرئ القيس، زهير بن أبي سلمة وطرفة بن العبد.

لا ريب أن شعراء العصر الجاهلي قد جمعوا بين جزالة الألفاظ وعذوبة الأساليب، وسموّ المعاني والأفكار، مما يوحي بسلامة تفكيرهم وعمق تبصرهم، ودقتهم في النقد التي تحتاج إلى ذوق عال ومستوى راق، « ولعل من لطائفهم النقدية ما جرى على لسان النابغة في تفضيل الأعشى على حسان بن ثابت، وتفضيل الخنساء على بنات جنسها، حيث امتعض حسان لذلك وثار قائلاً: أنا والله أشعر منك »⁴ ومنها حيث أقول:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطن من نجده دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم منا خالاً وأكرم بنا ابنا⁵

فقال له النابغة: « أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيفك وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدوك »⁶.

هذا الحكم من طرف النابغة إنما هو حكم ارتجالي له علاقة مباشرة بالذوق الفطري الذي يعد الأساس الأول في إصدار الأحكام النقدية، كما يعد أيضاً من النقاط الأساسية التي تتقاطع فيها البلاغة مع النقد.

مما سبق يمكن أن نصل إلى أن واقع النقد الأدبي في العصر الجاهلي كان مرتكزاً على المفاضلة بين الشعراء، وأن الأحكام الصادرة عليهم تتسم في مجملها بالعفوية والإرتجال مبنية على أساس ذوقي فطري، كما أن بلاغتهم تدرج ضمن الثقافة الشفوية لأن العرب آنذاك كانوا يعتمدون على سليقتهم الأدبية وفطرتهم السليمة المتشعبة باللغة، فيحفظون الشعر ويخزنونه في ذاكرتهم مما جعل عنصر الإبداع في إنتاجهم يكون فنياً، فالجميع على دراية بمعاني الألفاظ ودلالاتها، وإنما التفاوت والتنافس يكمن في كيفية توظيفها وفي طريقة استعمالها واستخدامها.

¹ ابن منظور، لسان العرب، باب اللام، فصل الهاء، ص 706.

² ابن منظور، المرجع نفسه، باب الغين، فصل النون، ص 452.

³ أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، ص 16.

⁴ حسين الحاج حسن، النقد في آثار وأعلامه، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 111.

⁵ حسان بن ثابت، الديوان، تح: عبد امهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1994، ص 219.

⁶ حسين الحاج حسن، المرجع نفسه، ص 111.

3-2/ البلاغة عند العرب بعد البعثة المحمدية:

لقد كرم الله العرب وذلك باصطفائه نبيه محمد ﷺ منهم ونزول القرآن عليه بلسان عربي، لذلك فقد عرفت البلاغة عموماً بعد نزول القرآن مرحلتين هامتين يمكن إدراجهما على النحو الآتي:

3-2-1/ مرحلة ما قبل التدوين (التأليف):

أرسل الله نبيه محمد ﷺ يدعوهم إلى عبادته وعدم الشرك به بغية هدايتهم إلى صراطه المستقيم، وقد أيده بمعجزة بلاغية من جنس ما برع فيه العرب ليعرفوا علوها عن الطاقة البشرية، « فهي معجزة محفوظة عبر الأزمان، خالدة إلى يوم الدين، لذلك فقد جاء القرآن الكريم في أعلى درجات البيان من حيث لفظه وإيقاعه »¹.

لقد وقف العرب أمام بيان القرآن الكريم مبهورين مذهولين بأسلوبه الرائع، وعجزوا عن منافسته ومجاراته، فأقبل المسلمون على القرآن الكريم يتلونه محاولين فهم ألفاظه ومعانيه معتمدين في ذلك على سليقتهم، « وإن صعب عليهم الأمر في فهمه قصدوا الرسول ﷺ فسألوه »².

لما توفي النبي ﷺ، وجاء عهد الصحابة والخلفاء الراشدين فقد أولوا اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وتفسيره، كما اهتموا إلى جانب ذلك بالحديث النبوي الشريف الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث العناية والاهتمام.

أمّا عن اللغة العربية فقد كانوا على دراية بما فهموا وخطاباً ولا ريب في ذلك لأنهم أهلها وما زادهم القرآن الكريم والحديث النبوي إلا تعمقاً فيها وتمكناً منها.

استطاع القرآن الكريم أن يُقَوِّم سلوك العرب، كما تمكن من تهذيب أساليب خطاباتهم، فقد جعلهم يحسنون اختيار ألفاظهم حتى تتناسب ومقاصد الشريعة الإسلامية اقتداءً بالنبي ﷺ « الذي لم يسمع الناس قطّ بكلام أعمّ نفعاً ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم »³.

¹ أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية، ص 17.

² فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط 1، 2005، ص 34.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ط 1، ج 2، ص 17.

لقد كان لزاماً على العربي وحتى يتسنى له معرفة الدين الجديد أن يتعلّم القراءة والكتابة، هذان العنصران قد دعا النبي ﷺ إلى تحصيلهما، « حتى أنه بعد غزوة بدر الكبرى أطلق سراح الأسرى مقابل أن يعلموا المسلمين القراءة والكتابة»¹.

ومما ثبت أيضاً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الميدان أنه حضَّ على تعلم اللغات الأجنبية، والشاهد في ذلك قوله لزيد بن ثابت: « تعلم كتاب يهود فيني ما آمنهم على كتابي، كما أمره بتعلم اللغة السريانية »².
لقد انكب العرب وغير العرب على تعلم القراءة والكتابة حتى يتعرفوا أكثر على أصول الدين الإسلامي، هذا الأمر قد ساعد على انتشار اللغة العربية بجميع علومها وفروعها كالنحو مثلاً، وكذا النظر في مجال المعاملات من أحكام عامة كالزواج وغيرها، « وعلى هذا الأساس قد بدأت حركة علمية مبنية على قاعدة دينية مصدرها القرآن الكريم أولاً، ثم الحديث النبوي الشريف جمعاً وفهماً وشرحاً وتفسيراً وتأويلاً »³.

مما سبق يتضح لنا أن أولئك الداخلين في الإسلام من غير العرب المنضوين تحت راية الإسلام، والمعتنقين للدين الإسلامي بمعية العرب القدامى قد لعبوا دوراً هاماً وفعالاً في تأسيس وتوجيه الحركة العلمية، حيث ظهرت على إثرها الفرق الإسلامية واشتد الجدل فيما بينها خاصة في قضية الإعجاز القرآني، فكثرت فيها الآراء ووجهات النظر وتعددت من خلالها مناحي التفكير.

لقد أضحى القرآن الكريم محوراً لقضية الإعجاز البلاغي « واتخذت الدراسات فيه منحنيين متقاربين، منحني يكشف خصائصه الأسلوبية التي كانت ومازالت وستظل أساس الإعجاز »⁴، ومنحني آخر يستهدف فقه نصوص القرآن، ويرد على الذين طعنوا فيها واعترضوا عليها وعارضوها.

لقد كرس العرب في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد الخلفاء الراشدين جلّ وقتهم في طلب العلم الشرعي وتحصيله، بل جعلوه فرضاً يجب تأديته كباقي الفرائض، محاولين بذلك تطبيق كل ما تعلموه وما فهموه بغية مرضاة الله كأسى غاية لهم في هذا الوجود، ولعلّ الأمر الذي ساعدهم على فهمه وشجعهم إلى المضي قدماً هو وجود النبي ﷺ بينهم، إضافة إلى تمكنهم من اللغة العربية وامتلاكهم ناصيتها ولا عجب في ذلك لأنهم أهلها وأعلم الناس بها، وهم يمارسونها في حياتهم اليومية تواصلاً وتداولاً.

¹ مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1991، ص19.

² محمد بوراس قلعة، الفقيه المفتي زيد بن ثابت الأنصار (ض)، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد 31، 1411هـ، ص196.

³ مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص19.

⁴ شفيق السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، 1987، ص15.

3-2-2/ مرحلة التدوين (التأليف):

لقد تجلت مظاهر الاهتمام بالقرآن الكريم قراءة وفهماً وحفظاً ودراسة من طرف العرب وغيرهم، وبدأت ملامح ذلك الاهتمام بالتنظيم اللغوي وذلك بظهور حركة التدوين والتأليف عبر مراحل متتالية، وبمناهج خاصة مما يتعلق بالإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

لا عجب أن يكون العلم البلاغي مصدره الفكر الديني عند العرب، كيف لا وهم أهل فصاحة وبلاغة دون غيرهم وقد نزل القرآن بلغتهم "اللغة العربية"، «لذلك فإن الدارسين لهذا العلم أرادوا من خلال بحثهم في بلاغة القرآن للوصول إلى التعرف على أحكام الشريعة من جهة، ومن جهة أخرى إدراك الإعجاز القرآني بشقئ ضروبه»¹. ولما كان القرآن الكريم المتضمن لمقاصد الشريعة قد نزل بلسان عربي مبين، فإنه لا بد من معرفة هذا اللسان وخصائصه، وفي هذا المجال يرى ابن خلدون أن معرفة علوم اللسان أمر ضروري ولا بد منه؛ لأنه ذو صلة وطيدة بأحكام الشريعة وهو يقول: «إن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين العرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لكل من أراد علم الشريعة»².

أما عن معرفة الدارسين وإدراكهم للإعجاز القرآني من جهة بلاغته وجوده سبباً فإنه أبا الهلال العسكري يقول: «إن أحق العلوم بالتعلم بعد معرفة الله جل ثناؤه هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، وقد علمنا أنّ الإنسان إذا ما أغفل علم البلاغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع»³.

إن عملية التدوين في بلاغة القرآن الكريم، والكتابة في إعجازه لم تكن وليدة عشية أو ضحاها، إنما هي ثمرة جهود كبيرة ومتعددة، أسهم فيها علماء كثيرون من أهل اللغة والنحو والبيان والأصول، وكان هؤلاء الدور الفعال والأثر البالغ في وضع الحجر الأساس لهذا العلم، من أجل بناء صرح الإنجاز البلاغي في القرآن الكريم ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: «الخليل بن أحمد وسيبويه وأبو عبيدة، وأبو زكرياء يحيى الفراء، والشافعي وابن قتيبة»⁴.

¹ مهدي صالح السامرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، دار عمان، عمان، ط1، 2008، ص11.

² ابن خلدون، المقدمة، ص56.

³ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص1.

⁴ فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، ص37.

لقد لعب أولئك العلماء دوراً هاماً في إرساء قواعد البلاغة في القرآن الكريم، وبنوا بذلك مجدها الشامخ وقد ساهمت دراساتهم ومؤلفاتهم في هذا المجال وبصورة واضحة وكبيرة في تطوير البحوث البلاغية، ولاغلو أن نقول إنَّ الباحث الأول والسبب الرئيس في نشأة البلاغة العربية هو الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، هذه البلاغة التي لم تبلغ أوجها إلا بعد مرورها بمراحل ساهمت في تبلورها لدى العلماء وتطورها عبر فترات، وكانت كلَّ مرحلة ولها منهج معين يُعتمَد في البحث والدراسة، ويمكن ذكر مراحل تطور البلاغة العربية على النحو الآتي:

أ/ مرحلة النشأة:

لم تكن البلاغة العربية بمنأى عن العلوم الأخرى ولا مستقلة عنها، إنما كانت ذات صلة بها، فالحديث عن القضايا البلاغية يكون بالضرورة متصلاً بقضايا أخرى نحوية كانت أو صرفية أو لغوية، ولم يكن للبلاغة ملامح واضحة ومحددة وخاصة بما كعلم مستقل بذاته.

إنَّ ما ميَّز هذه المرحلة هو ارتباط البلاغة بشتى العلوم ومختلفها، ويعتبر كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ أبرز كتبها وأهمها، كما أنه قد طغى عليها المنهج التجميعي « والذي من خلاله يقوم الباحث أو الدارس لعلم البلاغة بتجميع المادة البلاغية وتصنيفها، ونرى في هذه المرحلة جملة من الميزات التي خصت البلاغة العربية نذكرها النحو الآتي »:¹

1/ امتزاج القضايا البلاغية ببعضها البعض

2/ تنوع مدلولات المصطلحات البلاغية

3/ لا تبويب في علم البلاغة

إضافة إلى ما تقدم فإن الملاحظ في المرحلة الأولى لنشأة البلاغة أنها كانت مرحلة تأسيسية لها، إذ لا يوجد كتاب خاص بالبلاغة ذاتها، كما أن هناك مصطلحات بلاغية تحمل معانٍ كثيرة ومختلفة غير التي نعرفها الآن.

لقد استمرت البلاغة في التطور والتدرج من مرحلة إلى أخرى غير أنها ولفترة طويلة بقية متصلة بقضية الإعجاز، ولم يكن البحث فيها لذاتها أو نحوها علماً قائماً بذاته، إنما المرجع الأصلي للبلاغة هو القرآن الكريم، وعليه فقد ظهر علماء كثر ومؤلفات كثيرة منها: كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة وكتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، « واعتمدوا على المنهج الانطباعي في الدراسة البلاغية المبني على الذوق الخالص في التأليف البلاغي دون تبرير أو تعليل علمي »².

¹ علي عشري زايد، البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط6، 2008، ص101.

² علي عشري زايد، المرجع نفسه، ص110.

ب /مرحلة الاستقرار والتفرد والاستقلالية التامة:

لقد عرفت البلاغة العربية تطوراً مستمراً عبر مراحل إلى أن بلغت مرحلة النضج والاستقلالية عن العلوم الأخرى، واستقرت على صورتها النهائية التي نعرفها بها اليوم، فأصبحت البلاغة علماً قائماً بذاته له أسسه وقواعده وجوانبه المتعددة، « ولعلّ خير من مثّل هذه المرحلة هو عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" الذي من خلالهما أرسى قواعد المنهج الفني الذي يمزج بين القاعدة والذوق ويتزوج بين النظرية والتطبيق »¹.

لقد اقتفى السكاكي أثر عبد القاهر الجرجاني مؤلفاً بذلك كتاب "مفتاح العلوم" الذي اعتمد في دراسة علم البلاغة على المنهج التقني وجعل له أسس ودعائم ثابتة، يهتم بالقانون والقاعدة على حساب الذوق والتحليل الأدبي².

مما تقدم يمكن القول أنّ البلاغة العربية قد مرت بمراحل عدة، كما تحكّمت في ظهورها عوامل كثيرة، فقبل نزول القرآن الكريم كان اهتمام العرب بها يجري على سلبقتهم، وكان الحكم فيها ذوقياً انطباعياً يتجلى في المفاضلة بين بيت وبيت آخر، أو بين شاعر وشاعر آخر فكان النقد الأدبي آنذاك أنياً مبنياً على تذوق النصوص الشعرية.

أمّا وبعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين فقد ارتبطت البلاغة بهذا الكتاب المعجز تنظيراً وتأليفاً ارتباطاً وثيقاً، إضافة إلى ذلك فالبلاغة العربية تأثرت أيّما تأثر بجملة من الظروف التي أملت بالمجتمع الإسلامي من جميع النواحي والتي منها:

1/التوسع الإسلامي، وانضواء غير العرب تحت راية الإسلام.

2/انفتاح العرب على غيرهم من الأمصار.

3/ حاجة الداخلين من غير العرب إلى قواعد يحتكمون إليها ودخول هؤلاء مجال التدوين والتأليف مع اختلاف مرجعياتهم وتعدد مشاريعهم وأساليبهم في البحث والتدوين وتفاوت قدراتهم ومكتسباتهم.

¹ علي عشري زايد، البلاغة العربية، ص125.

² علي عشري زايد، المرجع نفسه، ص126.

4/ أقسام علم البلاغة

أولاً: علم البيان:

1-4/ مفهوم البيان لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور: «البيان هو ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء بيانا بمعنى اتضح ، فهو بيّن ، والبيان أي الفصاحة واللّسن وكلام فصيح ، والبيان : الإفصاح مع ذكاء ، والبيّن من الرجال السّمح اللّسان ، الفصيح الظريف ، العالي الكلام»¹

من هذا التعريف نستخلص أنّ البيان بمعنى الوضوح، وهو كل ما يتعلق بخاصية الإنسان اللغوية أي وضوح اللغة عند الإنسان ، ووصولها سليمة من المتكلم إلى المخاطب ، ولذلك نجد أنّ مفهوم البيان عند ابن منظور قد شمل جميع نواحيه و مستوياته ، من تركيب لغوي ، دلالي ، أسلوبي..... إلخ

قال ابن فارس: «بان الشيء و أبانه إذا اتضح و انكشف ، وفلان أبين من فلان أي أوضح كلاما منه»².

ويقول الجوهري: «البيان مصدر من الفعل: بيّن ، يبيّن ، بيانا و تبيينا بمعنى الإبانة و الفصاحة و الإيضاح والكشف عن المشكل»³

« والبيان ما يتبيّن به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء بيانا أي اتضح وضوحا فهو بيّن والجمع أبييناء مثل هيّن و أهيناء ، وكذلك أبان الشيء فهو مبين ، وتبين الشيء أي وضح وظهر ، والتبيين بمعنى الإيضاح و الوضوح»⁴

ويقول الفيروز أبادي: «بان بيانا أي اتّضح ، فهو بيّن والجمع أبييناء»⁵.

¹ ابن منظور، لسان العرب ، مج 1، مادة بيّن، ص 67

² ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص 328

³ الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 4، ج 5، 1978، ص 2083

⁴ ابن دريد ، جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1987، ص 339

⁵ الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، تح: محمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط 5، 2005، ص 1128

وفي المقام نفسه يقول الزبيدي: « بنته بالكسر ، وبَيَّنَّته وتَبَيَّنَّته واستَبَيَّنَّته بمعنى أوضحته وعَرَّفَته ، فبان وبَيَّنَّ وتَبَيَّنَّ واستبان والبيان بمعنى الوضوح »¹

حاصل النظر فيما سبق أن جملة المعاني التي تدور في فلك الجذر اللغوي للفظة بيان لا تخرج عن معنى الوضوح و الانكشاف ، وقد ذكرت لفظة البيان في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الرِّحْمَانَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (3) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُونَ (4) ﴾ .
سورة الرحمن الآية 1 إلى 4

وقوله أيضا : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 138
وقوله أيضا : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .
سورة النحل الآية 64

4-2 / مفهوم البيان اصطلاحاً :

1 / يعرفه الجرجاني بقوله :

« البيان عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع »².

ويقول أيضا : « إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا ، وأسبق فرعا ، و أحلى جنى ، وأعذب وردا ، وأكرم تناجا ، و أنور سراجا من علم البيان ، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلبي ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويقري الشهد ، و يريك بدائع من الزهر ، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إيّاها، لبقيت كامنة مستورة »³

أمّا عبد الرحمان حسن فيقول عن البيان : « البيان هو علم يبحث في كيفية تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها ، وتختلف في صورها و أشكالها ، وما تتصف به من إبداع وجمال أو قبح و ابتذال »⁴
لقد عرفه ابن الأثير : « أما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة، وبالنقصان بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »⁵.

¹ الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ص 297

² عبد القاهر الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، 2010 ، ص 43

³ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 5 و 6

⁴ عبد الرحمان حسن ، البلاغة العربية ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، ط 1 ، 1997 ، ص 126

⁵ أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، دط ، 2007 ، ص 238.

مما سبق يمكن القول بأنّ البيان هو قسم من أقسام علم البلاغة، وهو علم يهتم بوضوح اللفظ والمعنى عند المتلقي، فتصل المعاني واضحة ظاهرة في نفس السامع دون لبس أو غموض.

يرى العلماء أنّ لعلم البيان أربعة أقسام هي: المجاز ، الاستعارة ، التشبيه، والكناية ، أو ما يعرف باسم الصور البيانية.

4-3/ أقسام علم البيان:

4-3-1/ الاستعارة:

تعدّ الاستعارة صورةً بيانية هامة وهي الأكثر استعمالاً و توظيفاً لدى الأدباء و الشعراء ، و « الاستعارة تقوم على المشابهة والمشاركة بين اللفظ والمعنى ، وهي ملوّنة لغوي يشترط فيه أركان بعينها : كالمستعار ، والمستعار منه ، ولا بدّ من وجود مشاركة بين كلا الطرفين »¹

ويعرفها الجرجاني فيقول: « الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها وملاكها ، وتقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا تباين في أحدهما إعراض كف الآخر »²

و أيضاً الاستعارة: « هي مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة »³

اذن مما سبق فالاستعارة هي صورة بيانية تتمثل في تشبيه حذف أحد طرفيه الأساسيين إما المشبه أو المشبه به ، وقد قسم علماء البلاغة الاستعارة إلى أقسام منها :

4-3-2/ أقسام الاستعارة :

1/ من حيث طرفيها قسمت إلى: « مكنية و تصريحية »⁴

2/ من حيث لفظها قسمت إلى: أصلية وتبعية

3/ وباعتبار الملائم قسمت إلى ثلاثة أنواع وهي : مرشحة ، مجردة ، ومطلقة

4/ استعارة تمثيلية ولها نوعان : « مفردة و مركبة »⁵

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010، ص143

² علي بن يخلف الكاتب ، مواد البيان ، تح : حاتم صلاح الضامن ، دار النائر ، دمشق ، سوريا ، ط1، 2003، ص125

³ القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتني و خصومه ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد الجاوي ، دار القلم ، لبنان ، 2008، ص41

⁴ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع ، ص261

⁵ عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص181

يقسم البلاغيون الاستعارة من حيث طرفيها إلى استعارة مكنية و استعارة تصرّيجية .

أ/ الاستعارة المكنية :

هي الاستعارة التي حذف فيها المشبه به وترك له لازمة من لوازمه (قرينة من قرائنه) تدل عليه ومثال ذلك قولنا : "عضني الجوع"، فالمجاز اللغوي في كلمة الجوع حيث شبهنا "الجوع" بـ "حيوان مفترس" وحذفنا المشبه به وهو "الحيوان" و تركنا لازمة من لوازمه تدل عليه وهي "عضني" جئنا بها على سبيل الاستعارة المكنية ،كون المشبه به في هذه الاستعارة مخفيا سميت باستعارة مكنية

ب/ الاستعارة التصريجية :

هي الاستعارة التي صرّح فيها بلفظ المشبه به و حذف فيها المشبه ومثال ذلك قولنا : ظهرت عروس النهار تبعث بأشعتها، فالمجاز اللغوي في لفظة عروس النهار يراد بها الشمس حيث شبهنا " الشمس" بـ "العروس" وحذفنا المشبه وهو " الشمس" وصرحنا أي ذكرنا المشبه به وهو "العروس" جئنا بها على سبيل الاستعارة التصريجية و الأصل قولنا : ظهرت الشمس كالعروس

3/ من حيث لفظها « تنقسم الاستعارة إلى أصلية و تبعية »¹

أ/ الاستعارة الأصلية : هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق

مثال ذلك قولنا: نزل أسود الجزائر إلى الملعب لإجراء المباراة النهائية في كرة القدم

في هذه العبارة يفتخر القائل بأبطال الجزائر في كرة القدم بعد تأهلهم إلى المباراة النهائية لإحراز الفوز و تحقيق النصر و حصولهم على الكأس، حيث شبه القائل "اللاعبون" بـ "الأسود" وحذف المشبه وهو "اللاعبون" وصرّح بالمشبه به وهو "الأسود" ولفظة أسد هي كلمة جامدة غير مشتقة، وعليه فإنّ هذا النوع من الاستعارة سمي « بالاستعارة الأصلية »².

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص181

² عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص182

ب/ الاستعارة التبعية : وهي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية 145

في هذه الآية الكريمة استعارة تصريحية تتجلى في لفظة "سكت" حيث شبه انتهاء الغضب بـ "السكوت" وحذفنا المشبه وهو "نهاية الغضب" وصرحنا بالمشبه به وهو "السكوت" و إذا تأملنا في لفظة سكت فإنها فعل من المصدر السكوت وعليه فإنّ هذا النوع من الاستعارة يسمى بـ « الاستعارة التبعية »¹.

4-3-3 / التشبيه :

يعرفه أبو هلال العسكري بقوله : « أنّه نياحة ، أي أنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه »²
 ويعرفه ابن رشيق بقوله : « هو صفة الشيء بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته لأنّه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه »³
 ويعرفه : د. عبد العزيز عتيق بقوله : « التشبيه بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر ، بأداة في الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة تقرب بين المشبه و المشبه به في وجه الشبه »⁴
 ويعرفه د . علي جميل سلوم : « التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمران في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة ، أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام »⁵
 مما سبق يمكن القول بأن التشبيه صورة بيانية تتمثل في وجود علاقة بين شيئين اشتركا في صفة واحدة أو أكثر ربطت بينهما أداة تشبيه .

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 183

² أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 245

³ ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر و نقده ، ص 462

⁴ عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص 62

⁵ علي جميل سلوم ، الدليل إلى عروض الخليل ، درا العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، 2015، ص 103

4-3-4 / أركان التشبيه : للتشبيه أربعة أركان هي :

« المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه (وهي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة) ، ووجه الشبه وهو الصفة أو الصفات التي تجمع بين الطرفين »¹

و مثال ذلك قولنا : مُجَّد كالقمر في الحسن

أركان التشبيه هي :

1/ المشبه : مُجَّد

2/ المشبه به : القمر

3/ أداة التشبيه : الكاف "ك"

4/ وجه الشبه : في الحسن

« والتشبيه لا يكون إلا بوجود ركنيه الأساسيين المشبه والمشبه به ، أمّا الآداة ووجه الشبه وبحسب وجودهما أو حذفهما يتخذ التشبيه أسماءه منها : التشبيه المفصل ، التشبيه المجمل ، التشبيه المرسل ، التشبيه المؤكد ، والتشبيه البليغ »²

بناء على ما سبق نستطيع أن نقول : أنّه بالنظر إلى الأركان التي يتألف منها التشبيه فإنّ لديه أنواعا هي :

4-3-5 / أنواع التشبيه من حيث أركانه التي يتألف منها :

1/ التشبيه التام : هو التشبيه الذي استوفى أركان التشبيه الأربعة (المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه ، ووجه الشبه)

ومثال ذلك قولنا : الرجل كالأسد في الشجاعة

نوعه: تشبيه تام

أركانه: 1/ المشبه :الرجل

2/ المشبه به :الأسد

3 / أداة التشبيه : الكاف "ك"

4/وجه الشبه :في الشجاعة

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 64

² مُجَّد علي الهاشمي ، المنهل العذب في الدراسة الأدبية ، دار القلم الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص314

2/ التشبيه المؤكد: هو التشبيه الذي حذفت منه أداة التشبيه ويتكون من ثلاثة أركان فقط (المشبه ، المشبه به ، ووجه الشبه)

ومثال ذلك قولنا : الرجل أسد في الشجاعة

نوعه : تشبيه مؤكد

أركانه :

1- المشبه : الرجل

2- المشبه به : الأسد

3- أداة التشبيه : غير موجودة

4- وجه الشبه : في الشجاعة

3/ التشبيه المجمل: هو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه ، ويتكون من ثلاثة أركان فقط وهي: (المشبه ، المشبه به ، وأداة التشبيه)

ومثال ذلك قولنا :الرجل كالأسد

نوعه: تشبيه مجمل

أركانه :

1/ المشبه : الرجل

2/ المشبه به : الأسد

3/ أداة التشبيه : الكاف "ك"

4/ التشبيه البليغ: هو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه و أداة التشبيه معا، ويتكون من ركنيه الأساسيين فقط وهما: (المشبه و المشبه به).

ومثال ذلك قولنا : الرجل أسد

نوعه : تشبيه بليغ

أركانه :

1/ المشبه : الرجل

2/ المشبه به : أسد

5/ التشبيه المرسل : هو التشبيه الذي تذكر فيه أداة التشبيه ،ويحذف منه وجه الشبه مع ذكر لازمة تدل عليه كصفة للمشبه

ومثال ذلك قولنا : الرجل قويّ كالأسد

نوعه : تشبيه مرسل

أركانه :

1/ المشبه : الرجل

2/ المشبه به : الأسد

3/ : أداة التشبيه : الكاف "ك"

وذكرت هنا لفظة " قوي " باعتبارها صفة للمشبه الذي هو الرجل ، وهي في نفس الوقت لازمة وخاصة من خصائص وجه الشبه المحذوف

6/ التشبيه المفصل : هو التشبيه الذي يذكر فيه وجه الشبه مع ذكر لازمة و خاصة من خصائصه تعود عليه تأتي مباشرة بعد المشبه فتكون صفة له ، ويحافظ التشبيه المفصل على أركانه الأربعة مع إضافة تلك الصفة التي تأتي بعد المشبه مباشرة .

ومثال ذلك قولنا : الرجل قوي كالأسد في شجاعته

نوعه : تشبيه مفصل

أركانه :

1/ المشبه : الرجل

2/ المشبه به : الأسد

3/ أداة التشبيه : الكاف "ك"

4/ وجه الشبه : في شجاعته

هنا نلاحظ لفظة "قوي " التي ذكرت مباشرة بعد المشبه وهو الرجل ، وهي صفة له و في نفس الوقت خاصة من خصائص وجه الشبه ، وفي هذا التشبيه نلاحظ أنّ جميع أركان التشبيه المذكورة مع إضافة صفة " قوي " إلى المشبه و هكذا يكون التشبيه المفصل .

4-3-6 / أقسام التشبيه:

أ / التشبيه الضمني :

هو « تشبيه لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلهجان في التركيب وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن¹ ، كما أنه « و بيان ذلك أن الكاتب أو الشاعر قد يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحي بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صور المعروفة² .

مما سبق يمكن أن نقول أنّ التشبيه الضمني هو تشبيه ليس من صور التشبيه المعروفة و المصرّح بها، إنما يفهم من سياق الكلام

ومثال ذلك قول المتنبي³:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

يمدح الشاعر المتنبي مدوحه سيف الدولة ويثني عليه بالعديد من الخصال الحميدة ، فقد شبهه في هذا البيت الشعري كونه متميزا عن الناس حتى أنه أصبح كأنه أصل وهم الفرع ، هذه الحال هي نفسها حال المسك في تميزه عن جميع الدماء التي تجري في الغزال ، وهذا التلميح يجعل المتلقي يستنتج وجه الشبه الموجود بين الطرفين والذي يفهم ضمناً من سياق الكلام، فيكون بذلك هذا التشبيه تشبيهاً ضمناً لأن المتلقي يعمل فكره وعقله حتى يستنبط عناصر هذا التشبيه والربط بينها .

ب / التشبيه التمثيلي:

« هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور ويشترط فيه تركيب الصورة سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبه حسية أو معنوية، وكلما كانت عناصر الصورة أو المركب أكثر كان التشبيه أبلغ⁴ ، إذن فالتشبيه التمثيلي هو تشبيه صورة بصورة.

ومثال ذلك قولنا:

رأيت الأطفال يمرحون يوم العيد كما النجوم تتألاً في السماء

هنا شبهنا صورة الأطفال وهم يرتدون ملابسهم الجديدة فرحين بيوم العيد بصورة النجوم وجمالها في السماء وهي تتألاً وتبعث بنورها ، وهنا تشبيه صورة بصورة لذلك نسميه تشبيهاً تمثيلاً.

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص101

² عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص102

³ المتنبي ، ديوانه ، تح : عبد الوهاب عزام ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1983، ص258

ج/ التشبيه البليغ : هو ما حذف منه أداة التشبيه و وجه الشبه، والإبقاء على الركنين الأساسيين المشبه والمشبه به و المساواة بينهما في المعنى .
يقول الثغري:¹

هو النور والحججه التي بها حلل الدين الحنيف ترمم

في هذا البيت يمدح الشاعر النبي ﷺ ويشي عليه ويذكر بعض صفاته المادية التي لا مثيل لها، فانتهى صفة البهاء والضياء و الجمال ومثله بالنور المشع من أجل تقريب الصورة وتوضيحها إلى ذهن المتلقي، فنلاحظ في هذا البيت الشعري أنّ الشاعر شبه الرسول ﷺ بالنور فذكر المشبه وكذلك المشبه به، لكنه حذف وجه الشبه وأداة التشبيه جاء به على سبيل التشبيه البليغ.

* أشكال التشبيه البليغ:

للتشبيه البليغ أشكال مختلفه هي:

أ/ بشكل جملة اسميه أو فعليه ينعقد فيها التشبيه بين شيئين:

ومثال ذلك قولنا: العلم نور

نوعه: تشبيه بليغ

أركانه:

1/المشبهه: العلم

2/المشبه به: نور

ب/ بالشكل الإضافي: بحيث يكون فيه المشبه به مضافا والمشبه مضافا إليه

ومثال ذلك قولنا: نتهدي بنور العلم

نوعه: تشبيه بليغ

أركانه:

1 /المشبهه: العلم → و هو مضاف إليه

2 /المشبه به: نور → وهو مضاف

¹ أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري ، ديوان الثغري ، تح : نوار بوحلاسة ، مخبر الدراسات التراثية ، جامعة منتوري قسنطينة، 2004 ص135

ج / بشكل مفعول مطلق مبين للنوع:

ومثال ذلك قولنا: تمشي الفتاة مشية الغزال

نوعه: تشبيه بليغ

أركانه:

1/المشبه: الفتاة

2/المشبه به : الغزال

و تعرب لفظة: "مشية": مفعولا مطلقا

4 /التشبيه المقلوب: هو التشبيه الذي يكون فيه المشبه مشبها به بادعاء أنّ وجه الشبه فيه أقوى وأظهر

ومثال ذلك قولنا:

ظهر القمر كأن نوره وجه النبي ﷺ

نوعه: تشبيه مقلوب

أركانه:

1 /المشبه: وجه النبي ﷺ

2 /المشبه به: القمر

3 /أداة التشبيه: كأنّ

4 /وجه الشبه: النور

4-3-7 / المجاز المرسل:

« المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه »¹

و أيضا « هو ما تكون فيه العلاقة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي للكلمة قائمة على غير المشابهة »²

والمجاز المرسل هو « الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة

على عدم إرادة المعنى الوضعي »³

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص185

² خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2009، ص189

³ علي جميل سلوم ، الدليل إلى عروض الخليل ، ص138

4-3-8/ علاقات المجاز المرسل:

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة منها:

السببية، المسببة، الجزئية، الكلية، المحلية، الحالية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، ومن أمثلة المجاز المرسل ما يلي:

1/ الكلية:

و مثال ذلك قولنا: "شربت ماء النهر" فالجواز في لفظة ماء النهر، لم أشرب ماء النهر كله في الحقيقة و لكن

الحقيقة أنني شربت بعض ماء النهر، غير أنه ذكر ماء النهر كله والمراد بعضه فالعلاقة هنا: الكلية

2/ الجزئية :

ومثال ذلك قولنا: أرسلت العيون لتطلع على العدو، فالجواز هنا هو لفظة العيون فالحقيقة لم أرسل العيون فقط،

إنما أرسلت الإنسان كله لكنني ذكرت جزءا منه وهو العيون فالعلاقة هنا علاقة جزئية.

3/ المحلية أو المكانية:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

سورة يوسف الآية 82

المجاز في لفظة القرية لأن الحقيقة أن يسأل أهل القرية وسكانها فوظفت القرية وهي المكان والمحل الذي يسكنه

الناس، واستعملت القرية لكن المراد هو سكانها والعلاقة هنا: المحلية أو المكانية

4/ الحالية:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ سورة المطفيين الآية 22

يبين لنا الله تعالى في هذه الآية حال المؤمنين وهم يتنعمون في الجنة، فرحين مستبشرين بما أتاهم الله من نعيم مقيم

فكانت العلاقة هنا الحالية

5/ السببية :

ومثال ذلك قولنا : " فلان يده كثيرة الفضل " فالجواز يكمن في لفظة: يده والحقيقة أن هذا الشخص جواد

وكرم وفضله واسع يبسطه على الآخرين، و سبب هذه النعم التي ينعم بها هو اليد إذن فالعلاقة هي : السببية

6/ المسببية:

مثال ذلك قولنا: " أمطرت السماء رزقا " فالجواز في كلمة " رزقا " لأن الحقيقة أن السماء تمطر مطرا يكون

مسببا في نمو مختلف النباتات والأشجار والثمار التي تدر رزقا على الإنسان، إذن فالعلاقة هي علاقة مسببية

7 / باعتبار ما كان:

ومثال ذلك قولنا: "يأكل الإنسان القمح" فالجواز في كلمة القمح لأن الحقيقة يأكل الإنسان الخبز الذي كان قمحا، وعليه فإنّ العلاقة هنا هي علاقة باعتبار ما كان

8 / باعتبار ما سيكون:

ومثال ذلك قولنا: "يزرع الفلاح التفاح" والجواز هنا في لفظة التفاح لأن الحقيقة هي يزرع الفلاح بذور التفاح ستكون في المستقبل شجرة تثمر التفاح والعلاقة هنا هي علاقة باعتبار ما سيكون .

4-3-9 / الكناية :

تعريفها

1 / لغة: « الكناية مصدر للفظه كناية فنقول : كناية بكذا عن كذا بمعنى أخفيته عنه ولم أصرح به »¹

2 / اصطلاحا: « الكناية لفظ أطلق و أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى »².

و أيضا: « الكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى إليه ، و أرفده في الوجود فيومي إليه و يجعله دليلا عليه »³

إذن الكناية هي صورة بيانية تتمثل في لفظ أريد به معنى مجازي، مع إمكانية إيراد المعنى الحقيقي.

4-3-10 / أقسام الكناية: للكناية ثلاثة أقسام هي:

1 / كناية عن صفة :

وهي التي يراد باللفظ صفة معنوية مثل : الشجاعة ، الكرم ، وغيرها .

ومثال ذلك قولنا: "فلان كثير الرماد"

هنا مدح وثناء على هذا الإنسان لأتته وسم بالكرم الشديد ، حيث أنّ الضيوف يقصدون هذا الإنسان باستمرار ، و أنّ هذا الإنسان يكثر من إشعال النار و تحضير الطعام لضيوفه دون كلل أو ملل ، وهنا كناية عن صفة وهي صفة الكرم والجود .

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 203

² عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص 203

³ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 62

2/ كناية عن موصوف :

وهي التي يطلب بها نفس الموصوف والشرط هو أن تكون الكناية تختص بالمكنى عنه ولا تتعداه ، وذلك حتى يحصل الانتقال منه إليه .

ومثال ذلك قولنا : فلان ذو موطن حلم رحب

فالكناية تكمن في قولنا : "موطن الحلم" ، والمقصود بها الصدر لأنّ موضع الحلم وموطنه عند العرب هو الصدر ، وهنا كناية عن موصوف لأنّ الصدر هو من يوصف بأنّه موطن الحلم

3/ كناية عن نسبة :

وهي التي يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف .

ومثال ذلك قولنا : فلان يسير إليه المجد ، هنا نسب المجد و العظمة إلى هذا الإنسان ، ولكن بدل أن ننسب

إليه المجد بصريح العبارة فنقول : "هو عظيم" ، قلنا : " يسير المجد إليه " لأنّه يلزم من ذلك اتصافه به ، وهنا كناية عن نسبة .

ثانيا: علم البديع

5/ مفهوم البديع :

5-1/ لغة :

« بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه أي أنشأه و بدأه ، والبديع و البدع الشيء الذي يكون أولا ، وقوله تعالى :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوجِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة الأحقاف الآية 09 ، أي ما كنت أول من أرسل ، والبدعة أي الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال ، والبديع هو المحدث العجيب ، والبديع أي المبدع ، فنقول : أبدعت الشيء أي اخترعته لا على مثال ، والبديع اسم من أسماء الله الحسنى لإبداعه الأشياء و إحداثه إيّاها ، وهو البديع الأوّل قبل كلّ شيء ، وبدع الخلق أي بدأ الخلق¹ .

¹ ابن منظور، لسان العرب ، مادة بدع ، ص6 و 8

5-2/ اصطلاحا :

« علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »¹

« والبديع هو علم يعرف به الوجوه والمزايا تزيد الكلام حسنا و طلاوة ، و تكسوه بها رونقا وجمالا »²

ويعرفه ابن خلدون بقوله : « علم البديع هو النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التعميق ، إقما بسجع يفصله ، أو بتجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه اشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك »³

5-3/ أنواع البديع :

5-3-1/ أنواع المحسنات البديعية : المحسنات البديعية نوعان هما :

أ / المحسنات البديعية المعنوية :

« فالمعنوي يعود إلى تحسين المعنى أولا بالذات و إن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا ، والمحسنات المعنوية كثيرة منها : الطباق ، المقابلة ، التورية ، حسن التعليل ، الاستطراد ، الاطراد ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تأكيد الذم بما يشبه المدح »⁴

ب / المحسنات البديعية اللفظية:

« و هو ضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا و إن تبع ذلك تحسين المعنى ، لأنّ المعنى إن عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى ، والمحسنات اللفظية كثيرة منها: الجناس ، السجع ، الاقتباس ، التصريح ، التضمين ، حسن الابتداء والختام والتخلص »⁵.

¹ خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص238

² أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع ، ص361

³ ابن خلدون ، المقدمة ، ص 1066

⁴ سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، دار الفكر ، إيران ، دط ، 2016، ص447

⁵ سعد الدين التفتازاني ، المرجع نفسه ، ص447

I) المحسنات المعنوية:

أ/ الطباق:

« ويسمى المطابقة و التضاد ، وهو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة الواحدة »¹

إذن فالطباق محسن بدعي معنوي يتمثل في وجود لفظتين متضادتين في جملة واحدة .

و للطباق نوعان هما:

1 / :طباق الإيجاب: هو أن يؤتى بالكلمة وضدها مباشرة.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ سورة نوح الآية 5

فالطباق في لفظتي " ليلًا و نهارًا" وهو طباق الإيجاب

2 / طباق السلب: هو أن يؤتى بالكلمة ونفيها في جملة واحدة، وأدوات النفي هي: "لا،لم،لن،ما،لما،وليس"

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قُنُوتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ سورة الزمر الآية 9

و الطباق في قوله: "يعلمون و لا يعلمون" وهو طباق السلب.

ب/ المقابلة: « وصحة المقابلة أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق أو المخالفة بين بعضها ببعض فيوافق بما

يوافق وفي المخالف على الصحة، و يشترط شروطا أو يعدد أحوالا في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل

الذي شرطه وعدده ، وفيما يخالف بمثل ذلك »²

والمقابلة هي « إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة »³

والمقابلة أيضا هي « أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب »⁴

إذن فالمقابلة محسن معنوي يتمثل في وجود جملتين متضادتين في عبارة واحدة ويشترط فيها الترتيب وهي أنواع:

¹ خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص238

² قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص95

³ أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص337

⁴ خطيب القزويني ، المرجع نفسه ، ص335

1 /مقابله اثنين باثنين:

ومثال ذلك قولنا: يعمل الرجل بياض نهاره وسواد ليله

وتكمن المقابلة في عبارة "بياض نهاره ≠ سواد ليله"

2/مقابلة ثلاثة بثلاثة:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران الآية 104

وتكمن المقابلة في عبارة " يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ≠ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ "

3 /مقابلة أربعة بأربعة:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا

مَنْ بَخَلَ وَاسْتَعْطَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (10)﴾ سورة الليل: الآيات من 5 إلى 10

وتكمن المقابلة في عبارة " أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ≠ بَخَلَ وَاسْتَعْطَى وَكَذَّبَ

بِالْحُسْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى " .

ج/التورية:

أ/ لغة:

« التورية هي مصدر للفعل ورى يقال: ورّيت الخبر بمعنى سترته وأظهرت غيره، والتورية بمعنى الإبهام والتوجيه

والتخيير ، لكن لفظة التورية أولى بالتسمية لقرنها من مطابقة المسمى »¹

ب/ اصطلاحا:

التورية من فنون البديع المعنوي، « وهي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي

هو المراد »².

وللتورية أربعة أنواع هي: « مجردة ، مرشحة ، مبيّنة، ومهيّأة »³

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص86

² عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص122

³ عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص126

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلِيُّ الْعَرْشِ إِسْتَوَىٰ﴾^ط سورة طه الآية 05

فالتورية في هذه الآية الكريمة تكمن في لفظة "استوى" ، لأنها أخذت معنيين الأول الاستواء بمعنى الاستقرار في المكان وهو معنى قريب غير مراد ، والثاني معنى الملك والاستيلاء وهو معنى بعيد وهو المراد.

المحسنات البديعية اللفظية:

المحسنات البديعية اللفظية كثيرة نأخذ منها:

أ/ الجناس:

ويسمى "التجانس" أو "المجانسة" أو "التجنيس"، ويعرفه ابن المعتز بقوله: «الجناس أن تجيء بكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها تشبهها في تأليف حروفها»¹ والجناس أيضا هو «تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى ، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان في المعنى يسميان ركني "الجناس" ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة»²

إذن فالجناس هو محسن بديعي لفظي يتمثل في تشابه كلمتين لفظا و اختلافهما معنى وله نوعان:

1/الجناس التام:

« هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: «نوع الحروف ، وحركتها ، وعددها ، وترتيبها»³ ومثال ذلك قولنا: "صليت المغرب في المغرب" .

الجناس في كلمتي المغرب والمغرب ، فالمغرب الأولى تعني صلاة المغرب أمّا المغرب الثانية فتعني مدينة المغرب الأقصى، فهما متشابهتان لفظا مختلفتان في المعنى و هذا هو الجناس التام

2 /الجناس الناقص "غير التام":

« هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة: إمّا الحروف ، أو العدد ، أو الحركات ، أو الترتيب»⁴

ومثال ذلك قولنا: "يجد ويكد الطالب لتحقيق طموحه".

فالجناس في كلمتي "يجدّ و يكدّ" وهو جناس ناقص لأنّ الكلمتين لم تتفقا في نوع الحروف.

¹ ابن المعتز ، كتاب البديع ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، 1979، ص25

² عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص196

³ محمد علي الهاشمي ، المنهل العذب في الدراسة الأدبية ، ص321

⁴ محمد علي الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص322

2 / السَّجْع:

السَّجْعُ «إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع ، ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ، ولا عند توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد من السَّجْع ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل أديب من الأدباء سَجَّاعاً¹ إذن فالسَّجْع هو تشابه الفواصل الأخيرة للكلمات في النثر أو في الشعر واتفاقهما على حرف واحد .

وللسَّجْع أنواع منها: "المطرف ، الترصيع ، المتوازي" . ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ط

(1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ط (2) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ط (3) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدْنَ ط (4) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ط (5) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ط (6) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ط ﴿

سورة الرحمن الآيات 1-8

فلاحظ السَّجْع في الألفاظ التالية: "الرحمن ، القرآن ، البيان ، يسجدان ، الميزان" ، فجميع هذه الألفاظ ختمت

بفاصلتين متشابهتين هما: "الألف والنون (ان)" ، مما أعطى المعنى جرساً موسيقياً طربت إليه الأذن.

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 215

ثالثاً: علم المعاني:

علم المعاني هو « علم مقتضى الحال المختلفة فإن مقامات الكلام متفاوتة ، لأنّ الاعتبار اللاحق بهذا المقام يغيّر الاعتبار اللاحق بذلك ، هذا عين تفاوت مقتضيات الأحوال لأنّ التغيرات بين الحال والمقام يكون بحسب الاعتبار»¹.

وهو أيضاً « علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال»².

وكذلك « علم المعاني يعلمنا كيف نركّب الجملة العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد، على اختلاف الظروف والأحوال»³.

إذن علم المعاني هو العلم الذي يبحث في الجمل وبنائها وترتيب عناصرها ، وفي أنواع ألفاظها وفي الغرض الذي يرمي إليه المتكلم ، وفي العلاقة بين ألفاظ الجملة الواحدة فالعبارة ثم الكلام ، ولعلم المعاني أنواع هي: « الخبر ، الإنشاء ، أحوال المسند ، وأحوال المسند إليه ، القصر ، الفصل والوصل ، أحوال متعلقات الفعل ، الإيجاز والإطناب والمساواة»⁴.

6/ أقسام علم المعاني :

لعلم المعاني قسمان هما :

1-6 / الخبر:

« الخبر هو قول يحتمل التصديق أو التكذيب ويجوز أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب»⁵.

إذن فالأسلوب الخبري هو كلام يحتمل التصديق أو التكذيب وله أغراض هي:

أ/ « إذا كان المخاطب جاهلاً بالخبر فإتّك إذا ما أخبرتّه تقصد بذلك إفادته بمضمون الخبر ولم يكن يعرف ذلك ، فأنت تفيده خبراً جديداً ويسمى هذا النوع من الإخبار ب "فائدة الخبر"»⁶

ومثال ذلك قولنا:

"أنت ناجح في الإمتحان".

هنا باعتباره خبراً يجهله المخاطب ولا يعرفه .

¹ سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، ص38

² خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص71

³ بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، 2009 ، ص51

⁴ بكري شيخ أمين ، المرجع نفسه ، ص53

⁵ محمد علي الهاشمي ، المنهل العذب في الدراسة الأدبية ، ص327

⁶ بكري شيخ أمين ، المرجع نفسه ، ص56

ب/ « أما إذا كان المخاطب عالماً بمضمون ما يقوله المتكلم ، فإنك بذلك لا تفيده بجزء جديد وإنما غايتك أن تعرفه بأنك عالم بالخبر وهذا النوع من الإخبار يسمى "لازم فائدة"»¹.

ومثال ذلك قولنا:

"أنت ناجح".

هنا باعتباره خيراً يعلمه المخاطب ويعرفه.

وقد يكون للخبر أغراض أخرى ليست "فائدة الخبر" ولا "لازم فائدة" تفهم هذه الأغراض من سياق

الكلام وقرائن الأحوال ومنها: « المدح، الفخر، إظهار، الضعف، اظهار التحسر وما إلى ذلك »²

6-1-1 / أغراض الخبر:

1 / إظهار الفخر:

ومثال ذلك قول الثغري:³

إمام تولى الله تشييد فخره

فما شئت من مجد ومن كرم عدّ

2 / إظهار المدح:

ومثال ذلك قول الثغري:⁴

إن كان موسى للخلافه بدرها

فالتاشفني شمسها وضحاها

3 / إظهار الضعف:

ومثال ذلك قول الثغري:⁵

لأرجو شفيع المذنبين مُجداً

يشفعه المولى فيشفع في العبد

¹ بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني ، ص 57

² بكري شيخ أمين ، المرجع نفسه ، ص 60

³ الثغري ، ديوانه ، ص 57

⁴ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 166

⁵ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 55

4 / إظهار الندم والحسرة والأسى:

ومثال ذلك قول الثغري:¹

ولكنني أبكي لزلاتي التي

تجاوزت فيها منتهى الحصر والحدّ

6-1-2 / أضرب الخبر:

للخبر ثلاثه أضرب هي:

1 / الابتدائي:

هو الخبر الذي لا يتضمن أية أداة توكيد ، أي أنه كلام خال من أدوات التوكيد **كقولنا**: "نجح زيد"

إنّ جملة "نجح زيد" هي جملة فعلية تتكون من عنصرين هما:

1/ **نجح**: فعل ماضي مبني على الفتح ظ.آ2 / **زيد**: فاعل للفعل "نجح" مرفوع وعلامة رفعه الضمة ظ.آ

والشاهد هنا أن هذه الجملة "نجح زيد" خالية تماما من أدوات التوكيد ، وعليه فإنّ هذا الضرب من الخبر هو

ضرب ابتدائي.

2 / **الطلبي**:

هو الخبر الذي يتضمن أداة توكيد واحدة لإزالة الشك عند المخاطب ووصوله إلى اليقين

ومثال ذلك قولنا: "إنّك ناجح" ، فأداة التوكيد هنا واحدة هي: "إنّ"

3/ **الإنكاري** :

وهو الخبر الذي يتضمن أداتي توكيد فأكثر؛ لأنّ المخاطب لا يصدق بسهولة ما يخبر به ويقف أمام الكلام

المنقول إليه موقف المنكر، ولا يزيله عن موقفه هذا إلا إذا اقترن خبره بتأكيدات كثيرة ومثال ذلك قولنا: إنّك

لناجح

فأدوات التوكيد هنا اثنتان هما : "إنّ" ، ولام التوكيد (لام المزحلقة) ".

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 54

2-6 / الإنشاء:

الإنشاء هو « قول لا يحتمل التصديق ولا التكذيب ولا يجوز أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب »¹.

إذن فالأسلوب الإنشائي هو ذلك الكلام الذي لا يحتمل لا التصديق ولا التكذيب وله قسمان.

1-2-6 / أقسام الأسلوب الإنشائي: للأسلوب الإنشائي قسمان هما:

2-2-6 / الأسلوب الإنشائي الطلبي:

الأسلوب الإنشائي الطلبي هو الكلام الذي يتضمن طلباً من المتكلم يرجى تحقيقه لدى المخاطب ، و« هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وأنواعه: التمني، الأمر، النداء، النهي ، والاستفهام »²

وهو أيضاً « طلب فعل شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، يحتمل طلباً موجهاً إلى السامع وهو تحديد أهدافه في الحاضر والمستقبل، ويتمثل في خمسة مواضع هي: الأمر، النهي ، الاستفهام، التمني، والنداء »³

3-2-6-أقسام الأسلوب الإنشائي الطلبي:

(I) الأمر:

وهو « طلب الحصول على الفعل من المخاطب أو القيام بعمل معين، ويكون ذلك على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربعة أشكال هي: " فعل الأمر، المضارع المجزوم بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر »⁴

أ/ فعل الأمر :

ومثال ذلك قوله تعالى: "قل هو الله أحد" سورة الإخلاص الآية 1

ب/ المضارع المجزوم بلام الأمر:

ومثال ذلك قولنا: لتراجع دروسك

ج/ اسم فعل الأمر:

ومثال ذلك قولنا: حذار عواقب الكذب

¹ محمد علي الهاشمي ، المنهل العذب في الدراسة الأدبية ، ص 329

² عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 75

³ عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، القاهرة ، ط 5 ، 2001 ، ص 14

⁴ عبد السلام محمد هارون ، المرجع نفسه ، ص 15

د/ المصدر النائب عن فعل الأمر:

ومثال ذلك قولنا: صبرا على المصائب

قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تندرج ضمن أغراض الأمر البلاغية و منها

مايلي:

1/ الدعاء:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ سورة الفرقان الآية 74

2/ التمني:

ومثال ذلك قولنا: ابق يا زمن الفرح والمسرات

3/ التحقير :

ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ سورة الإسراء الآية 50

4/ التهديد:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا بِهِ أَسْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ سورة إبراهيم الآية 30

5/ النصح والإرشاد:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ يٰبَنِي آدَمَ اصْلُواْ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ﴾

سورة لقمان الآية 16

6/ التعجيز:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصْرِيْ تِلْكَ اٰمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوْا بُرْهٰنَكُمْ

اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴾ سورة البقرة الآية 111

7 / الامتحان:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتِنَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾ سورة سبأ الآية 15

8 / التسوية:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
سورة التوبة الآية 53.

9 / الإباحة:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾
سورة البقرة الآية 187

10 / التحقير والتهكم والسخرية:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ سورة الدخان الآية 46

(II) الاستفهام :

« هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وتتصدر الجمل في هذه الصيغة
إحدى الأدوات الاستفهامية التالية: (الهمزة (أ)، هل): هما حرفا استفهام، أما بقية
الأدوات فكلها أسماء استفهام وهي: "ما، من، متى، أيان، كيف، أين، أنى، كم،
وأي»¹

¹ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص16

قد يخرج الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى مجازية تسمى بالأغراض البلاغية للاستفهام و منها:

1/ التمني:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا بِإِنَّتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا وَآخَرْتَنَا فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ سورة غافر الآية 10

ومثال ذلك قولنا:

هل ستحرر فلسطين؟

2/ الوعيد:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ سورة الفيل الآية 1-2

3/ التعجب:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ سورة الفرقان الآية 7

4/ التقرير : (الإقرار بأن الفعل كان منه)

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَكَمِينَ ﴾ سورة التين الآية 8

5/ الإنكار:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

سورة الأنعام الآية 40

6/ التوبيخ:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ سورة آل عمران الآية 101

7/ التهكم والسخرية:

ومثال ذلك قولنا:

أهؤلاء من مدحتهم كثيرا وقلتم فيهم قولا جميلا؟

8 / التشويق:

ومثال ذلك قولنا:

هل أبشرك بما يثلج صدرك ويفرح قلبك؟

III) النهي :

النهي: « هو الطلب الصريح والمباشر والواضح بالكف والامتناع عن القيام بعمل معين على وجه الاستعلاء والإلزام، ويأتي بصيغة واحدة وهي "لا الناهية + الفعل المضارع" ¹

قد يخرج أسلوب النهي عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تندرج ضمن أغراض النهي البلاغية منها ما يلي:

1/ الدعاء:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ سورة البقرة من الآية 285

2/ النصح والإرشاد:

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ سورة لقمان الآية 17

¹ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 17

3 / الالتماس:

ومثال ذلك قوله تعالى

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ سورة طه الآية 94

4 / التوبيخ:

ومثال ذلك قوله تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ سورة الحجرات الآية 11

5 / الالتماس:

ومثال ذلك قوله تعالى

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ سورة التوبة الآية 40

6 / التمني:

ومثال ذلك قولنا:

" لا تستسلمي يا فلسطين "

7 / التحذير والتهديد:

ومثال ذلك قولنا:

" لا تهمل دروسك وإلا ستعاقب "

(IV) التمني:

التمني: « هو طلب حصول أمر لا يرجى حصوله إما لكونه صعب التحقق أو مستحيل التحقق و " ليت " هي أداة التمني الأصلية، لكن يوجد أيضا أدوات فرعية للتمني وهي: " هلا، هل، لو، ولعل " ¹ »

ومثال ذلك قولنا: 1/ ليت الطالب ينجح في الإمتحان.

2/ يود الطالب لو ينجح في الإمتحان.

3/ لعل الطالب ينجح في الإمتحان.

4/ هلا راجعت دروسك كي تنجح في الإمتحان.

¹ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص18

(V) النداء:

النداء: هو طلب الانتباه أو الإصغاء أو الإقبال من طرف المتلقي، ويتكون أسلوب النداء من عنصرين أساسيين هما: حرف النداء+ المنادى ، أمّا أحرف النداء فهي:

1 /الهمزة(أ)+ أي :يستعملان للنداء القريب

2 / "يا" :تستعمل للنداء القريب والبعيد

3/ أيا، هيا، وا: تستعمل هذه الحروف للنداء البعيد

قد يخرج النداء من معناه الأصلي وهو الطلب إلى معان أخرى تندرج ضمن الأغراض البلاغية للنداء ومنها ما يأتي:

1 /التعجب:

مثال ذلك قولنا:

يا عظمة الإسلام !

2 / الحزن و الأسى والحسرة:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ سورة مريم الآية 22

3 / الندم:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ سورة النبأ الآية 40

4 / الدعاء والاستغاثة :

مثال ذلك قولنا:

يا رب السماء أغثنا.

5/ الندبة:

مثال ذلك قولنا:

فوا عجباً كم من جاهل يدعي علماً

6/ الإغراء والتحضُّب:

مثال ذلك قولنا:

يا طالباً أقبل على العلم

6-2-4/ الأسلوب الإنشائي غير الطلبي:

الأسلوب الإنشائي غير الطلبي وهو الكلام الذي لا يتضمن أي طلب من المتكلم تجاه المخاطب، وهو « ما لا يستدعي مطلوباً وله صيغ كثيرة »¹.

وهو أيضاً: « ما لا يستدعي مطلوباً وقت الطلب، بمعنى يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، أي في الوقت الذي يتم اللفظ به وأنواعه خمسة هي: " صيغ المدح والذم، صيغ العقود، القسم، التعجب، والرجاء »².

6-2-5/ أقسام الأسلوب الإنشائي غير الطلبي:

1/ صيغ المدح والذم:

هو أسلوب يستعمل للتعبير عن الإعجاب بالشيء، وذلك باستخدام لفظتين هما: " نَعَمْ، حَبِّدَا"، أو ذمّه وذلك باستخدام لفظتين هما: "بِئْسَ، لاحِبِّدَا"

أ / أسلوب المدح:

ومثال ذلك قولنا:

نَعَمْ الصفة الصدق وحبِّدَا الرجل الصادق.

ب / أسلوب الذم:

ومثال ذلك قولنا: بِئْسَ الصفة الكذب و لاحِبِّدَا الرجل الكاذب .

¹ بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، ص79

² عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص19

2/ صيغ العقود :

أكثر ما تكون صيغه في الماضي ومثال ذلك في صيغة البيع والشراء

ومثال ذلك قولنا: بعت سيارتي.

3/ أسلوب القسم:

هو أسلوب يستعمل للتوكيد، وذلك باستخدام إحدى العبارات التالية: "والله"، "بالله"، "تالله"، "لعمرك".

ومن أمثله ذلك قولنا:

1/ والله إنَّ العلم نور

2 / بالله إنَّك ناجح

3/ تالله لأنجحَ في الامتحان

4/ لعمرك إنَّ الحق منتصر

4/ أسلوب التعجب:

هو كلام يدل على الدهشه والاستغراب فيكون قياسيا بصيغتين هما " ما أفعله!" و "أفعل به!" وسماعيا بغيرهما مثل لفظة " سبحان " .

ومن أمثله ذلك قولنا:

1/ على وزن ما أفعله! و مثال ذلك قولنا: ما أجمل فصل الربيع!

2/ على وزن أفعل به! و مثال ذلك قولنا : أعظم بخالق الكون!

3/ سماعيا:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿سُبْحٰنَ الَّذِي اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهُ مِنْ اٰتِنَا۟ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ﴾ سورة الإسراء الآية 1.

5/ أسلوب الرجاء:

الرجاء هو تمني وقوع الخبر، و يعبر عنه بالأفعال التالية: "عسى"، "اخلولق"، "حرى".

أو باستعمال حروف تفيد الرجاء نحو "لعل".

ومن أمثله ذلك قول ما يلي:

1/ عسى الطالب أن يحرص على طلب العلم

2/ اخلولق المطر أن ينزل

3/ حرى الغائب أن يعود

4/ لعلّ الطالب يجتهد في دراسته

7/ المسند والمسند إليه:

تحتاج الجملة الخبرية في بنائها إلى عناصر ترتكز عليها وعددها هو اثنان، وهما ركنان

تبني عليهما الجملة الخبرية وهما:

1-7 / المسند:

« ويسمى أيضا المحكوم به أو المخبر به، والمسند قد يكون له متعلقات إذا

كان فعلا أو ما في معناه نحو: المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم

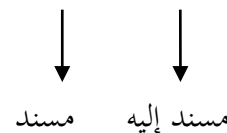
التفضيل والظرف»¹

2-7 / المسند إليه:

« ويسمى أيضا المحكوم عليه أو المخبر عنه، والنسبة التي بين المسند والمسند إليه

تسمى الإسناد»²

ومثال ذلك قولنا: زيد ناجح ← كونهما جملة اسمية



¹ عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 130

² عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 130

ومثال ذلك قولنا: نجح زيد ← كونها جملة فعلية
 مسند مسند إليه

8/ أسلوب القصر :

« القصر لغة بمعنى الحبس والإلزام وعند البلاغيين هو : تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة، ومن فوائده أنه يجعل الجملة الواحدة مقام جملتين مع الإيجاز، ويمكن الكلام ويقرره في الذهن وينفي عن الفكر كل إنكار وشك¹ .

ولأسلوب القصر أربعة أنماط هي:

أ/ العطف: ب: " لا، لكن، بل" :

ومثال ذلك قولنا:

1/نجح مُجَّد لا خالد

2/ما نجح مُجَّد بل خالد

3/ لم ينجح مُجَّد لكن خالد

ب/ النفي والاستثناء:

الاستثناء هو إخراج اسم من تعميم حكم سابق بواسطة أداة (إلا، غير، سوى، حاشا ، عدا، خلا، ما عدا، ما خلا) وإذا سبق الاستثناء بأداة نفي سمي الاستثناء في هذه الحالة : "تاما منفيًا أو ناقصا منفيًا"

وأدوات النفي هي: " لا، ما، لم، لن، لمَّا و ليس"

ومثال ذلك قولنا:

1/ما ناجح إلا زيد.

2/لم ينجح التلاميذ غير زيد.

¹ بكرى الشيخ أمين ، البلاغة العربية في نونها الجديد علم المعاني ،ص173

ج/ إنما :

ومثال ذلك قولنا:

1/إنما مُجَّد رسول.

2/إنما رسول مُجَّد.

د/ تقديم ما يجب تأخيره:

ومثال ذلك قولنا:

" ناجح أنت " ، فالأصل قولنا: " أنت ناجح " باعتبارها جملة اسمية تتكون من مبتدأ هو الضمير المنفصل "أنت" في محل رفع، والخبر هو لفظة "ناجح"

9 / الفصل والوصل:

9-1 / الفصل:

9-1-1 / الفصل لغة:

« فصل يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع والفصل القضاء بين الحق والباطل، والفاصل صفة من صفات الله تعالى يفصل القضاء بين الخلق، والفصل من الجسد هو موضع المفصل»¹.

ويقال: « فصل المولود عن الرضاع و افتصله إذا فطمه والاسم الفصال»²

9-1-2 / الفصل اصطلاحا :

هو « ترك العطف بين الجملتين بالواو»³ ، ويجب الفصل بين الجملتين في مواضع هي :

9-1-3 / مواضع الفصل بين الجملتين:

(I) كمال الاتصال:

هو« أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي»⁴

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، ص 521

² الزويدي ، تاج العروس ، ص 574

³ علي جميل السلوم ، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، ص 16

⁴ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص 161

ومعنى هذا أن تكون الجملتان متحدتين اتحاداً تاماً، بحيث لا يمكن للقارئ أن يميز موضع الفصل بينهما .

وكمال الاتصال له ثلاثة أنواع هي: "التوكيد، البدل، عطف البيان"

أ/ التوكيد:

التوكيد هو ما جاء في الجملة ليؤكد متبوعه ويزيل عنه الإبهام ويرسخ المعنى في ذهن المتلقي، وهو نوعان هما:

● توكيد لفظي:

يتمثل في إعادة لفظ المؤكد مرة أو أكثر وتكرارها سواء أكان هذا المؤكد اسماً أو جملة أو فعلاً أو حرفاً.

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (23) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَاقًا صَاقًا (24)﴾

سورة الفجر الآية 23-24

● توكيد معنوي:

هو توكيد للفظ المؤكد ويتم بألفاظ معينة هي: "كلّ، جميع، عامة، نفس، ذات، عين، كلا، كلتا"، ويشترط في هذه الألفاظ اتصالها بضمير يعود على اللفظ المؤكد.

ومثال ذلك قولنا:

1/نجح الطلاب كلّهم

2/إنّ العلم ذاته مفيد

3/ العلم و الأخلاق كلاهما دعائم بناء الرجل الصالح

ب/البيان:

«هو نوع من كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة بياناً للأولى؛ فتنزل منها عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، فلا تعطف عليها»¹

¹ سعد التفتازاني، المطول في شرح التلخيص مفتاح العلوم، تح: د.عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص445

مثال ذلك قولنا:

تحدث إليه المحاضر قال أيّها الطالب بحثك جيّد

حيث نلاحظ جملة " قال أيّها الطالب " بيانا وتوضيحا لجملة " تحدث إليه المحاضر " .

ج/ البدل:

هو لفظ تابع لما قبله أي المبدل منه يؤتى به في الجملة لتأكيد له وله ثلاثة أنواع:

1/ بدل الكل من الكل أو بدل "المطابق" : وهو ما كان فيه البدل مساويا للمبدل منه

ومثال ذلك قولنا:

1/ إنّ الخليفة عمر بن الخطاب عادل

2/ هذا الرجل كريم

2/ بدل الجزء من الكلّ: هو ما كان فيه البدل جزءا أو بعضا من المبدل منه، و« يشترط

فيه أن يتصل البدل بضمير يعود على المبدل منه، يوافقه في النوع والعدد»¹

ومثال ذلك قولنا:

1/ حفظت القرآن نصفه

2/ قرأت القصيدة بعضها

3/ بدل الإشتمال: « هو ما كان فيه البدل من مشمولات المبدل منه أو من حاجياته، يجب أن يرتبط البدل بضمير

يعود إلى المبدل منه»²

ومثال ذلك قولنا:

1/ يضايقني الشتاء برده

2/ تعجبني الأزهار رائحتها

¹ خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص108

² طاهر يوسف الخطيب ، المعجم المفصل في الإعراب ، تح: إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2007 ، ص115

(II) كمال الانقطاع :

كمال الانقطاع « هو أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك كأن يختلفا خبرا وإنشاء، أو بأن لا تكون بينهما أي مناسبة معنوية، وفي هاتين الحالتين يسمى الفصل بين الجملتين بـ "كمال الإنقطاع"»¹

ومثال ذلك قولنا:

يا طالب العلم أنت من تصنع المجد.

فالجملة الأولى: " يا طالب العلم" جملة إنشائية لأنها تتضمن النداء، أما الجملة الثانية " أنت من يصنع المجد" فهي جملة خبرية ضربها ابتدائي، وهما جملتان اتصفتا بـ كمال الانقطاع.

9-2/ الوصل:

9-2-1/ مفهوم الوصل لغة:

« وصل وصلت الشيء وصلا وصلته والوصل ضد الهجران، والوصل ضد الفصل، فنقول وصل الشيء، ووصل الشيء إلى الشيء توصل إليه أي انتهى إليه وبلغه، ويقال: وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما صلة أي اتصال وذريعة»²

9-2-2/ اصطلاحا:

الوصل اصطلاحا هو: « عطف جملة على أخرى بالواو من دون حروف العطف الأخرى»³

وأیضا: « الوصل هو عطف الجملة على الجملة بإحدى حروف العطف كالواو»⁴

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4)

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5) ﴿ سورة الانشقاق الآية 1 - 5

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 180

² ابن منظور ، لسان العرب ، ص 726

³ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 160

⁴ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص 166

9-2-3/ مواطن الوصل:

ينبغي الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواطن هي:

1/ « إذا اشترك الجملتان في الحكم الإعرابي وجب الوصل بينهما بحرف الواو »¹

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ (2) ﴾ سورة العصر الآية 2

في الآية القرآنية نجد الجملتين جملة " آمنوا " و جملة " عملوا الصالحات " الأولى جملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، والثانية أيضا جملة لا محل لها من الإعراب باعتبارها جملة معطوفة على الأولى فاشتركت معها في الحكم الإعرابي، وقد أدى حرف العطف الواو دور الوصل بينهما.

2/ « إذا اتفقت الجملتان خبرا وإنشاء، وكانت بينهما صلة جامعة في المعنى »²

أ/ الجملتان الخبريتان:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) ﴾

سورة العاديات الآية 6 إلى 8

ب/ الجملتان الإنشائيتان:

مثال ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) ﴾ سورة الفيل الآية 1 و 2

و مثال ذلك قولنا:

ليتك تسعى في طلب العلم وليتك تنفع به الإنسانية.

3/ « إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء، و أوهم الفصل خلاف المقصود »³

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 184

² بكري الشيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم المعاني ، ص 187

³ عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص 185

ونرى في مثل هذا الموضوع من الوصل وذلك « عند الإجابة بالنفي على استفهام أداته "هل" أو "الهمزة" مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية »¹

ومثال ذلك قولنا:

هل عاد أبوك من سفره ؟ لا، أعاده الله سالما.

إذا نظرنا من الناحية البلاغية فإن التعبير صحيح، ويجب الفصل بين الجملتين الأولى وهي: "لا" التي تأخذ مقام جملة خبرية والثانية "أعاده الله سالما" باعتبارها جملة إنشائية تتمثل في الدعاء، لذلك يجب الوصل بينهما فنقول: لا و أعاده الله سالما.

10/الإيجاز :

« الإيجاز هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وافية بالعرض المطلوب مع الإبانة والإفصاح »².

إذن فالإيجاز هو الاختصار في الألفاظ مع استيفاء المعنى، كأن نذكر ألفاظا قليلة والمراد منها معان كثيرة .

1-10/ أنواع الإيجاز :

وللإيجاز نوعان هما: "إيجاز قصر" و "إيجاز حذف".

1-1-10/ إيجاز القصر :

تكون ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة، ولا يوجد فيه محذوف.

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (59) ﴿ سورة الرحمن الآية 59

فلفظة الإحسان هي لفظة واحدة جامعة لجميع أفعال البر والخير

¹ بكري الشيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم المعاني ، ص187

² بكري الشيخ أمين ، المرجع نفسه ، ص194

10-1-2/ إيجاز حذف:

« هو ما يحذف فيه إمّا كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف، ولا يكون إلاّ فيما زاد معناه على لفظه »¹

ومثال ذلك قولنا:

أ أنت طيب ؟ نعم .

وتقدير الكلام قولنا: نعم أنا طيب

ومثال ذلك قولنا:

هل أنت طالب ؟ لا .

وتقدير الكلام قولنا: لا لست طالبا

11/ الإطناب:

« الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأديبه المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أو ساط البلغاء ، فإذا لم يكن لهذه الزيادة فائدة عدّ ذلك تطويلا »²

إذن الإطناب هو الإكثار من الكلام بإضافه ألفاظ وزيادتها لتأكيد المعنى وتوضيحه أكثر، ويأتي الإطناب في الكلام على أنواع مختلفة الأغراض البلاغية منها، « الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام، ذكر العام بعد الخاص التكرار، الاحتراس، التأدب ، و التذييل »³

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) ﴾ سورة الشرح الآية 5 و6

في الآية الكرّمة نلاحظ تكرار قوله تعالى: "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" مرتين وهو تكرار محمود لأنّه يتضمن فائدة ألا وهي تبيان الفرج الذي يأتي بعد الشدة.

¹ خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص127

² بكري الشيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم المعاني ، ص197

³ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 210

والتكرار هو « تكرار المعاني والألفاظ، وإذا حمل التكرار معنى جديداً أو فائدة فإنه محمود؛ وإلا فهو المذموم والتطويل»¹

12/ المساواة:

« وإذا كان الإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح، وإذا كان الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فإنّ المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض»².

و المساواة أيضاً: « وإذا جاء التعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللفظ متساوياً لأصل ذلك المعنى فهذا هو المساواة»³

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ إِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ قُلْنَ قَدْ لَسُنَّتْ لِلَّهِ تَبْدِيلًا (43) ﴾ سورة فاطر الآية 43

في هذه الآية الكريمة كان اللفظ بقدر المعنى فهما متساويان، والمعنى المراد من هذه الآية هو أنّ المكر السيئ يناسب الإنسان السيئ نتيجة أعماله و تصرفاته السيئة، فالمعنى هنا بسيط وألفاظه معدودة ومحدودة.

¹ بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، ص 199

² بكري الشيخ أمين، المرجع نفسه، ص 202

³ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع، ص 243

ثانياً: التفكير البلاغي عند الثغري التلمساني:

مما لا ريب فيه أنّ كلّ العلوم التي عرفتها البشرية إلاّ وقد مرت بمراحل قبل أن تصل إلى مرتبة العلمية، فتكن بذلك قد جعلت لنفسها أصولاً وجذوراً حتى تبلغ مستقرها النهائي.

وهكذا هو شأن علم البلاغة فقد قطع أشواطاً كثيرة قبل أن يأخذ صورته النهائية على أيدي بلغاء وفصحاء، دونوا في هذا المجال الكثير من المؤلفات أوضحت اليوم مصادر ومراجع ينهل منها الباحثون والنقاد عبر الأزمنة والعصور.

ويعتبر الثغري التلمساني واحداً من الشعراء الذين وضعوا بصمتهم في مجال الشعر العربي عموماً والجزائري خصوصاً، الذي من خلاله يتبين لنا مدى تمكّن الرجل من ناصية اللغة العربية وامتلاكه إياها بشقّ جوانبها، وأخصّ بالذكر الجانب البلاغي منها.

لقد استطاع شاعرنا الثغري أن يبني لنفسه مجداً أثيلاً ينافس به الشعراء سيما في بلاغته وتوظيفه إياها في قصائده المتباينة الأغراض، فلم يكن هذا الرقي في النظم محض صدفة ولم يأت من عدم إنما كان نتيجة تفاعل ظروف متباينة أحاطت بشاعرنا الثغري في ذلك العصر الثامن للهجري "8 هـ"، هذه الظروف التي كان لها الأثر البالغ في رسم معالم فكره البلاغي، وقبل ذكر هذه الظروف نرجع على مفهوم الفكر "التفكير" لغة واصطلاحاً وأهم أنواعه.

1/ مفهوم الفكر (التفكير) لغة واصطلاحاً:

1-1/ الفكر "التفكير" لغة:

التفكير "الفكر" لغة: الفكر بمعنى إعمال الخاطر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى فيكر أي كثير الفكر. قال الجوهري: «التفكر بمعنى التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر»¹.
إن كلمة فكرة مأخوذة من «فَكَرَ، يَفْكَرُ، تَفْكَيراً أو فِكْراً وعليه فإن مصطلح فكر هو نفسه تفكير وبالتالي مصطلح فكر يمكن تقسيمها إلى "فك" وزيادة صوت "الراء"، كلمة فك بمعنى فصل أجزاء المركب الحسي»².
و أيضاً: «التفكير هو فصل أجزاء المركب المعنوي على سبيل التكرار الذي يشير إليه صوت الراء ذو الخاصية الصوتية المعروفة بالتكرار، فالمفكر يقلب نظره عدة مرات ولا يقوم بذلك مرّة واحدة»³.
كلمة فَكَرَ تتناسب صوتياً مع كلمة فَرَكَ ففي كل تفكير فَرَكَ أي تفكيك لما نفكر فيه، وهذا ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني بقوله: «الفكر مقلوب عن الفك لكن يستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها»⁴.

¹ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، ج5، 1978، ص451

² ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص3451.

³ توفيق محمود مُجّد سعد، التفكير البلاغي في بيان الوحي، جامعة أم القرى، السعودية، دط، 1432هـ، ص6.

⁴ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط4، 2009، ص643.

1-2/ الفكر "التفكير" اصطلاحاً:

التفكير هو مجموعة من العمليات التي يقوم بها العقل من أجل حلّ مشكلة معينة أو تفسيرها، و« يعدّ التفكير أسمى صور النشاط العقلي لأنه يعتمد على التحليل والتركيب والتنسيق، مروراً بهذه المراحل يتوصل إلى مجهول»¹.

إذن فالتفكير هو عملية عقلية تستهدف الظواهر المختلفة بالدراسة والتحليل والتمحيص، وتقف عند جميع أجزائها ومكوناتها، وعليه فإن الدارس لظاهرة معينة يجب عليه أن يفككها إلى أجزاء وعناصر، ثم يدرس كل جزء منفرداً عن الأجزاء الأخرى مبيّناً خصائصه وصفاته، « وبعدها يباشر في تركيب هذه الأجزاء والمقارنة فيما بينها من أجل إظهار نقاط التقاطع والاختلاف الموجودة بينها، وإلا وصفت دراسته هذه بالسطحية والبسيطة»².

1-3/ خصائص التفكير:

يتسم التفكير بجملة من الخصائص ندرجها فيما يلي:

1/ « ارتباط التفكير ارتباطاً وثيقاً بالنشاط العملي للإنسان فهو ما يميزه عن غيره من المخلوقات»³.

2/ يعتبر التفكير نشاطاً عقلياً غير مباشر

3/ يعتمد التفكير على ما يستقر في العقل من المعلومات حول القوانين العامة للظواهر.

ما تقدم يمكن القول أن خصائص التفكير ما هي إلا مجموعة من السلوكيات لها أهداف محددة يسعى الإنسان إلى الوصول إليها، فهو بذلك عملية هادفة وتطورية متغيرة.

1-4/ أنواع التفكير:

للتفكير أنواع كثيرة تختلف باختلاف الأساس الذي يعتمد عليه الإنسان في العمليات العقلية المؤدية إلى الهدف ونذكر من أنواعه ما يأتي:

1-4-1/ التفكير العلمي:

هو التفكير الذي يستخدمه الإنسان في حياته اليومية أو في النشاط الذي يبذله أو في علاقاته مع العالم المحيط به، « ويقصد به أيضاً ذلك النوع من التفكير المتعلم»⁴.

¹ توفيق محمود مجّد سعد، التفكير البلاغي في بيان الوحي، ص6.

² توفيق محمود مجّد سعد، المرجع نفسه، ص7.

³ نايفة القطاحي، نموذج شوارتز وتعليم التفكير، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص23.

⁴ وليد رفيق العياصرة، التفكير السابر والإبداعي، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2011، ص23.

1-4-2/ التفكير الواقعي:

يعتمد هذا النوع على الملاحظة والتجريب من خلال الحقائق التي يدركها الفرد المتعلم، « ويتضمن الاستمتاع بالمناقشات المباشرة والحقيقية للأمور الحالية، وفي هذا النوع يفضل المتعلم النواحي المرتبطة بالجوانب الواقعية »¹.

1-4-3/ التفكير التحليلي:

يقصد به قدرة الفرد على تحليل المشيرات البيئية إلى أجزاء منفصلة يسهل التعاون معها والتفكير بشكل مستقل، وعند تطبيق هذا النوع من التفكير على المادة العلمية « فهو يقوم بتجزئة هذه المادة إلى عناصر فرعية و إدراك ما بينها من علاقات وروابط مما يساعد على فهم بنيتها والعمل على تنظيمها »².

1-4-4/ التفكير الناقد:

يقصد به إخضاع المعلومات التي لدى الفرد لعملية تحليل وفرز وتمحيص، و ذلك لمعرفة مدى ملاءمتها لما لديه من معلومات أخرى تؤكد صدقها وثباتها، « وذلك بغرض التمييز بين الأفكار السليمة والخطئة »³.

1-4-5/ التفكير الإبداعي:

يقصد به ذلك التفكير الذي يؤدي إلى التغيير نحو الأفضل وينفي الوضعية المقبولة مسبقاً، « ويتضمن الدافعية والمثابرة والاستمرارية في العمل والقدرة العالية على تحقيق أمر ما، وهو الذي يعمل على تكوين مشكلة ما تكويناً جيداً »⁴.

1-4-6/ التفكير التوثيقي:

يتصف صاحبه بالمرونة والقدرة على الاستيعاب، ويظهر صاحبه تقبلاً لأفكار الآخرين ويغير من أفكاره ليجد طريقاً وسيطاً يجمع بين طريقتيه في المعالجة وأسلوب الآخرين فيها، « ويميل إلى ربط أفكار الفرد بأفكار الآخرين، الأمر الذي يساعد الفرد على التخلص من الصعوبات التي يواجهها وتبني سياسة الأخذ والعطاء في كل موقف »⁵.

¹ ختام سحيمات، التفكير، المفاهيم والأنماط، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص29

² ختام سحيمات، المرجع نفسه، ص28.

³ عبد الواحد الكيسي، تنمية التفكير بأساليب مشوقة، دار الطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص139.

⁴ سوسن شاكر مجيد، تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص201.

⁵ سعيد عبد العزيز، تعليم التفكير ومهاراته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص57.

1-4-7/ التفكير المنطقي:

التفكير المنطقي هو ذلك النمط من التفكير المقصود الذي يتم وفق عمليات ذهنية متكاملة، ويتطلب أن يكون المتفكر متمتعاً بنشاط وحيوية وبمخزون وافر من المعلومات والخبرات المنظمة، « ويعد التفكير المنطقي من أكثر أنماط التفكير جدوى للإنسان، ويمارس الفرد التفكير المنطقي عندما يحاول اكتشاف العلل التي تسبب الخلل»¹.

1-4-8/ التفكير الانفعالي:

هو ذلك التفكير « المصاحب لحالة نفسية أو استشارة يتعرض لها الإنسان، بحيث يحاول جاهداً أن يقوم بسلوك يؤدي إلى تخفيف هذه الاستشارة»².

مما سبق نخلص أنّ التفكير هو نتاج نشاط عقلي يقوم بوجه عام على أساسين هما:

1/ السؤال الهادف .

2/ الجواب العملي.

كما أن أنواع التفكير كثيرة ومتنوعة تختلف باختلاف المستوى والموضوع.

¹ أماني غازي جرار، إبداع التفكير، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص58.

² محمد شحاتة ربيع، علم النفس التجريبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص525.

2/ المرجعية البلاغية لدى الثغري التلمساني "مشاربه وآخذه":

لقد عرفت البلاغة تطوراً كبيراً عبر الأزمنة والعصور ، و « إلى غاية القرن 8 هـ »¹ وهو القرن الذي عاش فيه شاعرنا الثغري التلمساني، تكون بذلك البلاغة قد قطعت أشواطاً كبيرة في مجال تطورها، وهي بذلك أيضاً قد خطت خطوات عملاقة و متقدمة في مجال دراسة مسائلها المختلفة، بيد أنها تبقى تستمد أصولها وتنشق جذورها من القرآن الكريم، ويظهر ذلك جلياً في كتب المفسرين الأوائل مثل: كتاب "معاني القرآن" للفرء، وكتاب "بجاز القرآن" لأبي عبيدة، إضافة إلى كتب الجاحظ وغيرهم من العلماء والبلغاء والمفسرين.

وهكذا دواليك تبقى البلاغة العربية تتطور ويسطع نجمها قرناً بعد آخر حتى ظهور عبد القاهر الجرجاني الذي أرسى دعائم البلاغة وجعلها علماً قائماً بذاته، له أصول وأسس ثابتة، فقام بتهذيب مسائلها وتبويبها، هذا التبويب الذي اعتمده الكثير من العلماء والمفسرين سواء من عاصروه أو من جاء بعده أمثال: « السكاكي وغيره اعتماداً كثيراً في صياغة مباحث دراستهم ومؤلفاتهم »².

لقد استقى الكثير من العلماء والمفسرين الذين اتخذوا البلاغة مادة لدراساتهم وبحوثهم من أعمال سابقينهم وإنجازاتهم وجعلوها مرجعاً يعتمدونه، سيما كتب عبد القادر الجرجاني وإنجازاته الجليلة وما توصل إليه في علم البلاغة كونه أول من وضع الأسس واللبنات الأولى لهذا العلم، ووضع قواعده الأساسية ومركزاته التي يقوم عليها.

و الثغري واحد ممن استفاد من أعمال سابقيه ، و « لقد أخذ الثغري التلمساني بلاغته من مشارب متعددة »³، فكانت مرجعيته البلاغية ذات مآخذ مختلفة ومصادر متباينة، ساهمت في تفكيره وساعدته على بلورة أفكاره وتوجيه مساره ، و أسهمت إسهاماً كبيراً في رسم معالم مرجعيته البلاغية، وكلها جوانب فكرية متقاربة ومتصلة ببعضها البعض وهي على النحو الآتي:

¹ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 177

² أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، منشورات النهضة، بغداد، ط1، 1964، ص 191

³ محمد الطمار، المرجع نفسه ، ص 177.

2-1/ القرآن الكريم والحديث النبوي " الملمح الديني ":

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي متحدثاً العرب في لغتهم الأمّ التي جبلوا عليها والتي أتقنوها ومارسوها تواصلًا وتداولًا، لذلك فمن الطبيعي أن يكون المصدر الرئيس في دراسة العرب البلاغية هو القرآن الكريم، الذي أثار تأثيراً بالغاً وبصورة مباشرة في العلماء العرب وغيرهم من جهة، و في بحوثهم و دراستهم البلاغية من جهة أخرى.

لقد بدا عنصرا التأثير والتأثر واضحين منذ نشأة البلاغة التي فعلاً استمدت مشروعيتها ومكانتها من ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، وفي هذا الميدان يقول القزويني: « ولما كان علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً وأدقها سرّاً... إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها.....، ويكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أسرارها»¹، هذا الأخير " القزويني " قد ربط مباحث البلاغة بغاية عظيمة ألا وهي فهم القرآن الكريم، والكشف عن مواطن إعجازه وأضره المختلفة.

إن اعتبار المباحث البلاغية وسيلة للوصول إلى المقصد الديني، زاد الصلة بين الباحث البلاغي عموماً والثغري التلمساني خصوصاً قوةً وصلابةً، مما جعله يوظف مكتسباته الدينية في أشعاره والتي أساسها في الأصل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لعلّ الملمح الديني عند الثغري يتجلى و بوضوح في كتاباته الشعرية فقد وسمه علماء عصره بالعالم والعلامة وفي هذا الميدان يقول المقرئ: « إنّه الشيخ العالم الناظر الأريب الكاتب»².

إنه الثغري التلمساني الذي تشبّع بالثقافة الإسلامية والدينية منذ نعومة أظفاره فقد حفظ القرآن الكريم وكذا الحديث النبوي الشريف فشب على العلم، ونشأ على معرفته و درايته بنواحي الدين واللغة العربية، الأمر الذي ساعده على تعلم أصول الفقه وامتلاكه ناصية اللغة العربية بشتى جوانبها، حتى أنه كان يدعو الناس إلى تعلّم الفقه والمعاني والبيان كل هذا ما هو إلّا شاهد على البعد الديني لهذا الشاعر المتميز.

¹ القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص5.

² المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص121.

2-2/ أثر الفلسفة والمنطق:

لقد عرف انضواء غير العرب تحت راية الإسلام واعتناقهم الدين الإسلامي أثراً كبيراً في تطور الحركة العلمية وازدهار النهضة الثقافية والأدبية، وعليه فإن تأثير علم البلاغة يبدو جلياً بتفكيرهم وأساليبهم في البحث والدراسة والتأليف.

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية جرّاء ما قام به المسلمون من فتوحات إسلامية بغية نشر الإسلام وترسيخ مبادئه، فدخل الكثير من الأعجام إلى هذا الدين، وتعلّموا اللغة العربية بغية الكشف في أسرارها والبحث في إعجازه، محاولين الطعن فيه على خلفية روايتهم معتقداتهم السابقة، الأمر الذي جعل المسلمين يأخذون على عاتقهم مهمة الدفاع عن العقيدة الإسلامية والذود عنها بنفس السلاح الذي حاربهم به خصومهم، « مما جعلهم ينكبّون على تعلّم الفلسفة والمنطق دفاعاً عن القرآن الكريم فأسسوا على إثره منهجاً في البحث والتقرير والتدليل »¹.

تعد البلاغة من العلوم التي نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، والتي كانت على صلة وطيدة بعلوم كثيرة منها: العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة وكذا علماء الكلام في جميع مراحل تطورها منذ نشأتها إلى بلوغها أوجّها، هذه العلاقة القوية بين البلاغة العربية والفلسفة والمنطق إنما مردّها إلى قضية جوهرية ألا وهي قضية الإعجاز القرآني، « ونتيجة لذلك فإن علماء البلاغة وغيرهم من أهل الفصاحة والبيان من أدباء وشعراء فقد كان لزاماً عليهم أن يتأثروا بالفلسفة والمنطق وكذا بالأقلام التي اهتمت بها ورعتها وخدمتها في عصرها »².

يُعتبر شاعرنا الثغري التلمساني واحداً من أولئك الذي تأثروا بالعلوم الطبيعية والرياضية كالمهندسة والجبر وأيضاً بعلم المنطق والفلسفة، شأنه في ذلك شأن جميع أهل البلاغة الذين اتخذوا من الفلسفة والمنطق علماً ينهلون منه كل ما يحتاجون إليه، ويعودون إليه من أجل تطوير البلاغة العربية وإحيائها بتوضيح أبعادها وتكاملها مع العلوم الأخرى.

¹ محمود الخالدي، العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، الشهاب، الجزائر، دط، 1989، ص 45

² أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 145.

2-3/ أثر علم اللّغة:

لقد تأثرت البلاغة العربية بالعلوم الأخرى، وانسجمت معها إلى حد التكامل فيما بينها، ويعتبر علم اللّغة واحداً من هذه العلوم التي كان لها الأثر البالغ في مرجعية علم البلاغة.

أبلى النحاة العرب بلاءاً حسناً في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عن الجملة وعناصرها وما يطرأ عليها من تغيرات، « ولا عجب من وجود نقاط مشتركة بين علم النحو والبلاغة خاصة في علم المعاني »¹، لأن علم البلاغة يدرس جودة الأساليب وينأى عن الانفعالات والانطباعات، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة الباحث البلاغي لقواعد اللّغة وضوابطها.

يعدّ الثغري التلمساني ممن تمكنوا من اللّغة العربية وأجادوا فيها، وبعود الفضل في ذلك إلى عوامل نشأته بإطارها الزماني والمكاني، ذلك أن الثغري نشأ في بيئة مزدهرة ثقافياً وأديباً وعلمياً « حيث اهتم الموحدون ومن بعدهم الزبانيون بالعلم والثقافة اهتماماً كبيراً بالعلماء والشعراء اهتماماً أكبر »².

لقد نشأ الثغري بمدينة تلمسان ودرس بمسقط رأسه وأخذ الكثير من العلوم، « وتلمذ على يد مشايخها وعلمائها وفقهائها ومن أشهرهم الشريف التلمساني الذي كان عالماً وفقياً »³.

ظلّ الثغري ينهل من ينابيع العلم والمعرفة حتى اشتد عوده، وقويت شوكته وذاع صيته، وكان بذلك امتداداً لمن سبقه من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، فامتحن التعليم وقصده الطلاب من كل حدب وصوب رغبة منهم في تحصيل العلم على يديه، وفي هذا الميدان يقول المجاري الأندلسي: «... ومنهم "أساتذة تلمسان" الشيخ الفقيه العددي الفرضي الكاتب البارع أبو عبد الله محمد الشهير بالثغري، قرأت عليه كتاباً في الهندسة بلفظي تصوراً، وسمعت عليه بقراءة غيري »⁴.

¹ ثناء نجاتي محمود عياش، الجهود البلاغية للتفتازاني، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص35.

² محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص108.

³ محمد الطمار، المرجع نفسه، ص108.

⁴ المجاري الأندلسي أبو عبد الله محمد، برنامج المجاري، تح: محمد أبو الأجنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1982، ص137.

إنَّ المتأمل لشعر الثغري يلحظ مدى ثقافته الواسعة وتمكنه من اللغة العربية، ويعود الفضل في ذلك وبعد الأرضية الخصبة التي كانت آنذاك في عهد الزيانيين في القرن الثامن هجري " 8 هـ" إلى اطلاعه على الشعر العربي القديم (في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي) وعلى شعر معاصريه، وحفظه للقرآن الكريم ومعرفته للسيرة النبوية الشريفة، إضافة إلى ذلك دراسته لعلوم الفقه والحديث والأدب.

2-4/ ملازمة الشاعر الثغري التلمساني للبلاط الزياني :

ومما يجدر التطرق إليه باعتباره عاملاً مهماً في رسم معالم الفكر البلاغي عند الثغري هو ظاهرة ارتباط الثغري بالبلاط الزياني لفترة طويلة، الأمر الذي أعطاه حظاً وافراً في نظم الشعر وبأغراض مختلفة نتيجة اهتمام ملوك الدولة الزيانية بالأدباء والشعراء آنذاك ومنهم: "أبو حمو موسى الثاني" وابنيه "أبو تاشفين الثاني" و"أبو زيان مُجَّد"، وفي هذا المجال يقول شوقي ضيف: « فطبعي أن يعنى بالأدباء والشعراء لعهد، وأن يكون للشاعر مُجَّد بن يوسف الثغري حظ كبير من هذه العناية¹، و في البلاط الزياني حيث كانت تقام مجالس الأدب و المناظرات الشعرية فكان الشاعر الثغري الأبرز بين أقرانه و الأمهر بين أتباعه ، فلا عجب أن يبلغ في نظم الشعر مبلغاً عظيماً ، ويحتل من خلاله مكانة مرموقة خالدة عبر الأزمنة والعصور.

كل هذه العوامل وغيرها كان لها الأثر الكبير في رسم معالم الفكر البلاغي لدى الثغري التلمساني وفي اتساع مرجعيته الثقافية والبلاغية ، حتى جعلت منه قامة أدبية و دعامة ثقافية ينهل منها اللاحقون من الباحثين والدارسين في مجال العلم والمعرفة، لا سيما الشعر العربي عامة والشعر الجزائري القديم على وجه الخصوص .

لقد تمكنت المرجعية البلاغية و الثقافية لدى الثغري من نظم قصائد غاية في الروعة و الإبداع و في مختلف أغراض الشعر ، هذه الأخيرة جعلت شاعرنا الثغري التلمساني يتبوأ مرتبة عالية بين الشعراء العرب عبر الأزمنة والعصور .

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص139.

الفصل الثالث

تجليات المنطق في المدونة الثغرية

1. الصور البيانية
2. المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية
3. التناس
4. روابط الوصل و روابط الفصل
5. الأساليب الإنشائية
6. أسلوب الشرط

من نافل القول أن الشعر الجزائري القديم لم يكن بمنأى عن الحركة الأدبية والنقدية ، التي عرفها المشرق العربي وسادت آنذاك ، فقد كان التواصل الأدبي بين المشرق والمغرب على نطاق واسع، وذلك من خلال الأسفار والرحلات ، وكانت النظرة النقدية السائدة حينئذ تنطلق من كون الأدب العربي وحدة متكاملة متجانسة، تتفاعل فيما بينها في مختلف أقاليم البلاد العربية.

ومنه فقد تفاعل الشعر الجزائري القديم، وبشكل إيجابي مع نظيره المشرقي ، وقد كان منه لشاعرنا الثغري التلمساني حظ الأسد ؛ إذ أنه اتخذ النصوص المشرقية معيناً له ، مستحضراً بذلك أقوى القصائد القديمة وأشهرها، وذلك من أجل تعضيد نصه، وإعطائه القوة والقبول لدى المتلقي، ويرجع ذلك لما تمتلك تلك القصائد من مكانة عظيمة وحضور قوي في ذاكرة القارئ في تلك الفترة.

لقد تمكن الثغري من أن يستحضر الغائب بطريقة فنية ، تجعله يخدم النص الحاضر وينسجم معه، وكل ذلك ما هو إلا دليل قاطع على مدى سعة إطلاع شاعرنا "الثغري" ، وهضمه و استعابه لذلك الموروث من جهة، ومن جهة أخرى امتلاكه وتمكّنه من ناصية اللغة العربية.

وعلى هذا الأساس فإن الثغري وعلى غرار الشعراء القدامى، لم يخل شعره من صور جمالية ولوحات فنية، تضيف على نصوصه وضوح المعنى ، وتزيد المعنى رونقا وجمالا ، هذه الجماليات التي رسمها الثغري بأسلوب بديع يساعد على توجيه سلوك المتلقي، من خلال استمالاته وتحريك إنفعالاته ووجدانه ، ودق جرس أحاسيسه وعواطفه ، فنرى منها: المجاز، الاستعارة، التشبيه والكناية وكذا المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية، وأخرى تظهر في التناص والآليات الحجاجية التي تبدي لنا مدى تأثير الثغري التلمساني بمختلف الثقافات القديمة من جهة، ومدى اهتمامه بنصوصه الشعرية، التي من شأنها أن ترسم وقعا خاصا، وتبقي أثرا مميزا في نفس المتلقي من جهة أخرى.

أولاً: الوسائل البلاغية:

1/ الصور البيانية في شعر الثغري:

1-1/ التشبيه:

* يعرفه ابن رشيق بقوله: «التشبيه هو صفة الشئ بما يقاربه أو شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»¹

* أما أبو هلال العسكري فيقول عنه: «أنه نيابة ، أي أن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه»² وعليه فاشتتبيه صورة بيانية تتمثل في وجود علاقة بين شيئين يشتركان في صفة واحدة أو عدة صفات ، تربط بينهما أداة للتشبيه وله أربعة أركان هي: "المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه ، ووجه الشبه" ، أما عن أنواعه فهي كالآتي:

- 1/ باعتبار طرفيه قسم إلى: «عقليان، حسيان، مختلفان، مفردان مطلقان، مفردان مركبان، ومفرد بمركب. »³
 - 2/ باعتبار تعدد طرفيه قسم إلى: «تشبيه ملفوف ، تشبيه مفروق ، تشبيه التسوية ، وتشبيه الجمع»⁴
 - 3/ باعتبار وجه الشبه تفرع إلى: «تمثيل ، غير تمثيل ، مفصل ، مجمل ، قريب و بعيد»⁵
 - 4/ باعتبار أدواته ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي: « بليغ ، مؤكد ، مرسل ، كما نجد من أنواع التشبيه أيضا التشبيه المقلوب والتشبيه الضمني »⁶
- يقول الثغري:⁷

وَأَنْبَرِي كُلُّ جَدُولٍ كَحُسَامٍ

عَارِي الْعِغْمِدِ سُنْدُسِي النَّجَادِ

هنا شبه الشاعر الجدول بالحسام وربط بينهما بأداة تشبيه وهي الكاف ، و جاء به على سبيل التشبيه المرسل ، و أنهما " المشبه والمشبه به " قد اشتركا في صفات جملة هي : "اللمعان، اللون، الحركة، والظهور".

¹ ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ص 468

² أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 245

³ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني ، ص 223

⁴ أحمد الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص 223

⁵ أحمد الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص 223

⁶ أحمد الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص 223

⁷ الثغري ، ديوانه ، ص 283

أما عن وجه الاختلاف بينهما فيبدو جلياً ، فهو بالنسبة للمشبه السيلان أما بالنسبة للمشبه به فيكون في الصلابة، وهذا ما يوافق قول ابن رشيق حين يعرف التشبيه بقوله: « التشبيه اشتراك صورتين في عدة أوجه لا كل الوجوه »¹

وفي هذا التشبيه نلاحظ تفاعل الصورتين ، و ظهور صورة واحدة جمعت فيها صفات كل من الطرفين ، بغرض تقريب الصورة للمتلقي و تجسيدها و توضيحها و بيان حالها.

* وفي موضع آخر يقول التلمساني:²

رَقَّ فِيهَا النَّسِيمُ مِثْلَ نَسِيبي

وَصَفَا النَّهْرُ مِثْلَ صَفْوِ ودَادِي

هنا يبين لنا الشاعر مدى راحته النفسية ، وطيب عيشه في مدينة تلمسان ، هذه الأخيرة التي جعلت مشاعر شاعرنا الثغري الجميلة و أحاسيسه النبيلة تصفو نحو الآخرين ، تشبه في ذلك صفو النهر ، كما أن شعره قد رق وأبدع في نظمه كركعة النسيم الذي تنعم به مدينة تلمسان وقد انتقى أداة تشبيه مناسبة تمثلت في لفظة " مثل " جاء بها على سبيل التشبيه التمثيلي كونه شبه صورة بصورة أخرى ،ومن خلال هذا التشبيه يظهر مدى تعلق الثغري بمدينة تلمسان وحبها ولأهلها.

* ويقول في موضع آخر:³

وَالْيَكُمُ مِنْ مُذْهَبَاتِ الْقَوَائِي

حِكْمًا سَهَّلَتْ لِيَانَ الْمُقَادِ

يفتخر الشاعر في هذا التشبيه بقصائده و أشعاره ، حيث شبهها بالمذهبات أي المعلقات ، وهي قصائد طوال نظمها فحول الشعراء في العصر الجاهلي وهم: "امرؤ القيس، طرفة بن العبد، الحارث بن حلزة، زهير بن أبي سلمى، عمرو بن كلثوم، عنتر بن شداد، ليبد بن ربيعة"، وما تحمله المعلقات من قوة في المعاني ، وجمال في الألفاظ ، وجودة في التشبيه، وهذا تشبيه بليغ يلاحظ من خلاله أن الشاعر قصائده تضاهي وتوازي وتمثال المعلقات التي بقيت خالدة قوية مؤثرة في نفوس القراء والمتلقين وستظل هكذا عبر الأزمنة والعصور.

¹ ابن رشيق القيرواني ،العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ص 468

² الثغري ، ديوانه ، ص 285

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 285

* وفي موضع آخر يقول الثغري: ¹

وَ بُرُوجٍ مُّشَيَّدَاتٍ الْمَبَانِي

بَادِيَاتِ السِّيِّ كَشْهَبٍ بُوَادِي

لا يزال الشاعر يتغنى بجمال مدينة تلمسان الذي أسر نفسه ولم يعد يرى سواها، هذا الجمال والبهاء الذي لا نظير له والذي تميزت به مناطق هذه المدينة دون سواها من المدن فكل منطقة منها تشد الزائر إليها وتنسيه فيما رآه سابقا، و هنا شبه الشاعر بروج تلمسان المشيدة بالشهب المضئية، وهذا تشبيه مجمل، وهو دليل على جمال العمران في مدينة تلمسان ومدى هندسته وفخامته، وكل هذا تغنى بجمال هذه المدينة، وثناء ومدح على سلطانها آنذاك، من خلال ما بذله من مال وجهد حتى تحظى تلمسان بهذه المكانة المرموقة.

* ويقول الثغري أيضا: ²

إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ بَدْرَهَا

فَالْتَأَشَقْنِي شَمْسَهَا وَضَحَاهَا

في هذا التشبيه يمدح الشاعر سلطان مدينة تلمسان، ويبين مدى سيطرته و سعة نفوذه، حتى أنه شبهه تارة بالبدر و أخرى بالشمس، جاء به على سبيل التشبيه البليغ، وهنا يؤكد الشاعر فضائل ممدوحه، ومدى حكمته و حنكته في الحكم و السلطنة، بحيث أنه ليله ونهاره يسعى حثيثا حتى يسود الاستقرار والازدهار لمدينته تلمسان، و الأمن و الأمان لشعبها.

يقول الثغري: ³

أُسْدٌ عَلَى خَيْلٍ تَحَالُ إِذَا جَرَّتْ

رِيحًا نُقَادُ مُطِيعَةً بِلِجَامٍ

في قصيدة طويلة يمدح فيها الشاعر الثغري التلمساني السلطان الزياني أبا حمو موسى الثاني وهي أبيات شعرية تتعلق بالمديح السياسي، تناول فيها الشاعر إخضاع ممدوحه السلطان الزياني للبلدان الأخرى وجعلها تحت إمرته وسلطته بفضل قوة عزيمته وبعد همته وصدق إرادته، وكذلك بفضل قوته العسكرية وشجاعة فرسانه الذين تمكنوا من دحر العدو وتفريق جمعه وإحاق الهزيمة به، وكل ذلك بفضل إرشادات وتوجيهات سلطان الدولة الزيانية وبفضل حكمته وحنكته في الحروب، وفي هذا البيت الشعري نلاحظ أن الثغري قد رسم لنا صورا بيانية كأنها ألواح فنية متناسقة تشد بعضها بعضها إنها ثلاث صور فنية متتابعة جمعها في بيت واحد.

¹ الثغري، ديوانه، ص 261² الثغري، المرجع نفسه، ص 165³ الثغري، المرجع نفسه، ص 145

أما الأولى فتكمن في قوله : "أسد على خيل " حيث شبه الشاعر هنا فرسان بني زيان بالأسد و حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وأبقى على المشبه والمشبه به فقط، وتقدير الكلام "هم أسد " جاء به على سبيل التشبيه البليغ.

أما الصورة البيانية الثانية فتكمن في قوله : "تحال إذا جرت ريحا مطيعة بلجام " حيث شبه هنا الشاعر سرعة الفرسان وهم على الخيول بالرياح التي تهب بسرعة جاء بها على سبيل التشبيه المفصل.

أما الصورة البيانية الثالثة فتكمن في قوله : " تقاد مطيعة بلجام " حيث شبه الشاعر الخيول بالإنسان وحذف المشبه به وهو الإنسان " وترك الازمة من لوازمه تدل عليه وهي "تقاد ومطيعة" جاء بها على سبيل الاستعارة المكنية.

هذه الصور البيانية الجزئية الثلاثة شكلت لنا في النهاية الصورة الكلية المركبة المتمثلة في فرسان بني زيان الذين شبههم الشاعر بالأسود ، قد امتطوا خيولا سريعة كالرياح تقاد طيعة لفرسانها بلجام وهي صورة بديعة ورائعة ، تمكن الثغري من تصويرها وبدقة حتى بتفاصيلها وما هذا إلا دليل قاطع على تميز الثغري وإبداعه وتفننه .

1-1-1/ أثر التشبيه البلاغي: سر بلاغته: وجماله:

يعد التشبيه واحدا من الصور البيانية ، التي لها الأثر البالغ في تقوية المعنى و توضيحيه ،فهو يساهم و بجميع أنواعه في تقريب الصورة إلى ذهن القارئ و توضيحها لدالمتلقي ، كما أن التشبيه يعمل على:

1/ التأثير المباشر على المتلقي من خلال نقله إلى صورة لم يألفها

2/ يزيد من عنصر التشويق في نفس المتلقي .

3/ التغيير من طبيعة الأشياء وجعل المحسوس ملموسا .

4/ تجميل الصورة و ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي و جعله يتفاعل معه .

1-2/ الاستعارة:

الاستعارة : يعرفها الجرجاني بقوله : « الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلونقلتا العبارة فجعلت مكان غيرها وملاكها، وتقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا تباين في أحدهما إعراض كف الآخر »¹.

¹ القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص 41

وقد توسع علماء البلاغة والمحدثون في أقسامها ، وتمكنوا من تحديد أقسامها بدقة فأوجدوا ما يلي :

1/ من حيث طرفيها لها نوعان : « مكنية وتصريحية »¹.

2/ من حيث لفظها لها نوعان : « أصلية وتبعية »²

3/ باعتبار الملائم لها ثلاثة أنواع هي : « مرشحة ، مجردة ، ومطلقة وأخرى استعارة تمثيلية ولها نوعان هما مفردة ومركبة »³

ومما سبق فالإستعارة في مضمونها هي :

تشبيه حذف أحد طرفية ، و هي صورة بيانية تجعلنا لمحسوس ملموساً ، وقد اهتم الثغري التلمساني بالاستعارة وكان لها حظ الأسد مقارنة بالصور البيانية الأخرى ، وهذا ما نراه في تحديدها لها فينصوبه الشعرية .

يقول الثغري:⁴

ضَحِكَ النُّورُ فِي رُبَاهَا وَأُرِّي

كَهْفَ ضُحَاكِهَا عَلَى كُلِّ نَادِي

يتغنى الشاعر بجمال موطنه تلمسان ، ويسبح بخياله الواسع واصفا إياها ، ذاكرا محاسنها الفتانة ومناظرها الجميلة، مقرا بأنه لم ير مثلها في هذا الوجود، بل إنها هي ذاتها جنة الله في أرضه الأمر الذي حرّك مشاعره المرهفة وأحاسيسه الجياشة ونفسه التي تطوق للجمال، والتي فاضت حبا و هياما بتلمسان ولقد بين لنا هذا المعنى برسمه لصورة فنية استنتق من خلالها أمورا حسية، فأبدع في تصوير معنى جمال تلمسان و بهائهما من خلال إستعارته للفظ "النور" وتوظيفها في معنى مجازي بقوله : "ضحك النور" حيث شبه الشاعر "النور" بالإنسان " وحذف المشبه به وهو " الإنسان " وترك لازمة من لوازمه تدل عليه وهي "ضحك" ، جاء بها على سبيل الاستعارة المكنية التي زادت المعنى وضوحا وأعطته رونقا وجمالا، والشاعر هنا عمل على تناسي المشبه وأخذنا « عمدا إلى تخيل صورة جديدة تنسي روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور »⁵.

¹ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البيان البديع ، ص 261

² حمد الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص 261

³ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 181

⁴ الثغري ، ديوانه ، ص 283

⁵ أحمد الهاشمي ، المرجع نفسه ، ص 283

ويقول في موضع آخر: ¹

وَكُؤُوسِ الْمُنَى تُدَارُ عَلَيْنَا

بِحَيِّ عَفَّةٍ وَنَقْلِ إِعْتِقَادِ

هنا يمكن تحديد الاستعارة في قوله : " كؤوس المنى " ، ولعل من خصائص الإستعارة و أركانها وجود المستعار والمستعار له، فلفظة الكؤوس هي المستعار ؛ لأنها غالبا ما ترتبط بالخمير ، وهنا الشاعر قد استعارها من موضعها الحقيقي ووضعها مع كلمة المنى ، التي بمعنى الأمان والآمال و جاء بها على سبيل الإستعارة المكنية ، التي زادت المعنى وضوحا وبيانا كما أنها عبرت عن قدرة الشاعر على الإبداع .

ويقول في موضع آخر: ²

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْأَرْضِ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ

وَعَارَتْ بِهَا فِي أُفُقِهَا الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ

وَضَاحَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ مَسْرَةً

وَقَابَلَهَا مِنْ كُلِّ رِيحَانَةٍ تُعْرُ

في قصيدة رائية يمدح فيها الشاعر الثغري حاكم الدولة الزيانية السلطان أبا حمو موسى الثاني ويشني عليه، و يذكر بأيامه الغزو ببطولاته التي خلدت ذكره عبر الأزمنة والعصور ، وقد أدرج فيها إطرأ على نجل السلطان المدعو "أبو زيان مُجَّد" على حفظه سورة البقرة، فكانت منه هذه القصيدة تكريما لهذا النجل و احتفاء لحفظه هذه السورة القرآنية و تشجيعا منه و تحفيزا له حتى يواصل في قراءة القرآن وحفظه ، فاختار لمقدمة قصيدته رسما لصورة فنية آية في الجمال تأخذ بالمتلقي إلى أن يتخيلها و أن يجول في معانيها تمثلت في استعارة مكنية وذلك في قوله: "ابتسم الزهر" حيث شبه الشاعر " الزهر " " بالإنسان " و حذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك قرينة من قرائنه تدل عليه وهي " ابتسم " جاء بها على سبيل الاستعارة المكنية ، و أيضا في قوله : "ضاحكت الأرض السماء " هنا نجد استعارة مكنية حيث شبه الشاعر "الأرض" " بالإنسان " و حذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك قرينة من قرائنه تدل عليه وهي "ضحك" جاء بها على سبيل الإستعارة المكنية، فكلّ من الألفاظ "النور، الأرض، السماء" جعلها تبتسم تارة وتارة أخرى تضحك حيث نلاحظ أن الشاعر في هذين البيتين قد جعل هذه الأمور المعنوية حسية الأمر الذي شد انتباه القارئ من جهة و أعطى المعنى وضوحا وزاده رونقا وجمالا.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص284

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص66

ويقول في موضع آخر :¹

حَتَّىٰ بَدَا الْقَمَرُ الَّذِي لَوْلَاهُ

مَا بَدَتْ النُّجُومُ وَلَا بَدَا قَمَرَاهَا

قَمَرٌ يَيْثُرُ بِأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ

حَتَّىٰ أَضَاءَتْ أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الثغري ، سيدنا مُحَمَّد ﷺ ويثني عليه بخصال حميدة وسجايا كريمة اتسم بها سيد الخلق عليه الصلاة و السلام ، فقد وصفه في هذه الأبيات بالنور الذي أشرق على الدنيا بأكملها وعلى يثرب خاصة ، وقد اختار لهذا المدح والثناء على شخص النبي ﷺ لفظة " قمر " ، هذه اللفظة ذاتها جامعة لكل معاني الحسن والبهاء والجمال والنور والضياء ، و ماهي إلا دليل على تمام نوره عليه الصلاة والسلام وكمال فضائله و شمائله ﷺ ، وقد انتقى لوضوح هذا المعنى لدى المتلقي صورة فنية غاية في الروعة تمثلت في استعارة تصريحية ، وتكمن الإستعارة التصريحية في قوله: " قمر ييثرب " هنا حيث شبه الشاعر "النبي ﷺ" "بالقمر" ، وحذف المشبه وهو "الرسول ﷺ" ، وصرح بالمشبه به و ذكره وهو "قمر" ، جاء بها على سبيل الاستعارة التصريحية التي أعطت جلاء للمعنى و وضوحا له لدى المتلقي .

ويقول الثغري في موضع آخر :²

وَكَفَاهُمْ سَعْدًا أَبُو حُمُو الَّذِي

يُحْمِي جِهَاهُمْ بِالْحُسَامِ الْفَيْصَلِ

وَيُحْسِنُ نَيْبَهُمْ هُمْ بِجِدِّهِ

وَيَسْعِدُهُ وَيَسْعِيهِ الْمُتَقَبِّلِ

ذُو أَهْمَةٍ أَلْغِيَا الَّتِي آتَاهَا

حَلَّتْ بِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ كَالْأَعْوَلِ

بِحُرِّ النَّدَى الْأَحْلَى وَفَحْرُ الْمُنتَدَى

بِحُلَى بِمَشْرِقِ وَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ

تعدّ لامية الثغري من أجمل قصائده وأروعها وهي تضاهي حسنا وجودة لامية امرئ القيس، وفيها تطرق الشاعر إلى أن يمزج بين غرضين من الشعر غرض الوصف و غرض المدح ، فالأول خصّه لمسقط رأسه وهي مدينة

¹ الثغري ، ديوانه ، ص161

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص116

تلمسان ذكرا جماها الخلاب ومناظرها الساحرة الآخذة للعقول و الألباب ، أمّا الثاني فقد برع فيه وتوسع وكان فيه الأجد والأروع لا سيما و هو يمدح سلطانه: "أبا حمو موسى الثاني" حاكم مدينة تلمسان و سلطان الدولة الزيانية آنذاك، معدداً خصاله الحميدة وصفاته الحسنة وسجاياه الكريمة الخلقية والخلقية، وفي هذه الأبيات بالذات نجد شاعرنا الثغري يثني على ممدوحه ويذكر إنجازاته العظيمة و أعماله الجليلة ، التي قام بها لرعيته والتي من خلالها خلّد ذكره عبر العصور والأزمنة ، فقد كان قويا شجاعا مقداما في الحروب مدافعا عن دينه ووطنه ذو عزيمة قوية وإرادة صلبة كالفلواذ خاصة إذا تعلق الأمر بالدين والوطن، فإنه لا يغمض له جفن ولا يهدأ له بال حتى ينزل با لأعداء أشد العذاب و يهزمهم هزيمة نكراء، وقد تمكن الشاعر من إبراز هذا المعنى من خلال رسمه لصورتين فنيتين غاية في الروعة والإبداع، وقد جمع بينهما بأسلوب فني بديع أما الصورة البيانية الأولى فهي استعارة تصريحية وذلك في قوله: "بجر الندى" حيث شبه الشاعر ممدوحه "أبا حمو موسى الثاني" "بالبحر" وحذف المشبه وهو "الخليفة أبو حمو موسى الثاني" و صرح بالمشبه به و ذكره و هو "البحر" جاء بها على سبيل الاستعارة التصريحية التي زادت المعنى وضوحا و أعطته رونقا وجمالا.

أما الصورة البيانية الثانية فهي استعارة مكينة وذلك في قوله: "بمشرق وجهه المتهلل" حيث شبه الشاعر هنا "الوجه" ب "الشمس" وحذف المشبه به وهو "الشمس" وترك لازمة من لوازمه تدل عليه وهي "المشرق" جاء بها على سبيل الاستعارة المكنية، مما أضفى على المعنى وضوحا وجمالا و زاده رونقا وجمالا. وما زاد المعنى دقة هو تمكن الشاعر الثغري من أن يجمع بين هاتين الصورتين كلوحة فنية جميلة وذلك في بيت شعري واحد ، كيف لا وهو الشاعر المبدع والفنان المتميز إنه الثغري التلمساني.

1-2-1 / الأثر البلاغي للإستعارة: "سر بلاغتها و جماها":

تعد الإستعارة واحدةً من الصور البيانية والفنية ، التي تزيد المعنى وضوحا وتعطية بعدا جماليا مميزا ، وقد تمكن شاعرنا الثغري التلمساني من تحقيق هذا البعد من خلال ما يلي :

1/ جعل الشيء الجامد كائنا حيا يضحك ويتنسم

2/ جعل الشيء المحسوس ملموسا من أجل تقريبه إلى ذهن المتلقي

3/ إظهار ما يشعر به المبدع بأساليب جديدة ومعاني جديدة

4/ تقوية المعنى وتوضيحه.

1-3/ الكناية:

الكناية : يعرفها الجرجاني بقوله : « المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى المعنى وهو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه »¹ ويعرفها السكاكي بقوله: « الكناية ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك »² من هذين التعريفين يمكن القول : بأن الكناية هي صورة بيانية فنية ، تتمثل في لفظ أطلق أريد به لازم معناه مع إمكانية إيراد المعنى الحقيقي ، وللكناية ثلاثة أقسام بحسب المطلوب منها وهي: كناية عن صفة قريبة وبعيدة ، كناية عن نسبة ، و كناية عن موصوف. وبحسب الوساط للكناية ثلاثة أنواع أيضا وهي : « تعويض، تلويح ، و رمز »³ ومما سبق يمكن إدراج بعض الكنايات في شعر الثغري التلمساني و تحديدها كما يلي:

*يقول الثغري:⁴

مَعْقِلٌ لِلْهُدَى مَنِيْعُ النَّوَاحِي

مَظْهَرٌ لِلْعَلَا رَفِيْعُ الْعِمَادِ

في هذا البيت الشعري قد أبدع الشاعر في وصف ممدوحه ، جمع في بيت واحد العديد من الصفات الحسنة ، التي يتمنى كل واحد أن يتسم بها ، فقد رسم لنا الشاعر صورة كنائية رائعة ، تبين شخصية الحاكم المتميزة والجامعة للكثير من الخصال الحميدة والجوانب المتعددة ، فمن جانب الدين اختار لفظة الهدى ، وجانب البلاد انتقى لفظة النواحي ، ومن جانب الأخلاق وظف لفظة العلا ، وجانب قوة الجيش جعل له لفظة العماد وهذه كناية عن موصوف وهو سلطان تلمسان وقتئذ .

* ويقول الثغري في موضع آخر:⁵

يَا إِمَامَ الْهُدَى وَشَمْسَ الْمَعَالِي

وَعَمَامَ النَّدى وَبَدْرَ النَّوَادي

تمكّن الثغري من إعطاء جملة من الصفات النبيلة ، رسمها لشخصية ممدوحه السلطان أبي حمو موسى ، وكلها خصال حميدة و سجايا حسنة وسمات عظيمة ، مست جوانبه المتباينة فعبارة "إمام الهدى" كناية عن صفة الدين ،

¹ع.القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 66

² أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 402

³ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البيان البديع ، ص 288

⁴ الثغري ، ديوانه ، ص 64

⁵ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 64

وعبارة "شمس المعالي" كناية عن شهرته ، و أنه قد ذاع صيته في الأمصار من خلال عدله وشجاعته ، أما عبارة "غمام الندى" فهي كناية عن صفة الجود والكرم التي عرف بها هذا السلطان المتميز، ولم يكتف الشاعر بما سبق من الكنايات إنما ختم هذا البيت الشعري بكناية عن الجمال و البهاء في قوله: "بدر النوادي"، وكل هذه الكنايات جاءت لتوضح قيمة ممدوحه حاكم تلمسان ، وأهم الخصال التي انفرد بها وتميز بها عن سائر الحكام آنذاك.

وفي موضع آخر يقول الثغري التلمساني¹:

وَسَمَّا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَاجٍ

وَسَطًا سَيْفُهَا عَلَى كُلِّ وَاوِي

في هذا البيت الشعري تكمن الكناية في لفظي تاج وسيف ، فقد رسم لنا الشاعر الصورة الكنائية لسلطة حاكم تلمسان ، ومدى بسط نفوذه وعدالته بين الرعية وهذا في لفظة تاج ، أما عن لفظة السيف فهي كناية عن قوة الجيش و استعداداته التام لخوض المعارك والحروب دون كلل أو ملل ، و في هذا البيت الشعري تمكن الثغري من أن يظهر لنا مكانة تلمسان بلدا وحاكما وشعبا ، وقد استطاع من رسم الصورة الكنائية بكل دقة جامعا لأكثر من صورة في بيت واحد ، و هذا دليل على إبداعه وتميزه .

ويقول الثغري في موضع آخر:²

أَيُّهَا الْحَافِظُونَ عَهْدَ الْوِدَادِ

جَدِّدُوا أَنْسَنَا بَابَ الْجِيَادِ

لا يزال شاعرنا الثغري التلمساني يجول بنا في مدح المدن والملوك ، ولا جمالا يضاهي جمال تلمسان عنده ولا حاكما يوازي حاكم تلمسان أبا حمو موسى الثاني في نظره، وهو في هذا البيت الشعري قد رسم لنا صورة كنائية وذلك في قوله: "باب الجياد" وهنا كناية عن موصوف ألا وهو حاكم وسلطان الدولة الزيانية آنذاك الذي اشتهر بالكرم والجود، فالشاعر هنا قد احتكر الجود عند باب الحاكم دون غيره ، وكأن صفة الجود ملازمة للحاكم دون سواه وأنه قد جبل عليها، زادت هذه الصورة الفنية المعنى وضوحا لدى المتلقي لأنّ مبالغة الشاعر في تعظيم ممدوحه قد رفع من شأنه أمام المتلقي، مما أعطى المعنى دقة وروعة ورونقا وجمالا.

¹ الثغري ، ديوانه ،ص65

² الثغري ، المرجع نفسه ،ص285

يقول الثغري:¹

بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى سَأَلْتُكَ ضَارِعًا

وَبِالْمُصْطَفَى أَلَّا تَرُدَّ يَدِي صِفْرًا

من اللطائف الجليلة التي يعرفها أهل التقوى والورع هي أنهم قبل تقديم طلباتهم بين يدي الله عزوجل يعمدون إلى حمده والثناء عليه و استحضار عظمته وقدرته ، وهي من الأسباب التي تساعد على الانطلاق في بث الشكوى والرجاء، وأجلّ هذه اللطائف هي أن يدعو الإنسان ربه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأحياناً أخرى بشفاعة النبي سيدنا مُحَمَّد ﷺ ومحبته له، وهكذا هي الحال مع شاعرنا الثغري التلمساني الذي يقف من خلال هذا البيت الشعري موقف المذنب المعترف بالذنب التائب منه والمنيب إلى الله عزوجل فهو يسأله بأسمائه الحسنى و شفاعة نبيه مُحَمَّد ﷺ أن يغفر له ما كان منه من تقصير في حق الله ، وأن يعفو عنخطاياها وأن يصفح عنه ، وهو يطمع في رحمة الله الواسعة متشفعا بجيبه المصطفى ﷺ حتى لا يرده خائباً، والشاهد هنا أن الشاعر قد وضع هذا المعنى برسم صورة كناية عن صفة خيبة الأمل وذلك في قوله : " ألا ترد يدي صفرا" وهي كناية عن صفة الإخفاق في تحقيق الهدف والفشل في بلوغ المطلوب و قد عملت هذه الصورة على تشخيص المعنى وتوضيحه وتقويته وإيصاله دقيقاً واضحاً للمتلقى .

1-3-1/ أثر الكناية البلاغي "سر بلاغتها":

تعد الكناية صورة فنية تحمل بين طياتها جمالا خاصا يزيد المعنى وضوحا وتشخيصا ، وعليه فإن الكناية تعمل على :

1/ التوضيح والتفسير والتأكيد والتشخيص للمعنى

2/ إثارة دهشة القارئ وتفاعله من خلال التلاعب بالمعاني

3/ إعطاء صورة بعيدة المرمى في قالب قريب المأتمى

4/ إن الكناية ذات سمة خاصة بخلاف الصور البيانية الأخرى ، فهي التي تعطى الحقيقة مصحوبة بدليلها .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص164

1-4/ المجاز:

- المجاز يعرفه الجرجاني بقوله: « المجاز كل كلمة أريد بها ما وقعت له مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي »¹

- ويعرفه ابن رشيق بقوله: « المجاز هو ما أحسن موقعاً في القلوب والأسماع وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ، ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز لإحتماله وجود التأويل »²

من خلال ما سبق يمكن القول : أن المجاز هو كلما خالف الحقيقة من خيال ، يربط بينهما تركيب نميز من خلاله ما هو حقيقي و ما هو خيالي ، وهو نوعان : مجاز عقلي و مجاز مرسل .

1-4-1/ المجاز العقلي :

هو أحد أنواع المجاز ، ويتمثل في تعدي الحكم فيه عن مكانها الأصلي ، « و المجاز العقلي هو إسناد الفعل أوفيميا معناه إلى غير ماله علاقة ، مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي »³

« و سمي المجاز عقلياً لعدم رجوعه إلى الوضع ، و كثيراً ما يسمى حكماً لتعلقه بالحكم، ويكون مكان الحكم الأصلي فيه معلوماً بنفس العقل »⁴

وللمجاز العقلي عدة أنواع وذلك بحسب ما أسند إليه الفعل ومنها :

المفعولية الفاعلية ، المصدرية ، السببية، المكانية والزمانية .

1-4-2/ المجاز المرسل:

هو ركن من أركان المجاز اللغوي ، و يعرفه الخطيب القزويني بقوله : « المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة غير التشبيه »⁵

للمجاز المرسل علاقات كثيرة هي : "السببية. الجزئية، الكلية، الحالية ، المحلية المكانية ، باعتبار ما كان ، وباعتبار ما يكون".

¹ ع القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص303

² ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ص430

³ عبد العزيز عتيق، علم البيان ، ص 147

⁴ أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 395

⁵ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص205

ومن خلال تعريف المجاز ، وذكر أنواعه وكذا علاقاته ، فإننا يمكن تحديد بعض المجازات ، التي تضمنتها النصوص الشعرية للثغري التلمساني .

*يقول الثغري¹ :

قَدْ أَطَاعَتْكُمْ الْبِلَادُ جَمِيعًا

طَاعَةً أَرْغَمَتْ أَنْوْفَ الْأَعَادِي

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر حاكم تلمسانمينا مدى بسطه لنفوذه وسيطرته المطلقة حتى على أعدائه ، فانتقى من اللفظ ما يدل على ذلك ، فكان لعبارة أطاعتكم البلاد وقعا خاصا على المتلقى ، حيث نلاحظ فيها مجازا مرسلا علاقته الكلية ، و يظهر ذلك من خلال توظيف الشاعر للفظه البلاد ، وهي الكل وأراد من خلالها الرعية أو الناس أو الحبش وهو الجزء ، والمعنى المقصود هنا أنه لا يوجد حي على تلك البلاد آنذاك إلا وأذعن لأوامر الحاكم ، وقد استعان للتعبير عن هذه الحقيقة بالمجاز المرسل .

*ويقول في موضع آخر:²

شَيْمٌ حُلُوَّةُ الْجَنَى وَشَجَايَا

يَشْهَدُ الْمَجْدُ أَنَّهَا كَالشَّهَادِ

في هذا البيت الشعري نحدد المجاز في قوله : يشهد المجد ، وذلك من خلال نسب الشاعر فعل الشهادة إلى المجد ، الذي أخذ موضع الانسان ، فقد انتقل فيه الشاعر من تعبير بسيط إلى تعبير راق ومؤثر ، و ذلك من خلال ذكره ما يتصف به أهل المدينة وحاكمها آنذاك ، التيهي أشبه ما يكون بالعسل في مذاقها ، وهنا تعبير مجازي ينقل المتلقي إلى تصور و تخيل الحياة الحلوة من جميع جوانبها في ذلك العصر .

1-4-3/ الأثر البلاغي للمجاز: " سر بلاغته "

يعد المجاز واحدا من الصور البيانية التي ترسم اللوحات الجمالية، و التي من شأنها أن تزيد المعنى قوة وتأثيرا في نفس القارئ ، ويكمن جماله فيما يلي :

1/ التعبير عن معاني جديدة وتوليد المعاني التي من شأنها إبهام القارئ والتأثير فيه .

2/ تقوية المعنى وتوضيحه من خلال التعبير عنه بعلاقات المجاز المختلفة .

¹ الثغري، ديوانه ، ص 287

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 287

مما سبق يمكن القول أن الصورة البيانية بمختلف أنواعها كان حضورها قويا في أشعار الثغري التلمساني، وهذه الصور الفنية غايتها هي أن تساهم في تزيين القصيدة من حيث المعنى، وأن تعطيها جمالاً خاصاً وبارزا، يتمثل في تجسيد ما لا يمكن تجسيده في الحقيقة، كما أنها تجعل المتلقي في حالة ذهول وإثارة، كونها تنقله من الحقيقة إلى الخيال، وتجعله في تواصل مع الأديب شاعرا كان أم كاتباً المسمّى مبدعا، إضافة إلى أن الصورة البيانية تعمل على تقوية المعنى وتوضيحه وتضفي عليه جمالا رائعا وإبداعا أروع .

2/ المحسنات البديعية في شعر الثغري التلمساني :

2/ المحسنات البديعية:

إن المقصود بالمحسنات البديعية هي أنها وجوه من الكلام تذكر في الجملة لتحسينها ، وذلك بعد مراعاة مقتضى الحال فيكون : « تحسين الكلام تبعاً لمقتضى الحال من جهتي اللفظ والمعنى »¹

أما من حيث « اللفظ فإننا نجد الجنس والسجع ، وما يخص المعنى فهناك الطباق والمقابلة والتورية »²

وقد بدأ الاهتمام بعلم البديع منذ القرن الثالث هجري ، ويعتبر ابن المعتز المؤسس الحقيقي لهذا العلم ، ثم تبعه علماء أولوا عناية خاصة لهذا العلم وأضافوا أنواعاً جديدة إلى أنواعه المعروفة، « وقد قسمت المحسنات البديعية إلى قسمين هما: محسنات لفظية ، و محسنات معنوية »³

أما عن المحسنات اللفظية فتتمثل في :

« الجنس، السجع ، التصريع ، التوازن ، التشريع، التزام ما لا يلزم، الازدواج ، التسميط، التطريز، التوشيح ، التوشيح ، الاحتباك، الاكتفاء ، التضمن ، حسن الابتداء والختام والتخلص »⁴

أما المحسنات المعنوية فهي :

« الطباق ، المقابلة التورية، المشاكلة ، المبالغة، التبليغ ، العكس ، الرجوع ، الاستطراد، الإطراد ، الاستتباع ، اللف والنشر، التفسير، التفرغ ، الإدماج ، الجمع والتفريق والتقسيم ، الإيضاح ، الإشارة ، التكميل ، الاحتراس ، الإرداف و التتبع »⁵

إن الغرض من المحسنات البديعية لفظية كانت أو معنوية هو تحميل اللفظ والمعنى وتزيينهما ، مما يزيد المعنى وضوحاً ، و يعطيه رونقاً وجمالاً .

¹ عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، دط ، 2010 ، ص 76

² أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 2008 ، ص 172

³ عبد العزيز عتيق ، المرجع نفسه ، ص 75

⁴ مرعي بن يوسف الحنبلي ، القول البديع في علم البديع ، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 68

⁵ عيسى علي العكوب ، المفصل في علوم البلاغة ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، دمشق ، 2018 ، ص 630

2-1/ المحسنات اللفظية:

2-1-1/ الجناس:

الجناس هو تشابه كلمتين لفظا و اختلافهما معنى ، ويعود سبب تسميته بالجناس إلى تجانس حروف الكلمتين فيتألفان من الحروف نفسها وهو نوعان :

أ/ الجناس التام:

هو ما اتفقت فيه الكلمتان في أربعة أمور هي : نوع الحروف وعددها وهيئتها أي حركتها و ترتيبها

ب /الجناس الناقص:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في أحد الأمور الأربعة.

يقول الثغري :¹

أَسْأَلُ عَنْ نُجْدٍ وَدَمْعِي سَائِلٌ

وَبَيِّنَ صَبَا نُجْدٍ وَشَوْقِي رَسَائِلٌ

في هذا البيت الشعري يبين لنا الشاعر مدى شوقه وحنينه إلى مكة المكرمة في رحلة إيمانية ، تتجدد فيها صلة العبد بربه ، موظفا ما يقتضيه الحال من ألم وبكاء فيما يتعلق بهذا المجال ، فانتقى لذلك ألفاظا موحية فنلاحظ تشابه لفظتين و هما : "سائل وسائل" غير أنهما مختلفتان في المعنى ، وهذا ما نسميه بالجناس التام ، أما الأولى فهي اسم فاعل اشتقت من الفعل " سأل" بمعنى استفسر واستفهم ، أما الثانية فهي أيضا اسم فاعل اشتقت من الفعل "سال" بمعنى انساب وتدفق ، و عليه فإن الكلمتين "سائل وسائل" تمثلان جناسا تاما ؛ لاتفاقهما في الأمور الأربعة نوع الحروف ، عددها ، هيئتها وترتيبها واختلافهما في المعنى .

يقول الثغري:²

وَلَوْ تَمَّرَ التَّوْفِيقُ أَصْبَحْتُ جَانِيًا

مَا كُنْتُ لِآثَامٍ وَالذَّنْبِ جَانِيًا

ها نحن نرى شاعرنا الثغري في غرض الوعظ والتذكير والعتاب ، فقد طرق في هذا البيت الشعري أحوال النفس المتقلبة وحالاتها المتبانية ، مبينا لنا أن التوفيق إلى الأمور الصائبة من جهة و تجنب الأذى والضرر من جهة أخرى كلاهما بيد الله عز وجل ، و يرى أنه من يزرع الخير يجن خيرا وتكن ثماره طيبة وأن الآثام والذنوب

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 99

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 168

والمعاصي هي نتائج سلبية وحتمية لكل سلوك سيء وهو ما يجنيه الإنسان جرّاء تصرفاته المشينة، والشاهد في هذا البيت الشعري هو انتقاء شاعرنا الثغري للفظتين متشابهتين لفظاً و مختلفتين معنى وهما "جانياً" و "جانياً". فالأولى موجودة في آخر صدر البيت ومعناها قاطفا ثمار العمل الصالح والسلوك الطيب، أمّا الثانية فهي موجودة في آخر عجز البيت ومعناها مرتكبا للذنوب والمعاصي، وهذا التشابه بين لفظتي "جانياً" و "جانياً" هو تشابه تام في أمور أربعة وهي نوع الحروف وعددها وترتيبها وحركتها وعليه فإن هذا المحسن البديعي اللفظي يسمى جناساً تاماً يرمي إلى تزيين المعنى وإعطائه رونقاً وجمالاً.

يقول الثغري ¹:

وَبِشْعَرِي فَهَمْتُ مَعْنَىٰ عُلَاهَا

مِنْ حَلَاهَا فَهَمْتُ فِي كُلِّ وَادِي

هذا البيت الشعري هو من قصيدة طويلة نظمها شاعرنا الثغري في وصف مدينة تلمسان الجميلة، التي تعج بمنظر طبيعية خلابة و بمناطق أثرية رائعة حباها الله بها عن سائر البلدان، الأمر الذي جعلها قبلة يؤمها السياح من جهة، ومن جهة أخرى هي مطمع الأعداء يتغنون احتلالها، والشاعر في هذا البيت الشعري يوضح لنا أن هذا الجمال الساحر جعل قريحته تجود بما تملكه من شعر جيد لا يفي حقها في الوصف، فاخترها لهذا المعنى لفظتين متشابهتين تماماً من حيث نوع الحروف وعددها وترتيبها وحركتها لكنهما مختلفتان في المعنى وهما "فهمت" و "فهمت" أمّا الأولى فتعني أدركت وعرفت، وأمّا الثانية فهي تحمل معنى الحب والهيام وشدة التعلق بالشيء، والملاحظ هنا أن الشاعر قد وظف الجناس التام " فهمت وفهمت " الذي زاد المعنى رونقاً وجمالاً.

*ويقول الثغري في موضع آخر: ²

تَهَلَّلَ وَجْهُ الْأَرْضِ وَابْتَسَمَ الرَّهْرُ

وَعَارَتْ بِهِ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الرَّهْرُ

في هذا البيت الشعري رسم الشاعر صورة الطبيعة الخضراء الغناء في فصل الربيع، ويبين لنا مظاهر جمالها بانتقائه لألفاظ ذات دلالات متباينة رغم تشابههما في اللفظ، فنلاحظ أن

¹ الثغري، ديوانه، ص 285

² الثغري، المرجع نفسه، ص 66

الكلمتين " الرَّهْرُ " الموجودة في نهاية الصدر هي نفسها كلمة " الرَّهْرُ " الموجودة في نهاية العجز لاتلافهما في الأمور الأربعة وهي نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها ، غير أنهما تختلفان في المعنى ، فالأولى بمعنى الأزهار والورود ، والثانية تحمل معنى الإضاءة واللمعان والإنارة ، وهذا ما يسمى بـ الجنس التام .

يقول الثغري:¹

وَرَهَا الرَّهْرُ وَالْعُصُونُ تَتَنَّتْ

وَتَعَنَّتْ عَلَيْهِ وَرَقُّ شَوَادِي

يصف لنا الشاعر في هذا البيت الشعري جمال مدينة تلمسان عند ما تكتسي الطبيعة حلة خضراء ، ينعكس هذا البهاء على تلمسان فتتزين بجمال خلاب واختار لذلك بعض الألفاظ التي تتشابه إلى حد كبير من ناحية اللفظ و هما : " تَتَنَّتْ و تَعَنَّتْ " ، والاختلاف يبدو جليا بينهما ، فاللفظة الأولى حرفها الثاني هو الثاء ، أما اللفظة الثانية فحرفها الثاني هو الغين ، وتبقى الحروف الأخرى مؤتلفة نوعا وهيئة وترتبا ، وهذا ما يسمى بالجناس الناقص .

*ويقول الثغري في موضع آخر:²

قَاتِلُ الْمَحَلِّ وَالْأَعَادِي جَمِيعًا

بِعِزَارِ الظَّبَّاءِ وَعُزْرِ الْأَيَادِي

يتمتعنا شاعرنا الثغري بتوظيفه للجناس ، فها هو الآن ما فتى يمدح حاكم تلمسان واصفا إياه بالقوة والشجاعة والإقدام في الحرب ، وما زاد هذا المعنى رونقا وجمالا هو توظيفه للفظتين متشابهتين في بعض الحروف و هما : " الْأَعَادِي و الْأَيَادِي " ، ونلاحظ الإختلافي نوع الحروف فالكلمة الأولى حرفها الثاني هو : " العين " في حين أن الكلمة الثانية حرفها الثاني هو : " الباء " ويقيم التوافق قائما في بقية الحروف من حيث النوع والعدد وهيئة والترتيب ، غير أن ذلك الاختلاف جعل من هذا الجنس يكون جناسا ناقصا .

يقول الثغري:³

هَذَا يَكْرُ وَدَاكَ يَفْرُ فَيَنْثِي

عَطْفًا عَلَى الثَّانِي عِنَانَ الْأَوَّلِ

من الخصال الكريمة والصفات النبيلة التي اشتهر بها أبو حمو موسى الثاني سلطان الدولة الزيانية وقتئذ هي الإقدام في الحروب والشجاعة والقوة ، وشاعرنا الثغري المعجب بشخصية ممدوحه الذي هو سلطان الدولة الزيانية

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 64

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 64

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 115

حاكم تلمسان ، و من خلال هذا البيت الشعري قد صور لنا واقعة من وقائعه ضد أعدائه عند نزوله ساحة الوغى ومدى الهزيمة النكراء التي ألحقها بهم ، فكان جيشه المقدام يضرب بالبيض أعناق الأعداء فتتطاير رؤوسهم هنا وهناك ، أمّا جنود العدو فكانوا يولون الأدبار ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وقد انتقى الشاعر لجلاء هذا المعنى لدى المتلقى بعض الألفاظ المتشابهة في اللفظ نوعا ما و هما "يكرّ" و "يفرّ" غير أن هذا التشابه اللفظي بينهم ليس تاما إنما هناك اختلاف واحد بينهما يوجد في فاء الفعلين ، فالأول كانت فاءه كافا و الثاني كانت فاءه فاء ، هذا الاختلاف جعل من هذا الجنس جناسا ناقصا وقد زاد المعنى وضوحا و أعطاه جمالا خاصاً.

يقول الثغري:¹

وَلَا كَانَ قَلْبِي بِالْجُرَائِمِ قَاصِيًا

وَلَا كُنْتُ عَنْ دَارِ الْأَجْبَةِ قَاصِيًا

في هذا البيت الشعري يعاتب الشاعر نفسه ويلومها على ارتكاب المعاصي والآثام و جنيه للذنوب نتيجة سلوكاته السيئة مع الله ومع الآخرين، لكنه رغم كل هذا فإنه يطمع في هداية الله إياه إلى الطريق المستقيم وهو مدرك رحمته الواسعة التي يرغب أن يغشاه بها، إضافة إلى أنه صاحب همّة قوية وعزيمة فذة تمكنه من تخطي هذه الصعوبات والجرائم التي تورث الذنوب والآثام فقلبه متعلق بالله ومحب للرسول ﷺ ، وقد اختار لهذا المعنى كلمتين متشابهتين تقريبا في اللفظ ومختلفتين في المعنى وهما " قَاصِيًا " و " قَاصِيًا " فالأولى موجودة في صدر البيت ومعناها القسوة والعنف أمّا الثانية فموجودة في عجز البيت ومعناها بعيداً وتائها ، وقد اختلفت هاتان اللفظتان في نوع الحروف رغم تشابههما في عدد الحروف وترتيبها وحركتها وهذا ما يسمى بالجناس الناقص.

* أثر الجنس في المعنى :

يساهم الجنس في تقوية المعنى، كما يضيف عليه رونقا و جمالا ، و يزيده روعة وبهاء .

2-1-2/ السجع:

السجع: « هو توافق الفاصلتين في الشعر والنثر على حرف واحد ، وهو كالقافية في الشعر »²

يقول الثغري:³

إِمَامٌ أَهْدَى سَاقِي الْعِدَى أَكْؤُسَ الرَّدَى

عَمَامٌ الْجِدَى غَيْثَ النَّدَى الْمُتْرَاسِلِ

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 168

² علي الجارم ، مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1990، دط، ص272

³ الثغري، المرجع نفسه ، ص 107

إن شاعرنا الثغري يفتخر بمدوحه أبي حمو موسى الثاني و يبين فضائله ، فقد تمكن في بيت واحد من الشعر أن يجمع العديد من الخصال الحميدة والشيم النبيلة ، التي خص بها سلطان تلمسان آنذاك ، فوسمه بالإمامة وبالقوة والشجاعة والإقدام في الحروب ، واختار لهذا المقام ألفاظا موحية ذات دلالة ، أضفت على المعنى جرسا موسيقيا جميلا ونغما بديعا .

وهذه الألفاظ هي: "الهدى ، العدى ، الردى ، الجدى ، الندى" ، والملاحظ أن كل هذه الألفاظ ختمت بفواصلتين متشابهتين هما حرفا "الذال والألف المقصورة" ، وهذا الاتفاق في الفواصل أحدث نغمة ورنه جميلة لدى المتلقي ، كما أنه أعطى المعنى رونقا وجمالا ، وهذا هو " السجع " وأثره الجلي في تقوية المعنى وتوضيحه.

*يقول الثغري في موضع آخر: ¹

فَمَا هُوَ إِلَّا كِتَابٌ وَسُنَّةٌ بِنَسْخِهِمَا

قَدْ أَحْرَزَ الْفَخْرَ وَالْأَجْرَ

يتمتعنا الثغري بوصف ممدوحه أبي حمو موسى حاكم تلمسان آنذاك ، فهو يثني عليه ويذكر إنجازاته و أعماله الخالدة عبر التاريخ ، فقد وصفه في هذا البيت الشعري بالعالم الجليل المقيم للدين ، الذي يهتم بالقرآن الكريم و بالسنة النبوية الشريفة ، ومما عُرفَ عنه أنه استطاع و بيده أن يكتب نسخة من القرآن الكريم ، وقد حاز بذلك الفخر من الرعية من جهة ، ونال الأجر والثواب من الله تعالى من جهة أخرى ، لذلك فالشاعر قد انتقى للدلالة على هذا المعنى لفظتين هما "الفخر والأجر" ، وهما لفظتان يشتركان في الوزن في الفاصلة الأخيرة ، وقد أحدثنا جرسا موسيقيا لدى المتلقي ، وهنا أيضا يتجلى لنا المحسن اللفظي "السجع" .

يقول الثغري: ²

يَا إِمَامَ أَهْدَى وَشَمْسَ الْمَعَالِي

وَعَمَامَ النَّدى وَبَدْرَ النَّوَادِي.

يمدح الشاعر حاكم تلمسان أبا حمو موسى الثاني ويعطينا له جملة من الصفات الحميدة التي تميز بها ممدوحه وفي جوانب متعددة من شخصيته فقد وسمها بالإمامة من جانب الدين كونه حافظا للقرآن الكريم و محبا للرسول صلى الله عليه وسلم و مدافعا عن الإسلام والمسلمين ، كما وصفه بالعلو والرفعة والعظمة وشهرته التي بلغت مشارق الأرض و مغاربها فهو كالشمس لا أحد يجهلها ، وأيضا نعته بالجواد والكريم كما الغمام و ختم بيته بأن أعطى ممدوحه جمالا وبهاء كما لقمر والملاحظ في هذا البيت الشعري وجود لفظتين قد اشتركتا في الفواصل الأخيرة لها

¹ الثغري ، ديوانه ، ص89

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص64

وهما " الهدى و الندى " وهذا الاشتراك بينهما قد أحدث جرسا موسيقيا يشد القارئ وتطرب له الأذن وهذا ما يسمى ب السجع.

* أثر السجع في المعنى :

السجع كباقي المحسنات البديعية يسهم في تقوية المعنى وتوضيحه ، و يزيده رونقا و بهاء ، كونه يحدث نغمة موسيقية تطرب لها الأذن وتستعذ بها .

2-1-3/ التصريع:

التصريع : « هو استواء عروض البيت وضربه وزنا وإعرابا وتقفية »¹

يقول الثغري:²

أَيُّهَا الْحَافِظُونَ عَهْدَ الْوَدَادِ

جَدُّدُوا أَنْسَنَا بِيَابِ الْجِيَادِ

اهتم الثغري في جل أشعاره بالمحسن اللفظي التصريع ، وأولاه عناية كبيرة باعتباره محسنا يتواجد بالضرورة في البيت الأول من القصيدة ، وأن مطلع القصيدة يجب أن يشد انتباه المتلقي ، مهما تنوعت الأغراض فيها وتباينت ، لذلك فالملاحظ أن معظم قصائد الثغري قد غلب عليها "التصريع" ، وفي هذا البيت الشعري نلاحظ التصريع في اللفظتين " الْوَدَادِ و الْجِيَادِ " اللتين اشتركتا في الفاصلة الأخيرة وهي حرف "الـ" ، والشاعر في هذا البيت الشعري يتغنى بجمال مسقط رأسه ويبتن لنا أن البلد الذي ولد و عاش فيه. و ترعرع بين أحضانه وأحبه وتعلق به هو من أجمل البلدان فإن بهاء طبيعته سحر بصره وسلب عقله و أخذ لبّه و ولّد فيه حب الجمال وسعة الخيال ، كما أنّه أدرج في غرض الوصف غرضا آخر ألا وهو المدح، فراح شاعرنا الثغري يثني على ممدوحة سلطان الدولة الزيانية أبي حمو موسى الثاني بما جادت به قريحته من خصال حميدة وسجايا نبيلة تميز بها هذا السلطان، لذلك فقد وظف الشاعر لفظتي " الوداد " التي توحى بالشوق والحنين والمحبة والمودة وكذلك لفظة "الجياد" التي توحى: بالكرم والجود والعطايا

¹ عيسى علي العاكوب ، المفصل في علوم البلاغة ، ص 692

² الثغري ، ديوانه ، ص 64

والهبات ، وقد اشتركت هاتان اللفظتان " أَلْوَدَادِ وَاَلْحِيَادِ " في الحرف الأخير وهذا المحسن اللفظي يسمى تصريعا لأنه وجد في البيت الأول من القصيدة .

*ويقول الثغري في موضع آخر: ¹

ذَكَرَ الْحِمَى فَتَضَاعَفَتْ أَشْجَانُهُ

شَوْقًا وَصَاقَ بِسِرِّهِ كِتْمَانُهُ

يبين الشاعر في هذا البيت الشعري مدى شوق وحنينه لزيارة قبر الرسول ﷺ ، وأن حبه إليه ليس سرا ينبغي كتمانها ؛ لأن نفسه تهفو إلى البقاع المقدسة كلما ذكرها الذاكرون و شد إليها الرحال ، لذلك فقد اختار للدلالة على هذا المعنى لفظتين هما " أَشْجَانُهُ و كِتْمَانُهُ " ، أما الأولى فقد ختم بها صدر هذا البيت الشعري ، وختمت هي بحرف "الهاء" وأما الثانية فقد ختم بها عجز هذا البيت الشعري وختمت هي أيضا بحرف "الهاء" ، والقارئ أو المستمع لهذا البيت الشعري يشد انتباهه هذا التوافق ، الذي أحدث نغمة وجرسا موسيقيا ، فيدرك أن هذا محسن لفظي يدعى " التصريع " ، كونه أتى في مطلع القصيدة.

يقول الثغري: ²

أَفْصِرُ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَاقَانِي

وَأُنْكَرْتَنِي الْعَوَانِي بَعْدَ عِرْفَانِي

في هذا البيت الشعري يبين الشاعر لنا أنّ العمر قد مضى وقد تقدّم في السن وأصبح هرما ، و الدليل على ذلك هو ذلك البياض الذي وخط سواد شعره إنه الشيب و هو علامة الكبر والشيوخوخة ونذير على دنو الأجل والاقتراب من النهاية ، وهو يؤكد أنه لما اشتعل رأسه شيئا حتى أحبته وأصدقائه و معارفه لم يستطيعوا التعرف عليه، والشاهد هنا هو توظيف الشاعر لحرف واحد في آخر لفظة من الصدر وآخر لفظة من العجز إنه حرف النون الموجود في كلمتي " واقاني و عِرْفَانِي " ويعتبر هذا البيت مطالعا لقصيدة نونية ، إذن فقد استعمل الشاعر ما يسمى بالتصريع الذي من خلاله يتمكن من شدّ انتباه القارئ ويدفع بالمتلقي إلى التمعن والتدبر في الأبيات اللاحقة.

*أثر التصريع في المعنى :

يتقاسم التصريع مع السجع الأثر البلاغي ، فهو أيضا " التصريع " يحدث جرسا موسيقيا لدى المتلقي ، مما يستدعيه إلى التمعن في الأبيات اللاحقة من القصيدة ، فيشده إليها وكله تدبر في معانيها.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص168

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص153

21-4/ حسن الابتداء و الختام و حسن التخلص:

أ/ حسن الابتداء:

حسن الابتداء يعني : « البراعة في المطلع بحيث تكون المعاني واضحة ، ويكون المطلع فريدا في الاستهلال »¹
 لقد حافظ الثغري على بناء القصيدة العربية كما كانت في العصر الجاهلي ، وعليه فإنه وبالضرورة قد حافظ على المقدمة الطللية ، التي عرفها الشعر الجاهلي وذلك لأن « الطلل لا يعدو أن يكون ذكريات وضربا من الحنين إلى الماضي والنزوع إليه ، فإن الشعراء دائما يرتدون بأبصارهم إلى السوراء ، إلى أعلى جزء مضى وانقضى من حياتهم ، يوم كانوا في الصبا وريعان الشباب ، لاهم لهم ولا شيء يشغلهم سوى العكوف على اللهو والمتعة »²
 لقد استمر الشعراء في عصور لاحقة على حضور المقدمة الطللية ، وهكذا هي الحال مع شاعرنا الثغري التلمساني خاصة ما كان منه في شعر المولديات .

يقول الثغري :³

سِرُّ الْأَجْبَةِ بِالذُّمُوعِ يُتَرْجَمُ

فَالذَّمُّعُ إِذَا تَسَأَلَ فَصَبِيحٌ أَعْجَمُ

وَالْحَالُ تَنْطِقُ عَنْ لِسَانِ صَامِتٍ

وَالصَّبُّ يَصْمُتُ وَالهُوَى يَتَكَلَّمُ

إلى قوله:⁴

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلسَّرَى حَتَّى أَرَى

مُعَنَى بِهِ لِأُولَى السَّعَادَةِ مَعَنَمُ

مُتَنَزِلُ الْوَحْيِ الَّذِي يُتَلَى

فَلَا سَمْعٌ بِمَلْءِ وَلَا لِسَانٌ يَسْأَمُ

¹ مرعي بن يوسف الحنبلي ، القول البديع في علم البديع ، ص 116² حسين عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، دط ، 1986 ، ص 227³ الثغري ، ديوانه ، ص 121⁴ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 125

في هذه الأبيات الشعرية آثر الشاعر أن يستهل قصيدته بمقدمة مميزة ، ذكر فيها الأماكن المقدسة وحينها إلى الروضة الشريفة ، مظهرا مدى حبه الشديد للرسول ﷺ ، والثغري على غرار شعراء المديح النبوي ، فإنهم كانوا في نظمهم للقصائد غالبا ما يستبدلون الوقوف على الأطلال ، والبكاء على فراق المرأة بذكرهم للبقاع المقدسة وللبيت العتيق ، الذي من خلاله يتجلى تعلقهم وحبه للرسول ﷺ ، وشدة اشتياقهم إلى زيارته والتمتع بأداء مناسك الحج والعمرة .

ب/ حسن الختام:

حسن الختام: « هو أن يكون آخر الكلام جزلا فخما ، له وقع عظيم في نفس السامع »¹

لقد اهتم الثغري بهذه السمة الشعرية ألا وهي حسن الختام ؛ لأنه كان يحاكي في بناء قصائده البناء الجاهلي للقصيدة ، لذلك فقد كان غالبا ما يذيل أشعاره بأبيات شعرية تحمل في طياتها حكما ، وأخرى تدعو إلى الافتخار بأشعاره يضاها في ذلك المتنبى وأبا تمام وغيرهما .

² يقول الثغري :

وَالْيَكُمُ مِنْ مُدْهِبَاتِ الْقَوَائِي

حِكْمًا سَهَّلْتُ لِيَانَ الْمُقَادِ

كُلُّ بَيْتٍ مِنَ النِّظَامِ مُشِيدٍ

عِطْرِ الْأَفُقِ بِالثَّنَاءِ الْمُشَادِ

دُوْا إِيْتِسَامِ كَزْهَرِ رَوْضِ

مُجَوِّدٍ وَانْتِظَامِ سِلْكِ دُرِّ حِجَادِ

تعتبر هذه الأبيات نهاية ختم بها الشاعر قصيدة طويلة ، كان الغرض فيها هو مدح سلطان تلمسان أبي حمو موسى الثاني ، فبعد أن ذكر مناقب ومدوحه وأشاد بفضائله وخصاله الحميدة ، تمكن من أن ينهي قصيدته بالفخر؛ إذ أنه يعبر في هذه الأبيات عن براعته في نظم الشعر وشاعريته المتميزة ، وأنه إضافة إلى ذلك قادر على أن ينظم الشعر وعلى بحور الشعر المختلفة ، لذلك فالشاعر استطاع ببراعته وإبداعه أن يحسن ختام قصيدته ، وهذه صفة قلما نجدها عند شعراء آخرين ، إنما تميز بها الثغري التلمساني .

¹ مرعي بن يوسف الحنبلي ، القول البديع في علم البديع ، ص 116

² الثغري ، ديوانه ، ص 71

ج/ حسن التخلص:

حسن التخلص : هو « أن ينتقل المتكلم من معنى إلى معنى آخر بلطف »¹

اعتمد الثغري حسن التخلص في معظم قصائده الشعرية ؛ إذ أنه يجيد ذلك فهو ينتقل من موضوع إلى آخر في قصيدة واحدة، و بأسلوب سلس و عفوية تامة دون تكلف ، مع الإبقاء على حسن الربط بين عناصره ، خاصة ما كان منه في المديح النبوي ، ويعتبر حسن التخلص من مظاهر قدرة الشاعر على التحكم في عناصر موضوعه، وحسن بناء قصيدته لأن « الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني ، التي أرادوها ضمن مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ، ولطفوا في صلة ما بعدها ، فصارت غير منقطعة عنها»²

يقول الثغري:³

إِذَا إِنِّيضُ فُؤَادِي زَادَ طَبْعِي رِقَّةً

كَمَا وَصَفُوا الْبَيْضَ الرَّقَاقِ مِنْ أَهْنَدِ

وَلَكِنِّي أَبْكِي لِزَلَّاتِي الَّتِي

بَجَّازَتْ فِيهَا مُنْتَهَى الْحَصْرِ وَالْحَدِّ

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي كَثِيرَةً

وَأَثَرْتُ عَنِّي إِذْ تَعَامَيْتُ عَنْ رُشْدِي

لَأَرْجُو شَفِيعَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

يُشْفِعُهُ الْمَوْلَى فَيَشْفَعُ فِي الْعَبْدِ

في هذه الأبيات نلاحظ سمة حسن التخلص، فمن الموضوع الرئيس المتمثل في مدح الشاعر للرسول ﷺ ، إلى الإشادة بمكارم أخلاقه ، وذكره فضائله و شمائله الحمديّة ، انتقل الشاعر و بأسلوب سلس و براعة تامة إلى اعترافه بذنوبه و ندمه على ارتكابه لها ، وهو يطمع في أن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه و سلم، وأن تشمله رحمة ربه عز وجل وهذا الانتقال الذي اعتمده الشاعر من الموضوع الرئيس إلى مواضيع أخرى ثانوية ، لا يأتي به ولا يجيده إلا شاعر متمكن لديه القدرة الكافية ، والبراعة الوافية، وهذا ما يسمى بـ "حسن التخلص"

¹ مرعي بن يوسف الحنبلي ، القول البديع في العلم البديع ، ص 116

² ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تح : طه الحاجري و محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، القاهرة ، دط ، 1956 ، ص 111

³ الثغري ، ديوانه ، ص 55

2-2/ المحسنات المعنوية :

2-2-1/ الطباق:

الطباق ويسمى أيضا « التطبيق والتضاد والمطابقة والتكافؤ ، وهو الجمع بين معنيين متضادين في العبارة ، وللطباق نوعان هما :

« طباق الإيجاب : وهو أن يؤتى بالكلمة وضدها في عبارة واحدة وطباق السلب: وهو أن يؤتى بالكلمة ونفيها في نفس العبارة»¹

لقد اهتم الثغري بالمحسنات المعنوية كاهتمامه بالمحسنات اللفظية، لا لشيء إلا لكونها تسهم إسهاما كبيرا في توضيح المعنى وتوثيقه ، كما أنها تضيف عليه جمالاً وبهاء خاصاً ، لذلك فإننا نلاحظ توظيفه للتضاد وبشكل واضح وجلي في أشعاره ، سيما في مدحه للرسول ﷺ، وأيضاً في مدحه لسلطان مدينة تلمسان.

يقول الثغري:²

وَالْحَالُ تَنْطِقُ عَنْ لِسَانٍ صَامِتٍ

وَالصَّبُّ يَصْمُتُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ

يعبر الشاعر في هذا البيت الشعري عن شوقه للروضة الشريفة وحنينه إليها، لذلك فقد وظف التضاد ليبين مقدار هذا الشوق و قيمته ، وأتخذ بلغ أوجه و قمته ، وهو يرغب في شد الرحال إليها و السفر نحوها ، لذلك فإننا نلاحظ التضاد في اللفظين يصمت ويتكلم ، و هما كلمتان متطابقتان تطابقا تاما ؛ لأن الصمت عكسه التكلم وهذا ما يسمى بـ : "طباق الإيجاب".

ويقول في موضع آخر:³

فَمَرُّ بَيْتْرِبِ أَسْرَقَتْ أَنْوَارُهُ

حَتَّى أَضَاءَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاهَا

يمدح الشاعر سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، واصفا إياه بالقمر الذي أضاء الدنيا بأكملها، وخاصة المدينة المنورة فزادها نورا وضياء ، واختار لهذا المعنى بعض التضاد ، الذي يظهر في قوله :الأرض والسماء و هو طباق الإيجاب ؛لأن الكلمتين مطابقتان طباقا تاما،وقد أراد الشاعر أن يخبرنا بأن نور النبي محمد ﷺ، قد غطى ما بين السماء والأرض، وهو معنى مجازي توضحه الألفاظ المتضادة، وهي وحدها تفي بهذا الغرض .

¹ عيسى علي العاكوب ، المفصل في علوم البلاغة ،ص 630

² الثغري ، ديوانه ، ص 125

³ الثغري ، المرجع نفسه، ص161

يقول الثغري: ¹

حَمْلُهُ مِنْ شَرْقٍ لِعَرْبٍ فَأَعْتَدَى
كَطُلُوعِ شَمْسٍ بَادَرَتْ لِعُرُوبٍ
وَمَشَوْا عَلَى أَقْدَامِهِمْ قُدَامَةً
يَدْعُونَ بِالترغيبِ وَالتَّرهيبِ

قصائد رائعة نظمها شاعرنا الثغري في غرض الرثاء الذي ينطوي على نفسية حزينة، وكآبة وأسى يجلب إليه القارئ وتؤثر فيه، وهذا ما نراه في هذين البيتين اللذين هما من قصيدة طويلة يرثي فيها الشاعر والد سلطان الدولة الزبانية موسى أبو حمو موسى وهو في هذا المصاب الجلل الذي ألمّ بالأسرة الحاكمة يعزي أهل المغفور له. ويواسي حاكم تلمسان أبا محمد موسى الثاني ويقف إلى جانبه ويشد من أزره ويقوي عزيمته لأن مثل هذه المواقف تحتاج إلى قوة كبيرة وصبر جميل و إيمان قوي بقضاء الله وقدره، وهو في ذات السياق يذكرهم برحمة الله التي وسعت كل شيء، ويؤكد أن الموت قدر محتوم و طريق لا بد علالمء أن يسلكها طال العمر فيها أو قصر ، وما الموت إلا إنتقال من دار الفناء إلى دار الخلد وقد اختار لهذا المعنى بعض الألفظ المتضادة وهي "شرق وغرب " و "ترغيب و ترهيب" ، وهذه الألفاظ متضادة تضادا تاما و مباشرا و متطابقة في المعنى وهذا ما يسمى بطباق الإيجاب ، وما زاد هذا المعنى وضوحا هو إدراج الشاعر تلك الصورة البيانية الرائعة في قوله : " كطلوع شمس بادرت لغروب " والمتمثلة في تشبيه مرسل حيث شبه فيه الشاعر الفقيد بالشمس فكانت حياته مدة زمنية قصيرة ثم انقضت فهي تماثل شمس النهار التي تطلع صباحا ثم تغرب مساء ، وهكذا هي مسيرة الإنسان وحياته مدة زمنية يقضيها منذ ولادته حتى وفاته، وقد اتقى الشاعر الثغري التضاد لبيان هذه الصورة ووضوح المعنى لدى القارئ كونه يناسبه و يلائمه.

ويقول في موضع آخر: ²

حَتَّىٰ بَدَا الْقَمَرُ الَّذِي لَوْلَاهُ
مَا بَدَتْ النُّجُومُ وَلَا بَدَا قَمَرَاهَا

لا يزال يمتعنا الشاعر بمدح سيد الخلق نبينا محمد ﷺ ، فجمع بين صورة بيانية رسمها بأسلوب بديع ، وبين محسن معنوي زين به تلك الصورة البيانية ، أما عنالأولى فهياستعارة تصريحية ، ويظهر ذلك حين شبه النبي محمد ﷺ بالقمر وحذف المشبه و صرح بالمشبه به ، أما عن الثاني فهو طباق السلب الذي يظهر في قوله: "بدا ≠ لا بدا " هذا التضاد الذي زاد من وضوح المعنى وأعطاه جمالا وبهاء ، فصورة القمر تبدو أكثر اكتمالا و ما يزيد روعة

¹ الثغري ، ديوانه ، ص43² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 161

هو التفاف النجوم حوله ، حقاً إنها لوحة فنية رائعة ، وما زادها جلاء ووضوحاً لدى المتلقي هو توظيف الشاعر للتضاد.

2-2-2/ المقابلة:

المقابلة: هي « أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم ما يقابلهما موافقة أو تضاد ، فهي كالطباق لكنها أعم، وقد قيل عنها أنها طباق متعدد»¹

وعلى غرار الشعراء الآخرين ، فالثغري واحد من أولئك الذين اعتنوا بتزوين أشعارهم بمختلف المحسنات البديعية ، التي من شأنها أن توضح المعنى المراد وتزيده روعة وبهاء ، لذلك فإننا نلاحظ توظيف الشاعر للتضاد في قصائده ما هو إلا دليل على قدرته على توليد المعاني ، وكذا كونه شاعراً متميزاً مبدعاً، يدرك الأثر البالغ الذي يحدثه التضاد في تمايز الأشياء، ووضوح الفكرة وإيصالها إلى ذهن المتلقي صحيحة واضحة .

*يقول الثغري:²

وَصَلُّ الْأَحَبَّةَ لَوْ يُتَاخُ هُمْ

شَهْدٌ وَهَجْرَانُ الْأَحَبَّةِ عَلَّمُ

في هذا البيت الشعري يُقر الشاعر بحبه الشديد للنبي مُحَمَّد ﷺ، وأنه لو استطاع البقاء عنده ما ترك إلى ذلك سبيلاً، وأن وصاله شهد وعسل حلو مذاقه ، أما عن فراقه فهو مراكا لعلقم، وبين محبته للرسول صلى الله عليه وسلم ورغبته في وصاله ، وبين بعده عنه ولوعة فراقه ، وظف الشاعر التضاد بين صدر البيت وعجزه ، أي كان التضاد بين جملتين و هذا ما يسمى بالمقابلة، التي عملت على توضيح الفكرة وإيصالها إلى ذهن المتلقي ، وجلاء المعنى و تزيينه وتجميله.

ويقول في موضع آخر:³

مَلِكٌ يَهْمَتُهُ الْعُلْيَا وَعَزَمَتِهِ

يَسْتَجْلِبُ النَّفْعَ أَوْ يَسْتَدْفِعُ الضَّرَرَ

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر سلطان تلمسان ، واصفا إياه بالملك القوي الشجاع ، صاحب العزيمة القوية والهمة العالية ، يهابه الأعداء في كل مكان ، وقد تمكن الشاعر من إيضاح هذا المعنى بتوظيفه للتضاد الموجود في عجز البيت الشعري في قوله : "يَسْتَجْلِبُ النَّفْعَ ≠ يَسْتَدْفِعُ الضَّرَرَ" وهنا نجد جملتين متضادتين تحملان معنيين متعاكسين ، جاء بهما الشاعر على سبيل المقابلة ، باعتبارها محسناً معنوياً يساهم في توضيح المعنى

¹ عيسى علي العاكوب ، الفصل في علم البلاغة ، ص 634

² الثغري ، ديوانه ، ص 123

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 63

وتقويته، كما أنه أعطاه رونقا وجمالاً، بحيث يستطيع المتلقي أن يميز بين المعاني المطروحة أمامه ، فاستعان الشاعر بالمقابلة لإبراز المعنى المراد ، ألا وهو قدرة سلطان تلمسان آنذاك على أن يسود الأمن والأمان والاستقرار في بلده من جهة ، ويعم الخوف والرعب والفرع بين أعدائه من جهة أخرى.

يقول الثغري :¹

فَفِي الرُّشْدِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَارِيًا

وَفِي العَيِّ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيًا

يحرص الشاعر الثغري على بناء بيته الشعري اعتمادا على بعض المحسنات البديعية إضافة إلى بعض المقومات البلاغية كالقصر بالنفي و الإستثناء ب "لا...إلا" موازيا في تقسيمه لشطري هذا البيت الشعري، متوازنا إيقاعا و متفاعلا بين صدرالبيت وعجزه، وحديث الشاعر في هذا البيت موجه إلى النفس الأمانة بالسوء وهو حديث صادر عن النفس اللوامة فيعاتب النفس الأمانة بالسوء ويصف لؤمها و تماديها في العيِّ و السوء دون قيد أو حد أو جماح يكبحها ، لأنها ومتى أطلق لها العنان لإلواتمادت في العي و ارتكاب المعاصي و جني الذنوب والسيئات فهي تدفع الإنسان إلى الزلل والإنغماس في الشهوات و اتباع الملذات متى وجدت إلى ذلك سبيلا.

أما عن الجانب الإيجابي المتمثل في الرشد والطاعة والعمل الصالح فإنها تتجنبه، وإن أرادت فعله فهي تفعله مكروهة و مرغمة و هكذا هو الأفضل بالنسبة لها والغرض من هذا البيت هو ضرورة كبح النفس الأمانة بالسوء و الرجوع من الذنب والإنباة إلى الله تعالى بتوبة نصوح، كما يجب على الإنسان أن يلتزم بالعمل الصالح في دينه لأنه منجاة له في الدارين الدنيا والآخرة، و لوضوح هذا المعنى لدن المتلقي وظف الشاعر دعامة بلاغية ألا وهي الحصر بأداة الإستثناء "لا...إلا" غير أن الشاهد في هذا البيت هو توظيف شاعرنا الثغري لمحسن بديعي معنوي ألا وهو المقابلة المتمثلة في تضاد صدر البيت مع عجزه وفق ترتيب لفظي بين الشطرين، فكانت المقابلة في قوله : " الرشد و تماريا ≠ العي و تماريا". وقد زادت هذه المقابلة المعنى وضوحا و أعطته رونقا و جمالا، لأن الشاعر تمكن من رسم صورة النفس الأمانة بالسوء وهي تتأرجح بين الصواب والخطأ، وذلك من خلال اعتماده على المقابلة.

* أثر الطباق والمقابلة في المعنى:

لهما نفس الأثر فكلاهما يساهم في توضيح الفكرة، وإبراز المعنى وجلالته ، والضد لا يحسن معناه إلا بضده ، والأشياء لا تتجلى إلا بأضدادها، و بالأضداد تعرف المعاني وتتمايز .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 168

2-2-3/ التورية:

التورية: «تورية هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان ، أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد هو المراد»¹
استعان الثغري في قصائده الشعرية بما يسمى ب التورية ، باعتبارها محسناً معنويًا يقوي المعنى ويزينه من جهة ، ومن جهة أخرى كونها أي التورية تحمل معنيين أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد و هو المراد ، لذلك فهذه السمة الشعرية لا توتى إلا لشاعر متميز مبدع كالثغري التلمساني .

*يقول الثغري:²

هُوَ التُّورُ وَالْبُرْهَانُ وَالْحُجَّةُ

الَّتِي بِهَا حُلِّلَ الدِّينَ الْحَنِيفِ تُرَمِّمُ

في هذا البيت الشعري يذكر لنا الشاعر أن دعائم الدين الحنيف كثيرة ، وأولها وأهمها هو كتاب الله وكلامه المنزل على سيدنا محمد ﷺ ألا وهو القرآن الكريم، لكنه في هذا البيت الشعري لم يصرح بذلك إنما جعل المتلقي في ذهول وحيرة ، بذكره للفظ "التُّورُ" التي تحمل معنيين أحدهما قريب هو الضياء وهو معنى غير مراد ، والمعنى الثاني وهو القرآن الكريم وهو معنى بعيد وهو المراد و هذا ما يسمى: التورية.

ويقول في موضع آخر:³

تَضَوَّعَ طَيْبًا حَبْرُهُ وَكِتَابُهُ

فَرَادَ الْبُخَارَى مِنْ مَبَاخِرِهِ عَطْرًا

يذكر الشاعر في هذا البيت مدى اهتمام سلطانه آنذاك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حتى أنه تمكن من كتابة نسخة للقرآن الكريم ، وأخرى للسنة النبوية الشريفة وذلك بيده دون كلل أو ملل ، والقارئ للبيت الشعري يلحظ وجود لفظه العطر وهي رائحة زكية طيبة تنتج عن احتراق مادة أو أكثر ، أو تفاعلها مع بعضها البعض، وكان ذكره للفظه العطر بعد لفظه البخاري التي تأخذ معنيين الأول قريب وهو الدخان الناتج عن تفاعل مواد ابتدائية ، وهو معنى غير مراد ، ، والمعنى الثاني وهو البخاري وهو الإمام البخاري جامع للأحاديث الصحيحة صاحب كتاب الفقه والسنة النبوية الشريفة ، وهو معنى بعيد وهو المراد وهنا تكمن التورية .

¹ عيسى علي العاكوب ، المفصل في علوم البلاغة ، ص 630

² الثغري ، ديوانه ، ص 135

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 89

يقول الثغري: ¹

كُلُّ بَيْتٍ مِنْ النَّظْمِ مُشِيدٌ

عِطْرُ الْأَفُقِ بِالثَّنَاءِ الْمَشَادِ

في هذا البيت الشعري وعلى غرار الشعراء فشاعرنا الثغري يفتخر بما جادت به قريحته من شعر طرق من خلاله جميع الأغراض ، فهو يؤكد بأن شعره لفظه فصيح وكلامه مليح يشد إليه القراء بتمعن وتعمق و تدبر، والشاهد هنا هو لفظه "بيت" لأن القارئ يحيل إليه من الوهلة الأولى أن المقصود من هذه اللفظة هو " المسكن " أو " المنزل " الذي يشيده الإنسان قصد السكن فيه، وهذا المعنى قريب ليس هو المراد لكن المتمعن للفظه "بيت" يدرك أنّ لها معنى آخر بعيد وهو المراد ويقصد به البيت الشعري الذي ينظمه الشاعر، و مجموعة من الأبيات تكوّن قصيدة شعرية وهذه السمة في التلاعب بالألفاظ لا يتمكّن منها إلا الثغري التلمساني كونه شاعرا مبدعا متميزا.

*أثر التورية في المعنى:

التورية محسن معنوي يعمل على بعث المتلقي إلى الدقة والتركيز في المعنى ، و ضرورة التمعن في الألفاظ والتمييز بينها، فهي تثير في نفس المتلقي عنصر الإثارة والتشويق ، والبحث عن المعنى البعيد المراد وهذه سمة شعرية تضيف جمالاً خاصا على المعنى وتزيده رونقا و جمالا .

مما سبق نخلص إلى أن المرجعية الثقافية للثغري التلمساني تعد إحدى العوامل الأساسية التي من خلالها يظهر مدى تأثيره بالبلاغة العربية ، فنشأته في بيئة عربية إسلامية متطورة في جميع المجالات والميادين ، لاسيما المجال الثقافي والأدبي وتشعبه بتعاليم الإسلام ، وحبه للرسول ﷺ، وسعة اطلاعه على الآداب القديمة والثقافات المتعددة ، واقتفائه لأثر القدامى من الشعراء ، ومحاكاته للشعر القديم عبر الأزمنة والعصور ، كلها كان لها الأثر البالغ في نبوغ الثغري التلمساني .

لذلك لا ريب أن نقول أن التلمساني قد اهتم اهتماما كبيرا بسلامة الفكرة ، ووضوح المعنى وقوته ، وما زاده رونقا وجمالاً هو توظيف شاعرنا الثغري التلمساني للمحسنات البديعية في أشعاره ، الأمر الذي أعطى المعنى قوة وجزالة، وأضفى عليه بهاء وجمالاً .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 71

3/ التناص في شعر الثغري التلمساني:

3-1/ التناص لغة :

ورد في كثير من المعاجم اللغوية مفهوم التناص نأخذ منها ما يلي :

1/ يقول الجوهري ت 393 هـ : « التناص مأخوذ من تناص ، تناصص فنقول : نصصت الشيء أي رفعتة ، ومنه منصة العروس ، ونصصت الحديث إلى فلان أي رفعتة إليه ، ونصصت الرجل إذا استقصيت مسألتة عن الشيء حتى تستخرج ما عنده ، و نصُّ كل شيء بمعنى منتهاه »¹

2/ ويقول ابن منظور: « النص أصله منتهى الأشياء و مبلغ أقصاها.... فنص الحقائق إنما هو الإدراك ومنتهى بلوغ العقل ، ونصصت الشيء حركته..... ، ونصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه في السؤال والحساب »²

كما أن لفظة التناص تأخذ معنى الجمع والتراكم والإستقصاء ، وأيضاً معنى الازدحام الذي يرشدنا إلى معناه النقدي وهو: التداخل

3-2/ التناص اصطلاحاً :

هناك مصطلحات كثيرة تحمل مفهوم التناص منها : « التناصية ، النصوصية ، وكذلك نجد التداخل النصي والتفاعل النصي »³

وفي هذا المجال يقول ابن خلدون : «... يعد الامتلاء من الحفوظ ، وشحد القريحة للنسيج على المنوال ، يقبل الشاعر على النظم، فتستحكم ملكته و ترسخ ، وربما يقال: أن من شرطه نسيان ذلك الحفوظ ، لتمحى رسومة الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادرة عند استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ في النسج عليه.»⁴

مما سبق يمكن أن نقول: أن التناص هو العلاقة التي تربط نصاً أدبياً بنص آخر ، أو هو استحضار نص أدبي داخل نص أدبي آخر ، وهو يقوم على فكرة عدم وجود نص بدأ من العدم، فكل نص موجود هو معتمد في وجوده على نص آخر إما في الفكرة ، وإما في استخدام التراكيب والألفاظ وتوظيفها.

¹ إسماعيل بن حماد الجوهري ،الصاح تاج اللغة وصحيح اللغة ، ص 1058

² ابن منظور، لسان العرب، ج49، ص4442

³ محمد عزام ، تجليات التناص في الشعر العربي منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2001 ، ص 39

⁴ عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح :خليل شحادة ،

دار الفكر ، بيروت ، د ط ، 2001 ، ج 1 ، ص 790

3-3/ الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف " التناص الديني "

3-3-1/ التناص مع القرآن الكريم :

أ/ القرآن لغة :

« اتفق أهل العلم على أن لفظة " قرآن " هي اسم وليس بفعل ولا حرف ، لكنهم اختلفوا فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه ، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز ، ومن جهة كونه مصدراً أو وصفاً على أقوال عدة »¹

1/ القول الأول :

« القرآن اسم علم غير منقول ، وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، وهو اسم جامد غير مهموز ، مثل التوراة والإنجيل ، وهذا القول مروى عن جماعة العلماء منهم الشافعي وابن كثير وغيرهما »²

وقد نقل ابن منظور : « أن الشافعي كان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل »³

2/ القول الثاني :

هم القائلون بأن لفظ القرآن مهموز وقد اختلفوا على رأين هما :

*الرأي الأول :

« أن القرآن مصدر للفعل قرأ بمعنى تلا ، يتلو ، تلاوة كالجحان والغفران ، ثم نقل من المصدر وجعل اسماً للكلام المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ۝۱۷ ﴾ ، سورة القيامة الآية 14 ، والقرآن هنا بمعنى القراءة »⁴

*الرأي الثاني :

« أن القرآن وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه ، وقرأت الشيء قرأنا أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض »⁵

¹ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص 396

² أحمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2 ، 2016 ، ص 259

³ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قرأ ، ص 128

⁴ الشيخ فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ج 3 ، دط ، 2017 ، ص 477

⁵ ابن منظور ، لسان العرب ، ص 128

وسمي « القرآن قرآنا لأنه جمع القصص ، والأمر والنهي والوعد والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض ، و هو مصدر كالغفران والكفران »¹

3/ القول الثالث : هم القائلون بأن لفظ القرآن غير مهموز ، لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على رأيين :

* الرأي الأول :

« أن القرآن مشتق من قَرَنْتُ الشيء بالشيء أي ضممت أحدهما إلى الآخر ، فسمي القرآن به لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام قرآن »²

* الرأي الثاني :

« أن القرآن مشتق من القرائن جمع قرينة ، لأن آياته يصدق بعضها بعضها ويشبه بعضها بعضا »³

ب/ القرآن اصطلاحاً :

* قال الفضلي : « القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء باللفظ العربي ، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته »⁴

* وقال الحكيم : « القرآن الكريم هو كلام الله المعجز المنزل وحيا على النبي صل الله عليه و سلم ، المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته »⁵

* وقال العطار: « القرآن الكريم هو وحى الله المنزل على النبي محمد صل الله عليه و سلم لفظاً ومعنى وأسلوباً ، المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر »⁶

مما سبق يمكن القول بأن القرآن الكريم هو كلام الله ، المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام ، المنزه عن الخطأ ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف ، المبدوء بالفاتحة ، المختوم بسورة الناس ، المعجز في ألفاظه و معانيه ، فهو « معجز في حروفه وكلماته وتراكيبه ، معجز في تأليفه وإثتامه وتناسقه ، معجز في أسلوبه ونظمه وفواصله ، معجز بأنبائه الغيبية عن تزامن الزمن ، معجز في أسراره الدقيقة وقوانينه المحكمه وطرق إقناعه الفذة ، معجز في إشارات واستعاراته ، معجز بجاذبيته للمشاعر والأحاسيس »⁷

¹ فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين، ص 477

² الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ج 1 ، دط ، 2009 ، ص 278

³ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 ، ص 137

⁴ الشيخ عبد الهادي الفضلي ، دروس في فقه الإمامية ، مركز الغدير ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، 2014 ، ص 138

⁵ محمد باقر الحكيم ، علوم القرآن ، مجمع الفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، دت ، ص 17

⁶ د. داود العطار ، موجز علوم القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 2017 ، ص 17

⁷ محمد صالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1989 ، ص 249

لما فتح المسلمون بلاد المغرب حملوا معهم الإسلام بجميع تعاليمه ، ولم يجد سكان هذه البلاد بُدا سوى أن يفتحوا صدورهم لهذا الدين الجديد، ويُقبلوا عليه إقبال الظمان للماء، فقاموا بحفظ القرآن الكريم وتدارسه ، و فهم معانيه في مجالس العلم ودور التعليم ، فقويت مادتهم اللغوية ، وتوسعت ثرواتهم الفكرية، واستقامت ملكتهم البيانية ، فسلمت ألسنتهم من اللحن والخطأ .

وعلى هذا الأساس فقد كان للقرآن الكريم الأثر الكبير والبارز في ظهور أدباء وشعراء نهلوا منه ، فكان لهم المصدر الرئيس الذي يتزودون من ألفاظه ويستقون من معانيه، فأصبح القرآن الكريم هو « مصدر إلهام للذات الشاعرة ، تفتياً ضلال لغته، وتتأمل في حضرة الكلام الإلهي ، وتنهل من ينابيعه المختلفة ، وتتزود ما شاء الله لها من إعجازه وتنوع أساليبه ، واختلاف إشارات ، ووفرة مخاطباته ، وتستمد الذات المبدعة شاعريتها البشرية من شاعرية النص القرآني»¹ .

و يعد الثغري التلمساني واحدا من أولئك الشعراء ، الذين اتخذوا من القرآن الكريم مرجعا لهم في نظم قصائدهم ، فاستقى الثغري من اللفظ الكريم ما يمكن توظيفه في أشعاره حتى يعضده به ، ويزيده قوة ومتانة ، وكونه أي الثغري قد عاش في بيئة تعج بالثقافة العربية ، و تزخر بالعلوم الاسلامية، فقد كان لزاما عليه أن يتأثر أيما تأثر وإلى حد كبير وبعيد وبهذه العلوم الاسلامية خاصة القرآن الكريم، الذي أخذ منه شاعرنا كل ما يحتاج إليه من فصاحة اللفظ ، وقوة العبارة و جمال الصورة ، وجودة السبك ، وروعة التركيب وحسنالصياغة ، لذلك فإننا نجد أن الحضور القرآني قد أخذ حيزا كبيرا في شعر الثغري التلمساني، وهذا ما سندرجه فيما سيأتي من دراستنا لتناصه مع القرآن الكريم ، ويكون على النحو الآتي:

3-3-1/ في أسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى من أسماء الله تعالى ، التي ارتضاها لنفسه في كتابه أوفي سنة نبيه محمد ﷺ، ولعل أكثر أسماء الله الحسنى التي كان لها استعمال واسع في شعر الثغري هي لفظ الجلالة الله ، ونرى ذلك في قوله وهو يمدح السلطان الزياني :

يقول الثغري :²

إِمَامٌ تَوَلَّى اللَّهُ تَشْيِيدُ فَحْرَهُ فَمَا شِئْتُ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ عَدِ
هُمَامٌ حَبَاهُ اللَّهُ عَزَّةَ نَصْرَهُ فَأَلَّهُ مِنْ نَصْرِ عَزِيزٍ وَمِنْ عَضْدِ

¹ محمد بن عمارة ، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر ، المفهوم و التجليات ، شركة النشر والتوزيع ، المغرب ط2001، ص1، ص156

² الثغري ، ديوانه ، ص 57

هنا الشاعر انتقى الألفاظ الموحية بالخصال النبيلة ، التي عرفها العرب منذ القدم من فخر، كرم ، عزة، نصر، و مجد، وكلها خصال حميدة خص بها الشاعر ممدوحه السلطان الزباني ، ومازاد هذه الأبيات قوة في المعنى وتأثيراً في النفوس، عند ما أضفى عليها الشاعر طابعاً دينياً ، بذكره لأسماء الله الحسنى الله ، عزيز ، وما هو إلا دليل على أن النصر بيد الله ، يهبه لمن يشاء من عباده المتوكلين عليه والمخلصين له ، وهكذا هي الحال مع ممدوحه حاكم تلمسان آنذاك، وفي هذا المعنى نجد أن الثغري قد أخذ من قوله تعالى : ﴿ وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا

عزيزاً 3

سورة الفتح الآية 03

ويقول في موضع آخر: ¹

حَفَّتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَعَشِهِ

وَالْخَلْقُ حَوْلَ سَرِيرِهِ الْمَنْصُوبِ

وَمَضَى لِرَحْمَةِ رَبِّهِ مُسْتَبَشِرًا

بِثَوَابِهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ مُثِيبٍ

من خلال هذين البيتين الثغري يرثي أبا السلطان الزباني، داعياله بالرحمة والمغفرة، وهو أيضاً في هذا المصاب الجلل يعزي أهل الفقيد ، ويذكرهم بأن رحمة الله واسعة وثوابه كبير ، وهذا الفقيد قد حفته ملائكة الرحمة تسبح بروحه الطاهرة النقية في السماء ، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده الطيبين ، وهذه الرحمة قد شملت الفقيد، لذلك ينبغي أن نستبشر بذلك خيراً ، والشاهد هنا هو أن الثغري قد استعان بلفظ الجلالة الله ، لأنه هو أرحم الراحمين بعباده والموقف هنا وهو التعزية يستدعي ذلك ، وفي المعنى ذاته نجد الشاعر قد استقى من قول الله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ 21 ﴾ سورة التوبة الآية 21.

3-3-2/ في أسماء النبي مُحَمَّد ﷺ وصفاته :

استعان الثغري بأسماء رسول الله مُحَمَّد ﷺ وبصفاته أيضاً في نظم قصائده ، وهذا دليل على مرجعيته الإسلامية ، وتشعبه بالثقافة العربية الإسلامية، وعلى حبه الشديد للنبي مُحَمَّد ﷺ وآله ، كما أن هذه الأسماء زادت أشعاره قوة ودلالة .

يقول الثغري : ²

نَبِيٌّ يُسَمَّى أَحْمَدًا وَمُحَمَّدًا

وَأُطِيبَ فِيهِ الْوَحْيُ بِالْمَدْحِ وَالْحَمْدِ

¹ الثغري ، ديوانه، ص43

² الثغري ، ديوانه، ص55

نبي جميع الرسل تحت لوائه

وقد حصّ فضلاً دونهم بلوا الفضل

نستشف من هذين البيتين أن الشاعر في مقام المدح والثناء على رسول محمد ﷺ ، فقد أظهر من خلاهما مكانة النبي ﷺ المرموقة عند الله تعالى ، مبينا أن الله اجتباه وحباه الفضل والحمد والرسالة الشاملة والخاتمة لما قبلها دون الرسل الآخرين ، فقد كان كل رسول يبعث إلى قومه ما عدا سيدنا محمد ﷺ ، فقد بعثه الله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا، وأرسله رحمة للعالمين ، وفي هذا المعنى نجد أن الثغري قد أخذ من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ 6 ﴾ سورة الصف الآية 06

وأیضا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ إِنْقَلَبْنَاهُ عَلَيَّ أَعْقِبُكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبِيهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ 144 ﴾ سورة آل عمران الآية 144

ويقول الثغري في موضع آخر :¹

بشيرٌ نذيرٌ بين كتفيه خاتم

به ختم الله الرسائل والنذرا

ما فتى شاعرنا الثغري بمدح نبينا وسيدنا محمد ﷺ، ذاکر في هذا البيت بعض صفاته ، والتي منها : أن بين كتفيه خاتم النبوة ، وأن الله قد جعله خاتم النبوة ، وأن الله قد اصطفاه واجتباه و جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلفه بحمل الرسالة و نشرها إلى الناس أجمعين، فكان عليه الصلاة والسلام بشيرا ونذيرا ، وهي وظيفة نبيلة وشاقة ، فقد كان يبشر المؤمنين بما أعده الله لهم من نعيم في الآخرة ، فيلتزمون بالعمل الصالح ويتمسكون به ، ويصبرون على آدائه، وفي الوقت ذاته ينذر الكفار ويحذرهم مما ينتظرهم في الآخرة من عذاب أليم، فينصحهم بالابتعاد عن العمل الطالح وتجنب المعاصي والآثام ، ويرشدهم لينبوا إلى الله تعالى قبل فوات الأوان ، ويتقاطع الثغري في هذا المعنى مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 8 ﴾ سورة الفتح - الآية - 08

3-3-3/ في أسماء القرآن الكريم :

انتقى الثغري أسماء القرآن الكريم من ثقافته الدينية الإسلامية، التي تشبع بها في عصره آنذاك، لذلك فأسماء القرآن الكريم سجلت حضورها وبقوة في أشعار الثغري التلمساني ، وأسماء القرآن كثيرة نذكر منها: القرآن ، الكتاب، الذكر ، النور الفرقان ...إلخ .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 170

وقد اعتمدها الشاعر في قصائده تأكيداً منه على صحة معتقده و تمسكه بالدين من جهة ، وتقوية للمعنى و تعضيدا له من جهة أخرى .

يقول الثغري :¹

هُوَ النُّورُ وَالْبُرْهَانُ وَالْحُجَّةُ الَّتِي

بِهَا حُلِّلَ الدِّينَ الْحَنِيفَ تُرَمَّمُ

اشتمل هذا البيت الشعري على ألفاظ جمّة للقرآن، فهو النور الذي يحمل معنى نور القلوب والبصائر ، نور الحق والهداية ، الذي بفضلله يهتدي الخلق إلى الطريق المستقيم، ويسيروا في ضيائة دون زيغ أو انحراف للوصول إلى المراد والمبتغى، وهو رضا الله عزوجل والفوز بجنته، وكذلك هو البرهان ، فالقرآن برهان و دليل قاطع على وجود الله تعالى ، وأن الكون كله لله وحده لا شريك له، يتضمن تعاليم وقواعد وأنظمة محكمة ودقيقة ، تضمن للإنسان السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة، ولفظة الحجة التي تحمل معنى البينة والإثبات ، فالقرآن حجة أقامها الله تعالى على عباده أجمعين من خلال إرساله الرسل عليهم السلام، حاملين معهم الكتب السماوية الداعية إلى توحيد الله وعدم الشرك به.

أما عن لفظة الدين الحنيف، فهو الدين الذي ارتضاه الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام ديناً ، وأَمَرَ مَنْ بَعْدَهُ بِاتِّبَاعِ هَذَا الدِّينِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وضرورة التمسك به والعمل بتعاليمه ، وفي هذا المعنى نجد الثغري قد أخذ من قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ 17 ﴾ سورة المائدة - الآية - 17.

وفي موضع آخر يقول الثغري:²

إِنِّي بِجَاهِكَ وَاثِقٌ مُسْتَمْسِكٌ

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تُفْصَمُ

هنا الشاعر يؤكد تمسكه بتعاليم الدين الإسلام، وأنه كله ثقة في إتباع سنة النبي مُحَمَّد ﷺ قولاً وفعلاً ، لذلك نجده قد وظف لفظة العروة الوثقى الدالة على الشدة والقوة، وهنا قد أكدت علمتسيخ الإيمان بالله تعالى لدى الشاعر ، وإيمانه يقوى و يزداد كلما التزم بالدين الإسلامي و طبق تعاليمه وجسدها في سلوكياته وتصرفاته، وأضاف إلى ذلك اتباع نهج

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 135

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 129

النبي صلى الله عليه و سلم وسنته الشريفة فيحياته، ونلاحظ أن الشاعر في هذا المعنى قد أخذ من قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ 255 ﴾ سورة البقرة الآية 256 .

كما نلاحظ من خلال هذا التناسق تلاحماً و اتساقاً وانسجاماً للمعنى .

مما سبق يمكن القول أن الثغري صاحب شخصية متكاملة الجوانب ، فهو متشبع بالثقافة الإسلامية ، مطلع على الموروث الديني ، من قرآن كريم وأحاديث نبوية شريفة و هذا أمر مسلم به ، لأنه عاش في بيئة إسلامية ، ومن جهة أخرى فهو شاعر متمكن استطاع توظيف ذلك الموروث الديني بأشكاله المتعددة في أشعاره وقصائده ، وإعادة صياغته وإنتاجه وفق رؤية إبداعية ذاتية ، وكل هذا ما هو إلا دليل على مدى بلاغة وفصاحة شاعرنا الثغري ، و امتلاكه للغة بجميع فروعها ومستوياتها .

3-3-4/ التناسق مع السنة النبوية الشريفة:

أ/ السنة لغة:

قال ابن فارس: « السين والنون أصل واحد مطرد ، و هو جريان الشيء وإطراده في سهولة ... ، و مما اشتق منه السنة وهي السيرة »¹

* وفي لسان العرب : « السنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة ، قال خالد بن عتبة الهذلي :

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا

فَأَوْلَ رَاضٍ سُنَّةً مِنْ يُسِيرُهَا

.. والسنة بمعنى الطريقة »².

* قال الأزهري : « السنة الطريقة المحمودة المستقيمة ، و لذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة »³

ب/ السنة اصطلاحاً:

عرّف السخاوي السنة أنها :

« ما أضيف للنبي - ﷺ - قولاً له أو فعلاً ، أو تقريراً ، وكذا وصفاً ، وأياماً »⁴

¹ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص61

² ابن منظور، لسان العرب، ج13 ، مادة س ن ن ، ص 220

³ الأزهري، تهذيب اللغة ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1، ج12، 2001، ص72

⁴ شمس الدين السخاوي ، فتح المغيب في شرح ألفية الحديث ، تحقيق: علي حسن علي ، مكتبة السنة ، مصر، ط1، ج1، 2003 ، ص 26

* و عرفها جمال الدين القاسمي : « السنة ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قولاً ، أو فعلاً ، أوتقيراً ، أو صفة »¹

تعد السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم يتسم بالفصاحة والبلاغة والبيان ، ويعتبر مصدراً أساسياً يستقي منه المسلمون جميع حاجاتهم ، في شتى المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية ؛ لأنه أنموذج حي للبشرية جمعاء للصورة المتكاملة للإنسان الصالح ، الذي ينهل منه الآخرون تلك الشمائل المحمدية ، والحصال النبيلة والصفات الجليلة ، ولهذا فإن الكثير من العلماء والمؤرخين قد جعلوا من أحاديث الرسول ﷺ مادة خصبة ، أخذوها بالدراسة والتحليل والتصنيف ، فغاصوا في سيرته ﷺ ، ووضعوا فيها المصنفات الجامعة للأحاديث كما دونوا فيها المؤلفات التي كتبوا فيها سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام .

و قد أخذ الشعراء من حياته ﷺ بحظ وافر ، لما كانت تحتويه من زخم المواقف الشريفة ، والأعمال النبيلة والإنجازات الجليلة والعظيمة ، فقد كانت السيرة النبوية الشريفة مصدر إلهام الكثير من الشعراء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، وكانت أحاديثه النبوية مرجعاً يبيّن من خلاله الشاعر أفكاره ويثري لغته ، « فالسنة النبوية شكلت إحدى المشارب التناسية التي رُفد منها الشعراء العرب في عصورهم المختلفة »²

ويمكن أن نذكر أن اعتماد الشعراء على السنة النبوية الشريفة يبدو جلياً في أشعارهم ، و نظم قصائدهم خاصة الشعر الديني مثل شعر المدائح النبوية ، والشعر الصوفي وكذا شعر الزهد .

ولقد كان لشاعرنا الثعلساني الحظ الأوفر في هذه الأغراض الشعرية، سيما في مولدياته ؛ والمولدية هي قصيدة شعرية في المدح النبوي ، يتغنى فيها الشاعر بليلة ميلاد النبي ﷺ تنشد احتفاءً بذكرى المولد النبوي الشريف ، يثني فيها الشاعر بشمائل النبي ﷺ ومناقبة الفاضلة، وصفاته الحسنة وأخلاقه الحميدة ، كما أنها تتضمن سرداً لمعجزاته الخالدة وفضائله الكريمة ، ومناقبة العظيمة عليه الصلاة والسلام .

¹ جمال الدين القاسمي ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 61

² حصّة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجاً ، دار المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط 1 ، 1430 هـ ،

3-3-5/ وصف ليلة ميلاد النبي ﷺ :

يقول الثغري :¹

لما بَدَتْ أَنْوَارُ مَوْلِدِهِ حَبَّتْ

نَارُ لِفَارِسَ لَمْ تَنْزَلْ تَنْضُرْمُ

وَتَضَعَّعَ الْإِيوَانَ مِنْ أَرْجَائِهِ

وَعَدَّتْ بِهِ شُرْفَانُهُ تَتَهَدَّمُ

إن مولد النبي ﷺ هو إعلان بداية عهد جديد، عهد نور أضاء على مكة المكرمة ، لابل على العالم بأسره، هذا العهد الذي يتجلى فيه الإيمان ، الحق، العدل، والحرية ، لذلك فقد عرفت ليلة مولده ﷺ أحداثا عجيبة وأمور غريبة، تناولتها كتب السيرة النبوية الشريفة ، و التي منها ما أورده الشاعر الثغري التلمساني هذين البيتين، حيث ذكر لنا بعض الأحداث العجيبة التي وقعت ليلة مولده ﷺ ، من انطفاء نار فارس ، وتحرك إيوان كسرى ، وهذا ما جاءت به كتب السيرة ، وأثبتته بعض الروايات : « ومما جرى في ليلة مولده من العجائب ، مارواه البيهقي من ارتجاج إيوان كسرى بيت الملك العظيم ، وسقوط شرفاتهوغيض ماء بحيرة طبرية بلدة بالشام، وخمود نار فارس ، التي كان كسرى وأتباعه يعبدونها ، ولهم بها فتنة عظيمة .»²

و يظهر مما سبق أن الشاعر قد تأثر بالسنة النبوية الشريفة، لذلك نلاحظ أنه قد أخذ من هذه الرواية ما كان فيها من عجائب وغرائب ليلة ميلاد النبي ﷺ ، فاستقى بعض ألفاظها و ما دل على معناها ، وهنا يكمن تناص الشاعر للسيرة النبوية العطرة .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 126² احمد شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، المطبعة الأزهرية ، مصر ، ط 3، ج 3، 1328هـ ، ص 279

3-3-6/ من صفات النبي ﷺ الخلقية :

يقول الثغري :¹

أَجَلٌ بُدُورِ الرُّسُلِ نُورًا وَبَهْجَةً

وَأَجْمَلٌ مِنْ رُئِي فِي حُلَّةِ حَمْرَاءَ

من خلال هذا البيت الشعري أراد الشاعر أن يصف لنا جمال النبي ﷺ ، وأن يرسم لنا صورة تقربنا إلى إدراك المظهر لشخص النبي ﷺ ، فاختار من اللفظ ما يناسب هذا الوصف ، مع أن لغة الضاد كاملة تبقى عاجزة أمام وصفه ﷺ ، وتجليات صفاته عليه الصلاة والسلام الخلقية والخلقية ؛ لأنه لا مثيل له ولا نظير له ، غير أن الثغري انتقى جملة من الكلمات مثل : أجمال ، بدور ، بهجة ، أجمل ، كان لها أثر بالغ في نفس المتلقي ، لأنها تحمل معنى الجمال و البهاء والعظمة والكمال الإنساني الذي لا يضاهيه فيه إنس ولا بشر ، فسبحان من سواه على هذا النحو ، و ما زاد هذا البيت الشعري رونقا هو عبارة : حلة حمراء التي وظفها الشاعر توظيفا جيدا وفق فيه ، لأنه بذلك يتناص مع ما رواه الترميذي في قوله : « مارأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله »²

3-3-7/ من أخلاقه ﷺ :

أما عن أخلاقه الفاضله وشمائله الحمديّة الكريمة ، فقد أخذت حظ الأسد من شعر مديح الرسول ﷺ ، فقد راحت قريحة شاعرنا الثغري تثني على فضائله النبيلة ومكارمه العظمية ، ومهما قلنا في هذا المجال فإن اللسان يعجز عن التعبير ، كيف لا وهو من مدحه الله ، وأثنى عليه في الذكر الحكيم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلُقِي عَظِيمٌ ۝۴ ﴾ سورة القلم الآية 04 .

ولأنه ﷺ أرسله الله تعالى معلما للأخلاق الحميدة، وداعيا إلى التحلي بها والتزامها، فقد كان قدوة حسنة للمسلمين، وأسوتهم في جميع خصاله وصفاته ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝۲۱ ﴾ سورة الأحزاب الآية 21 لذلك فالملاحظ في أشعار الثغري أنه قد أكد حضور أخلاق النبي ﷺ وصفاته وخصاله وسجاياه الكريمة، وما ذلك إلا دليل على حبه الشديد للنبي ﷺ ، والسعي إلى الاقتداء به قولاً وفعلاً.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 71² الترميذي أبو عيسى محمد بن عيسى ، شرح شمائل الرسول ﷺ ، شرح : عبد الرزاق بن محسن البدر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية ، ط1، 1435هـ، ص23

يقول الثغري: ¹

وَأَصْدَقُ مَنْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ
 لَهْجَةً وَأَكْرَمُهُمْ فِعْلاً وَأَشْرَفُهُمْ قَدْرًا
 وَأَطْهَرُهُمْ قَلْبًا وَأَكْمَلَهُمْ تَقَى
 وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَزْفَعُهُمْ ذِكْرًا
 وَأَفْصَحُ مَنْ بِالضَّادِ وَالظَّاءِ نَاطِقًا
 إِذَا فَاهُ نَطَقَ خِلْتَهُ يَنْثُرُ الدَّرَا

يمدح الشاعر في هذه الأبيات سيد الخلق محمد ﷺ ويثني عليه، ويذكر جملة من الصفات الحميدة والسجايا العظيمة، والخصال الكريمة والأخلاق الفاضلة، التي ارتسمت في شخص النبي ﷺ، والتي يجب على المسلم أن يتحلى بها ويلتزمها في حياته، ومنها: الصدق، الكرم، الشرف، الطهارة، التقى، انشراح الصدر، ورحابته الفصاحة، البلاغة، كلها شمائل مُجَدِّية سامية وفضائل رفيعة، لاتؤتى لأحد إلا هو عليه الصلاة والسلام، لقد صاغها لنا الشاعر بأسلوب بديع، امتص معناه من أحاديث كثيرة برواية الترميذي، و ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». ²

وأيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ³

ولعل حديث علي بن أبي طالب كان أكثر الأحاديث تناصاً مع أبيات الثغري حيث يقول فيه: « لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد، كان ربعة من القوم، ... بين كتفيه خاتم النبوة، أجود الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهته هابه، و من خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله » ⁴

¹ الثغري، ديوانه، ص 73

² الترميذي أبو عيسى محمد بن عيسى، شرح شمائل الرسول ﷺ، ص 307

³ الترميذي، المرجع نفسه، ص 308

⁴ الترميذي، المرجع نفسه، ص 24

3-3-8/ من معجزاته:

المعجزات أمور خارقة للعادة، يمنحها الله تعالى للأنبياء والمرسلين، لتأييدهم في الدعوة إليه ، حتى تكون لهم سنداً في تحمل مشاق الدعوة وأذى قومهم و تزيد هم صبراً و جلدأً في مواجهة كفرهم وعنادهم.

إن الحديث عن معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام يجعلنا نتذكر تلك المعجزة العقلية الخالدة، التي أبكمت أفواه العرب رغم بلا غتهم وفصاحتهم، والتي جاءت بلسان عربي متحدية بذلك كل الأمم عبر الأزمنة والعصور ، وكذلك يجرنا الحديث عن موضوع معجزات الرسول عليه الصلاة و السلام إلى ذكر بعضها، الحسية منها التي خص الله تعالى بها نبيه عليه الصلاة و السلام وحباه بها، و تأييدا له على تحمل مشاق الدعوة في سبيل الله .

معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام كثيرة نذكر منها : "حادثة الإسراء والمعراج ، نبع الماء ، و حنين الجذع" وغيرها كثير .

والثغري هذا الشاعر المتميز، الذي ما فتى يبدع بأسلوبه الخاص الفني الجميل ، يرسم لنا لوحات بديعة بأشعاره الراقية مستحضرا ما تعلق بشخص النبي عليه الصلاة والسلام ، ها هو الآن يدرج لنا معجزة الإسراء والمعراج ويتناولها في قالب شعري.

يقول الثغري :¹

أَسْرَيْتَ لِلسَّبْعِ الطَّبَاقِ فَأَقْبَلْتِ	أَمَلَاكُهَا طَرَأَ عَلَيْكَ تَسَلَّمَ
وَنَبَّرَكْتَ بِصَلَاتِكَ الْأَرْسَالَ إِذْ	صَلَّتْ وَأَنْتَ إِمَامُهَا الْمُتَقَدِّمُ
رُفِعَتْ لَكَ الْحُجُبُ الْعَظِيمَةُ فَأَعْتَلَى	بِكَ لِلْعُلَى ذَاكَ الْمَقَامُ الْأَعْظَمُ
حَتَّى سَمِعْتَ صَرِيْفَ أَقْلَامٍ بِمَا	فِي اللَّوْحِ مَحْمُوظًا يَحُطُّ وَيَرْسُمُ
فِيهَا حَيْثُ لَا مَلِكَ وَلَا فَلَكَ	وَلَا نَجْمَ وَلَا عِلْمَ هُنَاكَ يَعْلَمُ
تِلْكَ الْمَرَاتِبِ لَمْ يَكُنْ لِيَنَالَهَا	إِلَّا النَّبِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْأَكْرَمُ

في هذه الأبيات الشعرية يستعرض لنا الثغري معجزة النبي عليه الصلاة والسلام الخالدة، التي ذكرت في القرآن الكريم ألا وهي معجزة الإسراء والمعراج ، التي تعتبر آية عظيمة حباها الله نبيه مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، مستعرضاً بعض أحداثها الجليلة، التي وقعت لسيدنا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، والتي استقاها الشاعر من القرآن الكريم أو من كتب السيرة ، فاستطاع الشاعر أن ينسج أحداث المعجزة حسب ما يتصوره فنان مبدع ، يعبر فيه عن مدى حبه الشديد للرسول عليه الصلاة والسلام وإعجابه بشخصيته الفاضلة، وفي هذه الأبيات تقاطع

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 128

معناها مع رواية لعبد الله بن مسعود أنه قال : « أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهي الدابة التي حمل عليها الأنبياء من قبله.....فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات بين السماء والأرض حتى انتهت إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل و موسى وعيسى في نفر من الأنبياء....فصلى بهم ¹»

ويتقاطع معناها مع رواية أبي سعيد الخدري في قوله : « سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً قط أحسن منه ...، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى على باب من أبواب السماء ، يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له اسماعيل، تحت بابه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك ²»

3-3-9/ في حب النبي ﷺ:

لم يكتب الثغري بذكر أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام وصفاته و شمائله وفضائله، ولا حتى سرد بعض معجزاته إنما أضاف إلى أشعاره نظم مدائح نبوية، يصور فيها حبه الشديد للنبي عليه الصلاة والسلام ، و مدى تعلقه به فيناديه ويناجيه ويطلب شفاعته ، فيستأنس بذكره ويعطر لسانه بالصلاة عليه ﷺ، فيهمم بحبه إلى سيد الخلق و يشكو لوعة فراقه ، و يطلب قربه و وصاله .

يقول الثغري: ³

يَا حَاتِمُ الرُّسُلِ الْكِرَامِ وَحَيْرٍ مَنْ

يَبْدَأُ بِهِ الدِّكْرُ الْحَكِيمُ وَيُجْتَمِ

مَالِي سِوَى حَيِّ إِلَيْكَ وَسَيْلَةٌ

وَنِظَامٌ مَدْحٍ فِي عِلَاكَ يُنْظَمُ

إِنِّي بِجَاهِكَ وَاثِقٌ مُسْتَمْسِكٌ

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تُفْصَمُ

¹ ابن هشام أبو محمد عبد الملك المعافري ، السيرة النبوية ، ج 2، طبعة مخرجة الأحاديث على يد العلامة : محمد ناصر الدين الألباني ، دار البصائر

للنشر والتوزيع، الجزائر، دت ، دط، ص38

² ابن هشام ، المرجع نفسه ، ص43

³ الثغري ، ديوانه ، ص 129

في هذه الأبيات استعمل الشاعر مقطوعته الشعرية ببناء رسول الله ﷺ ، ذكرا إياه بخاتم الأنبياء والمرسلين، وأن ذكره والصلاة عليه يُبَدَأُ بها الكلام ويختم ، و مواضع ذكره كثيرة منها :موضع القيام لأداء فريضة الصلاة ، أو في موضع قراءة القرآن ، أو في مجلس من مجالس العلم أو الذكر وغيرها.

ويضيف الشاعر مؤكدا حبه الشديد للحبيب المصطفى ﷺ ، كونه الوسيلة الوحيدة التي بفضلها يستجاب الدعاء ، وبواسطتها تنال المطالب، ويفوز العبد برضا ربه ، لذلك ينبغي على كل مسلم أن يلتزم بالصلاة على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ؛ لأنها منجاة له في الدنيا والآخرة ، وهي الطريق الأنسب إلى استحقاق شفاعته عليه الصلاة والسلام ودخول الجنة ، لذلك فالشاعر وكننتيجة حتمية لمرجعته الدينية راحت فريحته تقرّ بمدى حبه الشديد وتعلقه المطلق بالنبي عليه الصلاة والسلام ، فصاغها بأسلوب قوي ومعان جيدة امتصها من أحاديث نبوية شريفة منها ما ورد عن ابن كثير: « الوسيلة أعلى درجة في الجنة ، وهي منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة ، وقال غيره : الوسيلة من وسل إليه إذا تقرب ، يقال توسلت إذ تقربت »¹.

مما سبق يمكن القول أن الثغري شاعر متميز ، فنان مبدع استطاع أن يوظف موروثه الديني ، النابع عن ثقافته الإسلامية في نظم أشعاره ، فتمكن من صياغة المعاني القرآنية أو معاني الأحاديث النبوية الشريفة، وتوظيفها على النحو الأسلم والأنسب في قصائده، مضميا عليها لمستته الإبداعية وبصمته الفنية، خاصة ما كان منه في فن المديح النبوي الشريف ، وقد أجاد في ذلك ووفق أيما توفيق .

¹ أحمد بن محمد القسطلاني ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، ، تح : أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ط2، ج2
،2004،ص686

4/التناص الشعري :

لم يكن شاعرنا الثغري التلمساني بمنأى عن شعر سابقه من الشعراء ، إنما سعة اطلاعه وثقافته الواسعة جعلته يتصل اتصالاً وثيقاً بشعر القدامى فينظر فيه ويأخذ منه ، سواء كان ذلك في بناء القصيدة أو في لفظه أو في معناه ، وعلى هذا الأساس فقد وجد الثغري في شعر من سبقه ضالته المنشودة، وكان لهذا الموروث حضور واسع في نصوص الثغري التلمساني ، فيتشارك مع فحول الشعر العربي ما يجعل المتلقي يتذكر عن طريقه مراحل الشعر العربي عبر الأزمنة والعصور.

4-1/ التناص مع الشعر الجاهلي :

اتسم الشعر الجاهلي بجودة التركيب وقوة المعنى و دقة الدلالة ، وكان في مجمله مادة خصبة ، تحمل طاقات فنية هائلة وقدرات تعبيرية كبيرة ، الأمر الذي جعل جلّ الشعراء ينهلون منه ، ولعل الثغري التلمساني واحد من هؤلاء الشعراء .

لقد وجد الثغري في الموروث الشعري الجاهلي ضالته المنشودة من حيث المبنى والمعنى معا ، مما جعله يستعين به في نظم أشعاره ، فكان غالبا ما يتقاطع مع بعض الشعراء الجاهليين في بيت شعري أو أكثر أو في لفظة أو أكثر، أو في معنى أو حتى في معان، و يعد امرؤ القيس أكثر الشعراء الجاهليين الذين عمد الثغري على توظيف تجربته الشعرية في قصائده.

لقد انتقى الثغري من الشعراء القدامى امرؤ القيس باعتباره سيد الشعراء ، وأكثرهم شهرة وأفضلهم نظما للشعر ، وشعره اتسم بالجودة في المعاني والتنوع في أساليب البيان، و الدقة في الدلالة والعمق في الفكرة ، وقد جاء في العمدة: « وقد قال العلماء بالشعر أن امرؤ القيس لم يتقدم الشعراء ؛ لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء استحسناها الشعراء واتبعوه فيها؛ لأنه قيل هو أول من لطف المعاني ، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها و البيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسب وما سواه من القصيد وقرب ما أخذ الكلام ، فقيّد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه »¹.

لذلك فقد تأثر شاعرنا الثغري بامرؤ القيس سيد الشعراء وأشهرهم ، خاصة ما كان منه في معلقته ، فراح ينسج على منوالها ، مستحضراً بعض صورها في قصيدته التي يتغنى فيها بروعة مناظر مدينته تلمسان آنذاك ، وبجمالها الساحر للعقول و الآخذ الألباب والتي يقول في مطلعها:

¹ ابن رشيق ، العمدة ، ص 94

يقول الثغري :¹

فَمَ فَا جَتَلِي زَمَنَ الرَّبِيعِ الْمُقْبِلِ

تَرَّ مَا يَسُرُّ الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي

وَأَنْشَقُ نَسِيمَ الرَّوْضِ مَطْلُولاً وَمَا

أَهْدَاكَ مِنْ عُرْفٍ وَعَرَفَ فَأَقْبِلِ

وَأَنْظُرُ إِلَى زَهْرِ الرَّيَاضِ كَأَنَّهُ

دُرٌّ عَلَى لَبَاتِ رَبَّاتِ الْحُلِيِّ

يتغنى الشاعر في هذه الأبيات الشعرية بجمال مدينة تلمسان ، فهو يصفها في فصل الربيع ، حيث تكتسي الطبيعة حلة خضراء ، وترتدي لباسها المزركش بالألوان الزاهية، فتتفتح الأزهار وتورق الأشجار، ويغرد الطير وتتدفق المياه في الجداول والأنهار، كل هذه المناظر الطبيعية الخلابة توحى بالانشراح والارتياح ، وتدل على الفرحة والسرور، على عكس المقدمة الطللية لامرئ القيس، هذا الأخير الذي استهل معلقته بالبكاء على الديار وفراق الأحبة ، فَعَمَ الحزن نفسية الشاعر فكان مطلعها :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ²

غير أن التناص بين الشاعرين يظهر هنا في مجازة الثغري لامرئ القيس على مستوى البناء الشعري ، وأيضا في الإيقاع الموسيقي.

وفي موضع آخر يقول الثغري:³

وَأَشْرَفُ عَلَى الشَّرْفِ الَّذِي بَارَأَهَا

لِتَرَى تَلْمِسَانَ الْعَلِيَّةَ مِنْ عَلِ

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 112

² امرؤ القيس ، ديوانه ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط5، 2004، ص110

³ الثغري ، المرجع نفسه، ص 115

في هذا البيت الشعري يواصل الثغري وصفه مدينة تلمسان ، معجباً بجمالها الفتان ، الآخذ للعقول و الألباب ، راسماً لنا صورتها عند ما يراها الإنسان من مكان عال ، فهي تبدو أكثر تألقاً وأشدّ بهاءً ، وهو بذلك يستحضر بعض ألفاظ معلقة امرئ القيس من خلال تصويره لفرسه حيث قال :

يقول امرؤ القيس :¹

مَكَرٌّ مَقْرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعًا كَجُلْمُودٍ

صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

في هذا البيت الشعري يشير امرؤ القيس إلى سرعة فرسه واصفاً إياها أثناء رحلة صيد ، لذلك فإننا نلاحظ أن شاعرنا الثغري قد استقى هذه المعاني الجميلة، وصاغها بأسلوب بديع ، وتصوير فني رائع في وصف جمال تلمسان، فكان التناص منه في اللفظ والمعنى وفي الإيقاع الموسيقي ، وكذلك في حرف الروي الذي هو حرف اللام

4-2/ التناص مع شعر صدر الإسلام :

من الطبيعي أن يأخذ سيدنا محمد ﷺ حيزاً كبيراً من حياة المسلمين ، ومكانة عظيمة ومرتبة عالية ومنزلة مرموقة في قلوبهم ، لأنه ومنذ ولادته ﷺ ، التي كانت نقطة تحول للبشرية جمعاء وللعرب على وجه الخصوص ، وهو يسعى إلى بناء فرد صالح، و بالتالي تكوين مجتمع قوي و متماسك ، أساسه الأخلاق الحسنة ، وركيزته الفضائل الكريمة ، ولبنته القيم المثلى .

لذلك فقد حظي رسول الله ﷺ ، في حياته وحتى بعد وفاته بمحبة خاصة وخالصة في قلوب المسلمين ، دفعتهم إلى التمسك بسنته والافتداء به والتأسي بشمائله ، كما جعلتهم يترجمون هذه العلاقة الوجدانية، التي ربطتهم برسول الله ﷺ في حياتهم اليومية ، و حتى في كتاباتهم سواء أكانت نثراً أو شعراً، وعلى هذا الأساس كان شعر المدائح تجسيدا منهم للمحبة الصادقة تجاه رسول الله ﷺ .

والثغري هذا الشاعر الذي نشأ في بيئة عربية وتشعب بالثقافة الإسلامية، وأخذ من مشاربها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وعاش في زمن كثرت فيه الطوائف ، وانتشر فيها الزهد والشعر الصوفي، وتطور فيه شعر المديح النبوي، وتفاقم فيه المدح المسيحي ، فقد كان لزاماً عليه وأمام هذه المتغيرات والعوامل المتباينة ، أن يتمسك بتعاليم الدين الإسلامية ، و أن يظهر حبه للرسول ﷺ ، فيتذكر الفترات المشرفة من التاريخ الاسلامي، ولا زمن أروع ولا أحسن من زمن الرسول ﷺ في حياته وانتصاراته وإنجازاته العظيمة، فكان من المسلم به أن يستفيد الثغري من أولئك الشعراء الذين عاصروا النبي ﷺ ، ووضعوا ألسنتهم وأقروحتهم خدمة للمسلمين ونصرة للإسلام، فنظموا القصائد الطوال في الذود عن الإسلام ، والرد على شعراء الكفر والشرك والإلحاد.

¹ امرؤ القيس، المرجع نفسه، ص117

إن الحديث عن شعراء صدر الإسلام، يدفعنا دفعا إلى ذكر أبرزهم وأشهرهم إنه شاعر النبي ﷺ ، ألا وهو حسان بن ثابت وغيره كثير ، هذا الأخير الذي كان شعره سلاحا ضد أعداء الإسلام ، وظلّ مصدرا يستقي منه الشعراء عبر الأزمنة والعصور، وينهلون منه لفظا ومعنى، و شاعرنا الثغري التلمساني واحد من الشعراء الذين أخذوا من قصائد حسان بن ثابت ، وكان لشعره لفظا أو معنى حضور واضح في أشعار الثغري، خاصة ما كان منه في المديح النبوي

يقول الثغري: ¹

وَفَاصَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

وَفِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى سَرَى الْبَشْرُ وَالْبَشْرَى

هذا البيت من قصيدة طويلة في المديح النبوي ، وفيه يمدح الثغري نبينا محمد ﷺ ويثني عليه ، واصفا إياه بالنور الذي ملأ الدنيا شرقاً وغرباً ، حتى وصل ضياؤه إلى الملأ الأعلى ، وهذا الوصف ليس وصفا ماديا فحسب إنما هو أيضا وصف معنوي ؛ لأن جمال النبي ﷺ يشتمل جانبية الخلقى والخلقي، وهذا تصوير رائع لما كان من النبي ﷺ من نور الشمس وضيء القمر ، فقد رسم الشاعر لنا صورة فنية رائعة بأسلوب بديع يبين من خلاله حبه الخالص والصادق للرسول ﷺ ، وفي هذا المعنى يشترك مع قول حسان بن ثابت :

يقول حسان بن ثابت : ²

نُورٌ أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

وَمَنْ يُهْدِ لِلنُّورِ الْمُبَارِكِ يَهْتَدِ

هذا البيت الشعري لحسان بن ثابت من شعر المديح النبوي ، يصف فيه الشاعر النبي ﷺ بأنه نور أضاء على الدنيا بأكملها ، وأنه بفضلته نتهدي إلى الطريق المستقيم ، وأنّ من استمسك بهدي النبي ﷺ وسار تحت لوائه وفي ضيائه فإنه سيهتدي لآمال إلى الطريق الصحيح طريق الله تعالى ، لذلك فشاعرنا الثغري استحضر من شعر حسان بن ثابت بعض الألفاظ مثل لفظة "النور" التي تحدم المعنى المراد، كما يظهر التناص أيضا في الصورة البيانية، التي رسمها للنبي ﷺ من خلال تشبيههما النبي عليه الصلاة والسلام بالنور الساطع المضيء .

* وفي موضع آخر يقول الثغري : ³

هُوَ النُّورُ وَالْبُرْهَانُ وَالْحُجَّةُ الَّتِي

بِهَا حُلِّلُ الدِّينِ الْحَنِيفِ تُرْمَمُ

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 85

² حسان بن ثابت ، ديوانه ، ص 69

³ الثغري ، ديوانه ، ص 135

يشير الثغري في هذا البيت إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هونور وبرهان وحجة ، وفي الوقت نفسه يربط الشاعر هذا النور بنور الدعوة الإسلامية وبالرسالة المحمدية وكذلك بنور الوحي ، فالنور دليل على هداية الناس إلى الطريق المستقيم، أما البرهان فهو نهاية الشرك ونهاية عبادة الأوثان، وانتقال الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، في حين أن الحججة فهي البينة التي جعلها الله معجزة خالدة للرسول عليه الصلاة والسلام تأكيداً منه على نبوته وتأيداً له على رسالته ، وتثبيتاً لقلبه في تحمل مشاق الدعوة إلى الله، إنها معجزة القرآن الكريم ، وفي المعنى الإجمالي لهذا البيت يشترك الثغري مع الشاعر حسان بن ثابت حين يقول :

يقول حسان بن ثابت: ¹

كَانَ الضَّيَاءُ وَكَانَ النُّورُ نَتَبَعُهُ

بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعُ وَالْبَصْرَا

يمدح الشاعر حسان بن ثابت الرسول ﷺ ، وقد وظف في هذا البيت الشعري لفظة "النور" وهذه اللفظة كثيراً ما يستعملها شعراء المديح النبوي ، كونها تحمل بعدين لشخص النبي عليه الصلاة والسلام ، البعد المادي والبعد المعنوي ، أما البعد المادي فهو الجانب الظاهري الذي يتمثل في جمال النبي ﷺ وبهائه الذي لا يضاهى ، في حين البعد المعنوي هو الجانب الباطني المتمثل في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الحميدة ، وعليه فإنه عليه الصلاة والسلام بعث لهداية الناس جميعاً إلى الطريق المستقيم ، وهذا المعنى ذاته قد استحضره الثغري لذلك فإن التناص فيما بينهما يظهر في اللفظ كلمة "النور" ، وفي المعنى وهو الهداية إلى الطريق الصحيح و الصراط المستقيم .

3-4/ التناص مع الشعر العباسي :

يعتبر العصر العباسي "132 هـ ، 656هـ" أزهى عصور الأدب العربي ، وأكثرها تطوراً وتنوعاً وازدهاراً ، ويوسم هذا العصر بالعصر الذهبي ؛ كونه عرف ثراء كبيراً في مجال اللغة ، وطرق فيه الأدباء والشعراء أبواباً كثيرة ، نتيجة امتزاج الثقافات وتعدد الأجناس وكثرة التراجم وبداية عهد التدوين ، لذلك فقد سلك فيه الشعراء على وجه الخصوص كل مسلك وذهبوا فيه كل مذهب، فكثرت المذاهب الشعرية والأساليب التعبيرية والاتجاهات الفنية ، و تباينت بين قديم يجب المحافظة عليه ، ويتم ذلك من خلال نظم قصائد على شاكلة القدامى من الشعراء الجاهليين، معتمدين على التقليد والمحاكاة في البناء والمعنى، وبين جديد يرنو إلى التغيير و إلى الحدائث ، يتجاوز من خلاله الشاعر قيود القديم ، يدفعه إلى ذلك ثقافته الواسعة ، ورغبته في التعبير عن ظروف عصره و تصوير مشاعره ، و ما ساعده على هذا التجديد هو التطور العلمي الحاصل في هذا العصر.

¹ حسان بن ثابت، المرجع نفسه، ص 102

ولا يخفى على أحد أن الشعر العباسي قد بلغ مبلغه وأخذ كل مأخذ ، فقد كان ذخيرة نابضة بالحياة، يستلهم منه الشعراء المادة الخصبة عبر الأزمنة والعصور، لذلك ما كان من شاعرنا الثغري التلمساني وبحكم سعة اطلاعه على العصور السابقة، ومدى تأثره بالشعر العربي القديم إلا أن ينهل من الشعر العباسي ، ويتأثر أيما تأثر بشعرائه خاصة أبي تمام والمتنبي فكان هذا التأثير يظهر في اللفظ أو في المعنى ، أو فيهما معا أو في الإيقاع الموسيقي، الذي نجده في أشعاره مضيفا إليه ذلك الإبداع الفني والرسم البديع لتلك الصور الفنية الجميلة

يقول أبو تمام :¹

فَتَحَ الْفَتْوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ

نَظَّمَ مِنْ الشِّعْرِ أَوْ نَثَّرَ مِنْ الْخُطْبِ

فَتَحَ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ

وَتُبْرِزَ الْأَرْضُ فِي أَنْوَابِهَا الْقُشْبِ

تعد بائية الشاعر أبي تمام من أجمل قصائده وأبرزها ، وقد تأثر بها جلّ الشعراء من بعده عبر الأزمنة والعصور ، وفيها يمدح الشاعر الخليفة المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ويثني عليه، ويذكر انتصاره على الروم وفتحه مدينة عمورية، فكان نصراً عظيماً، افتخرت به العرب وتوارثته الأجيال ، كما أننا نلاحظ أنه قد وظف الطبيعة في لفظتي "الأرض والسماء" و هذا مظهر من مظاهر التجديد، الذي عرفه الشعر في العصر العباسي خاصة عند أبي تمام والبحثري .

يقول الثغري:²

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ عَلَى

فَتَحَ تَلِيهِ فُتُوْحُ جَمَّةٍ نَضِرِ

وَالْأَرْضُ أَبَدَتْ هَذَا الْفَتْحِ زِينَتَهَا

بَشْرًا وَأَشْرَفَتْ الْأَصَالَ وَالْكَبْرُ

في هذين البيتين يمدح الشاعر سلطان مدينة تلمسان آنذاك أبا حمو موسى الثاني ويثني عليه ، ويذكر قوته وشجاعته و حكمته وحنكته في الحروب، التي بفضلها تمكن من فتح مدينة وهران ، وضمها إلى إمارته وجعلها تحت حكمه ، والملاحظ هنا أن الثغري قد استفاد من بائية أبي تمام وأخذ منها بعض ألفاظها مثل " فتح، فتوح. الأرض" ، كما أنه استحضر معناها المتمثل في الافتخار بالسلطان و مدحه والثناء عليه نتيجة

¹ الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج1، ط2، 1994، ص32

² الثغري ديوانه ، ص62

انتصاراته العظيمة على الأعداء ، كما يظهر التناص أيضا عند الثغري في إدراجه لعنصر الطبيعة بجمالها و بهائها، وكأنها هي الأخرى تحتفي بسلطان تلمسان، و تحتفل معه بنصره العظيم المبارك على الأعداء.

*مع شعر المتنبي :

في مواضع كثيرة نلاحظ مدى تأثر شاعرنا الثغري ب المتنبي ، هذا الأخير إنّه شاعر فذ لمع نجمه وذاع صيته في كل البلاد العربية، حتى بلغت قصائده جميع الأمصار العربية، وتأثر بها جل الشعراء في المشرق والمغرب ، فكان منبعاً ينهلون منه ومصدراً يستقون منه ماجاد من اللفظ، وما طاب من المعنى، وفي هذا المجال يقول ابن شرف القيرواني : « وأما المتنبي فقد شغلت به الأندلس، وسهرت في أشعاره العيون الأعين ، وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره ، والغائص في بحره ، والمفتش في قعره عن جماله ودرره ، وقد طال فيه الخلق وكثر عنه الكشف ، وله شيعة تغلو في مدحه ، وعليه خوارج تتعايا في جرحه ، وما أقول : إن له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً، وأقوى مدداً ، وغرائبه طائرة ، وأمثاله سائرة ، وعلمه فسيح و ميزه صحيح، يروم فيقدر ويدري ما يورد ويصدر »¹.

ومن البديهي أن يكون لشعر المتنبي الأثر البالغ في قصائد من كان بعده ، في جميع أصقاع البلاد العربية، لذلك فقد كان لشعر المتنبي الحضور الكبير في أشعار الثغري التلمساني، ولعلنا نلمس مواطن تقاطع بين الشاعرين المتنبي والثغري في بعض جوانب الحياة الاجتماعية والأدبية والتي منها:

1/ أنهما لازما بلاط الحاكم مدة زمنية طويلة ، فالمتنبي عاش في كنف سيف الدولة الحمداني ، أما الثغري فكان في كنف حكام بني زيان .

2/ إضافة إلى ذلك فإنهما قد تفننا في غرض المدح فقد كثرت أشعارهما في قصائد المدح المتعلقة بالحكام.

يقول المتنبي :²

فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ

إِلَى مَنْ مَالَةٌ فِي النَّاسِ ثَانٍ

في هذا البيت الشعري يمدح المتنبي سيف الدولة ويثني عليه ، باعتباره مقصد كل الناس فَهُمُ يقصدونه كل وقت وحين ، وبابه مفتوح لجميع الناس دون استثناء ، و هذا دليل على كرمه وجوده ، لذلك فقد كان سيف الدولة قبلة يؤمها الناس قصد العطاء.

وفي نفس المعنى يقول الثغري :³

مُوسَى الْخَلِيفَةَ وَالْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي فَضْلِهِ إِثْنَانِ .

¹ ابن شرف القيرواني ، رسائل الإنتقاد ، تح : حسن حسين عبد الوهاب دار الكتاب الجديد ، بيروت ، دت، دط،ص35

² المتنبي ، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط،1403هـ، 1983 م ،ص 543

³ الثغري ديوانه ،ص 156

في هذا البيت الشعري يمدح الثغري حاكم تلمسان أبا حمو موسى الزياني، ويشيد بفضائله ويذكر مناقبه ومحاسنه ، ويبين أن خصاله النبيلة وصفاته الحميدة لا يمكن أن ينكرها أحد، ولا يتعارض فيها اثنان باعتبارها حاكما عرف بالنزاهة والعدل والمساواة ، و تميز بالشجاعة والقوة والإقدام ، و هذه مزايا و سجايا قلما تجتمع في شخص واحد ، والشاهد هنا هو أن التناص يظهر في أنهما في مقام المدح ، وكلاهما جعل للممدوح مكانة عالية ومنزلة مرموقة لا يبلغها أحد من الخلق، إضافة إلى توظيفهما لنفس حرف الروي ألا وهو حرف النون.

4-4/ التناص مع الشعر المغربي والأندلسي :

لقد عاش الثغري في فترة زمنية عرفت تطورا كبيرا في جميع مجالات الحياة ، ولقد كان للحياة الأدبية حظ الأسد من هذا التطور والازدهار، وما ساعدها على ذلك هو الاهتمام البالغ بالأدب والعلوم من طرف ملوك الدولة الزيانية آنذاك، فكانت تلمسان منارة علمية يؤمها العلماء والأدباء والشعراء ، مما جعل الأدب الجزائري وقتئذ يبلغ أوجّه ، فنضجت القصيدة الشعرية، واكتملت معالمها الفنية، حيث « عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهارا كبيرا من حيث الكم ومن حيث الكيف، وتهيأت لذلك عدة عوامل من شأنها أن تدفع به ، فقد قيض الله للبلاد أن قامت فيها دولة كان ملوكها من العلماء والأدباء والشعراء، فمن البديهي أن يسعوا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية ، فقربوا إليهم أهل العلم والأدب ، وأغدقوا عليهم وأحاطوهم برعايتهم وعنايتهم ، فأصبح البلاط الزياني زاخرا بالأدباء »¹

لهذه العوامل وغيرها، أضاءت تلمسان بنور العلم والأدب ، فكانت من أبرز المراكز العلمية والثقافية في بلاد المغرب والأندلس ، و قبلة يقصدها العلماء والأدباء من كل حدب و صوب، و كثر بها الشعراء وازدهر فيها الشعر ، « فازدهر الشعر بتلمسان ازدهارا ملحوظا كغيره من العلوم والفنون المختلفة ، بفضل نمو الحركة الفكرية والأدبية التي شهدتها حاضرة المغرب الأوسط، ولم يكن قول الشعر مقتصرًا على الشعراء والأمراء فحسب ، بل تعدى ذلك إلى الوزراء و الكتّاب والأطباء والفقهاء وعلية القوم ، فكانوا يعالجونه فيستقيم لهم ، و يطول نفس قصائدهم حتى يزيد عن المائة بيت »²

مما سبق يمكن القول بأن الثغري لم يكن بمنأى عن هذه الحياة الأدبية والثقافية والعلمية المتطورة التي عرفتها الدولة الزيانية آنذاك، وقد كان لتلك العوامل السابقة الذكر الأثر الواضح والجلي في عملية التأثير والتأثر بين الشعراء والأدباء في المغرب والأندلس ، ومظاهر الإحتكاك تبدو واضحة بينهم من خلال التفاعل النصي بين

¹ محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص177

² عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ، ج 2، 2002، ص463

الشعراء ، والحضور الشعري فيما يتعلق بقصائدهم، لا سيما وقد ذاعت آنذاك فنون شعرية جديدة مثل الموشحات، وشعر التصوف والمدائح النبوية وكذلك المولديات .

لذلك و الملاحظ في شعر الثغري التلمساني حضور نصوص شعرية لشعراء من بلاد المغرب و الأندلس ذاع صيتهم في تلك الفترة ، وجعلوا لأنفسهم مكانة عظيمة في مجال الشعر العربي، خاصة فيما تعلق بالشعر الديني ، ولعل أبرز هؤلاء الشعراء هو أبو مُجَدِّ الشقراطيسي ت 466هـ.

يقول الشقراطيسي:¹

ضَاءَتْ بِمَوْلِدِهِ الْأَفَاقُ وَاتَّصَلَتْ

بُشْرَى أَهْوَانِي فِي الْأَشْرَاقِ وَالطَّفْلِ

في هذا البيت الشعري يبين لنا الشاعر مدى فرحة الخلائق بمولد النبي مُجَدِّ عليه الصلاة والسلام ، وتلك الأنوار التي بدت في الوجود ليلة ميلاده ، والأضواء التي عمّت جميع الآفاق مستبشرة خيراً بقدوم سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، وهنا الإضاءة بمعنى الجمال والبهاء الذي اتسم به سيدنا مُجَدِّ عليه الصلاة والسلام من جهة ، كما أنه يمثل الهداية إلى الطريق المستقيم بنور القرآن الكريم الذي جاء به النبي ﷺ من جهة أخرى .

يقول الثغري:²

وَفَاضَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

وَفِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى سَرَى الْبَشْرِ وَالْبُشْرَى

في هذا البيت الشعري يمدح الثغري رسول الله ﷺ باعتباره نورا أضاء الدنيا و ملاً الوجود ، فعمت الفرحة والبهجة الأرض شرقاً وغرباً ، و هذا النور يحمل معنيين مادي و معنوي ، فالأول يقصد به النبي صلى الله عليه وسلم و جماله و بهائه ، أما الثاني فهو القرآن الكريم وهداية الناس بفضله إلى الطريق المستقيم، وهنا نلاحظ التناسل عند الشعراء في استحضارهما للألفاظ والعبارات الدالة على أجواء الفرح ، والاستبشار خيراً بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فكانت عند الثغري في قوله : "فاضت بها الأنوار، البشر والبشرى"، أما عند

¹ ابن عمار أبو العباس أحمد ، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، مطبعة بونتانة ، الجزائر، دط ، 1905 ، ص118

² الثغري ديوانه ، ص 133

الشقرا طيسي فهي " ضاءت بمولده الآفاق ، بشرى ، الإشراف " وكلها ألفاظ و عبارات توحى بالضياء والنور وتدعو إلى الفرح والسرور ، كما أنها تندرج ضمن حقل دينى يتعلق بالشماثل المحمدية .

مما سبق يمكن القول أن شاعرنا قد أجاد وأبدع وتفنن فأمتع وما كان من شعره الأبهى و الأروع ، تمكن من أن يأخذنا في بحر الشعر والشعراء ، فيحملنا على متن سفينة الألفاظ والمعاني، ويسافر بنا عبر الأزمنة والعصور، مستحضرا في نصوصه الشعرية أجود وأقوى ما عرفه الشعر العربي في عصوره المختلفة ، وذلك من خلال تناصه مع شعراء استقى من شعرهم إما لفظا أو معنى وإما كليهما وإما وزنا أو قافية أورويا ، فأخذ من الشعر الجاهلي المقدمة الطللية وهذا ما رأيناه في تقاطعه مع معلقة امرئ القيس ، ونهل من الشعر في صدر الإسلام فاستفاد منه ما كان فيه من قوة اللفظ وجزالة المعنى، فاشترك مع شعراء المديح النبوي في سيد الخلق عليه الصلاة والسلام بلغة راقية ومعان جلييلة ، منبعها حب أبدي أكيد لشخص النبي ﷺ ، كما أنه استحضر من العصر العباسي ما كان منه في غرض المدح لسلطان الدولة الزيانية ، فكان ولا أروع وقد ضاهى في ذلك المتنبي وأبا تمام ، فاختار من اللفظ ما يناسب معنى المدح والثناء والمبالغة والإطراء ، ثم حطّ بنا الرحال إلى بيئته المغربية والأندلسية ، التي استفاد منها أيضا إفادة ، فكان الأبرز في أقرانه والأبرع بين أترابه ، خاصة فيما كان منه من شعر المديح النبوي والتصوف و المولديات .

ثانيا: الآليات اللغوية:

1/ الآلية اللغوية للإقناع في شعر الثغري التلمساني:

يسعى الأديب من خلال مختلف إنتاجاته الأدبية، شعرية كانت أو نثرية إلى تحقيق هدف واحد، ألا وهو إيصال الفكرة المطلوبة إلى المتلقي وإقناعه بها، ولا يتسنى له ذلك إلا بتوظيفه لآليات حجاجية تساعده على تحقيق الهدف المنشود، وبنى الحجاج في الشعر على تأدية وظيفتين هامتين هما "وظيفة إمتاعية وأخرى إقناعية"، أما الأولى فتهدف إلى إمتاع المتلقي والتأثير على مشاعره، وذلك من خلال استمالة وتحريك أحاسيسه وعواطفه، وتحقق هذه الوظيفة بتوظيف الشاعر لمختلف الأساليب البلاغية من "مجاز، استعارة، تشبيه وكناية"، وغيرها باعتبارها استراتيجية حجاجية هامة وفعالة، لا يكاد أي نص شعري أو خطاب شعري يخلو منها، وأما الثانية فهي التي تسعى إلى استمالة العقول وإقناعها من خلال الربط بين الأفكار وإيضاح تسلسلها وترتيبها وإظهار اتساقها وانسجامها، ولا تتحقق هذه الوظيفة إلا بتوظيف الوسائل النحوية والروابط اللغوية، التي تعضد الخطاب الشعري وتربط أجزاءه بعضها ببعض، حتى يبدو لحمة واحدة في تناسقه وتماسكه.

لقد لاحظنا فيما سبق كيف كان الثغري ينوع من حججه، محاولا بذلك إقناع المتلقي بآرائه وخطاباته وأشعاره، مستثمرا في ذلك الأساليب البلاغية من "مجاز وتشبيه واستعارة وكناية" وغيرها من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية وكذلك التناص باستحضاره نصوصا شعرية لشعراء آخرين، أو بتوظيفه لألفاظ ومعان دينية مستوحاة من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة، وكانت هذه الحجج البلاغية التي اختارها شاعرنا الثغري مناسبة في استمالة القلوب والنفوس وقد أجاد الاختيار ووفق في الوصول إلى الهدف المطلوب.

لقد استعمل الثغري إلى جانب تلك الأساليب البلاغية بعض العناصر والمؤشرات اللغوية متمثلة في ألفاظ التعليل والتراكيب الشرطية، والوصف وتحصيل الحاصل، وحروف المعاني وغيرها بوصفها روابط حجاجية، تزيد النص الشعري تماسكا، وتزيد المعنى قوة ووضوحا، وتعدّ هذه الروابط اللغوية وسائل حجاجية جوهرية تدفع الخطاب الشعري نحو بلوغه النتائج المطلوبة، وتحقيق الأهداف المرجوة من إقناع المتلقي والتأثير فيه بصورة واضحة ومباشرة.

1-1/ الروابط اللغوية للإقناع في شعر الثغري :

يقصد بالروابط اللغوية للإقناع هي تلك العناصر والمؤشرات والوسائل التي توظف في الخطاب الشعري، تهدف إلى إقناع المتلقي من خلال تفاعلها بصور شتى، و تشكل بذلك الوظيفة الدلالية كونها وسائل حجج جوهريّة تساعد النص الشعري لوصوله إلى النتائج المرجوة، و قبل الولوج في استنباط هذه الروابط اللغوية و الوسائل الحجاجية من شعر الثغري نذكر بمفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً.

* مفهوم الحجاج:

أ/ لغة : الحجة هي ما دافع به الخصم ، قال الأزهري: « الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، ويقال رجل محجاج أي جدل والتجاج بمعنى التخاصم ، و جمع الحجة هو حجج و حجاج ، وحاجه محاجة ، و حجاجا أي نازعها الحجة، والحجة بمعنى الدليل والبرهان»¹

* كما وردت لفظة حجاج عند الزمخشري في مادة ح ج ج : «احتج على خصمه بحجة شهباء وبحجج شهب وحاج خصمه فحجه»²

مما سبق يمكن أن نقول أن لفظة حجاج في معناها اللغوي تحمل معنى : التخاصم والتجادل ومحاولة إقناع الخصم بالدليل والبرهان.

ب/ اصطلاحاً:

الحجاج يدور في عدة معان ودلالات منها: الدليل ، والبرهان وغيرها، « الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم ، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين ، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه ، أو هو ما وفق عدلاً أقل في جعل السامعين مهئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»³.

إن الغاية التي يرمي إليها الأديب، شاعراً كان أم كاتباً هي إقناع المتلقي، لذلك فهو يوظف وسائل حجج جوهريّة في خطاباته تدفعه إلى تحقيق مبتغاه، ويتكون الخطاب الحجاجي من الحجج والنتائج، وما يساعد التفاعل بينهما هو وجود مؤشرات و عناصر تربط بينهما ، وتعمل على تنظيم العلاقات ومن بين هذه العناصر اللغوية هناك "أدوات الربط" وهي « كل كلمة تربط بين جزأين من الكلام سواء وقعت متصدرة له كالإسْتفهام ، أم في

¹ ابن منظور، لسان العرب مادة ، ح ج ج ، ص 38

² الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة ، ح ج ج ، ص 32

³ حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 172

صميمه كأدوات العطف و حروف الجر.....، و أدوات الربط كثيرة أسماء و حروفا مثل أدوات الاستفهام و الشرط و القسم و العطف و الحض و التمني و الرجاء والنواصب و حروف الجر «¹»، وهذه الروابط تقوم بالربط بين قولين وخواصها تتغير من قول إلى آخر، وذلك تبعا للسياق الذي ترد فيه .

اهتم النحاة العرب بتصنيف الأدوات اللغوية، لإدراكهم أهميتها في الكلام وأثرها البالغ في المعاني عند وجودها فيه من عدمه ، لذلك أطلقوا عليها مصطلح حروف المعاني ، « وإنما سميت حروفا لانحرافها عن الأسماء و الأفعال »² وقد عرّفوا الحرف بقولهم : « هو كلمة تدل على معنى في غيرها فقط »³

أما الزجاجي ت 337 فقد رأى أن الحرف هو المقابل للاسم والفعل ويعرفه بقوله: « هوحد ما بين هذين القسمين وربط لهما والحرف حد الشيء، فكأنه واصل بين هذين ، كما لحروف التي تلي ما هو متصل بها »⁴ مما سبق يمكن القول بأن الحروف هي أدواتو روابط تربط بين بط بين الجمل والأقوال بعضها بعض، وهي تحمل معان متباينة بحسب السياق الذي وضعت فيه، والحروف جميعا تشترك في كونها ذات معاني وظيفية ، وهي تحتاج إلى السياق حتى تتمكن من إظهار المعنى الوظيفي الخاص بها ، فلا يكتمل معنى الحرف إلا في سياقه الوظيفي .

1-1-1/ روابط الوصل و روابط الفصل:

تعدّ روابط الوصل وروابط الفصل أكثر العناصر اللغوية توظيفا عند الشعراء ، وذلك لأن مهمتها واضحة وهي الربط بين الجمل، وتسهيل الانتقال من قول إلى آخر ، والجلي هنا أن لكل رابط لغوي معنى يحدد وظيفة الجملة، بالإضافة إلى السياق الذي تكون فيه، وتبقى مهمة الشاعر هي اختيار الروابط المناسبة ووضعها في الأماكن المناسبة، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: « فليس الفضل العلم بأن الواو للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخ، و ثم بشرط التراخي ، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعرا ، وألفت رسالة أن تحسن التخير، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه »⁵

ومعنى الرابط لا يكتمل إلا في السياق الوظيفي أي معية اسم أو فعل ، ثم إن إدراك المعنى المراد يجعل الشاعر يدقق في اختيار ما يناسبه من الروابط ليو ظفها نصوصه الشعرية.

¹ حسن جمعة ، في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، دط ، 2002، ص170

² عبد الله بن محمد سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج1، 1982، ص14

³ الحسن بن قاسم المرادي ، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوي ، محمد نديم فاضل ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1992، ص20

⁴ أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تح: مازن مبارك ، دار العروبة ، القاهرة ، ط1 ، 1954 ، ص44

⁵ ع. القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص250

أ/ روابط الوصل :

هي تلك الروابط التي تصل بين جملتين بسيطتين وتربط بينهما لتشكيل جملة مركبة ، و تسعى إلى تقريب العناصر المتباعدة و توحيدها حتى يظهر المعنى المراد جليا لدى القارئ ، ومن بين روابط الوصل ما يلي :

1/ الواو:

يعتبر الواو حرف عطف يفيد الجمع والربط ، و هو أكثر روابط الوصل استعمالا في النصوص الأدبية خاصة الشعرية منها ، ومن معاني واو العطف هو « إشراك الثاني في ماد خل فيه الأول »¹
يقول الثغري:²

وَحَبَاهَا بِكُلِّ بَدَلٍ وَعَدَلٍ

وَحَمَاهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِيٍّ

في قصيدة رائعة يصف لنا الثغري جمال مدينة تلمسان وروعة مناظرها الخلابية، التي تسحر العقول، وأن هذا الجمال البديع الذي حباه الله لمدينة تلمسان هيأله من يحافظ عليه و يهتم به ويرعاه المدينة والرعية ، إنه ولا ريب حاكمها وسلطانها أبو حمو موسى الثاني، الذي عمد إلى حمايتها من الطغاة والأعداء كما أقام العدل بين الرعية ، فكان سخيا كريما، وهذا المعنى الجميل لم يكن ليتضح لنا إلا بتوظيف الشاعر لرابط الوصل الواو و تكراره أكثر من مرة في البيت الشعري فهو يفيد إشراك الثاني في الأول ، فالممدوح في هذا البيت يقاتل الأعداء ويتغلب عليهم ، وأيضا يكرم رعيته ويجود عليهم .

ويقول في موضع آخر:³

يَا إِمَامَ أَهْلِي وَسَمْسَ الْمَعَالِي

وَعَمَامَ النَّدَى وَبَدْرَ النَّوَادِي

يمدح الشاعر سلطان الدولة الزيانية ويثني عليه ، و يصفه تارة بالإمام و تارة بالغمام و أخرى بالبدر، وكلها تشبيهات رائعة، تبين مدى إعجابه بهذا السلطان ، وما زاد هذا المعنى وضوحاً هو إدراج الشاعر لرابط الوصل الواو الذي أفاد إشراك معنى الثاني "الشمس ،البدر" في معنى الأول " إمام ، غمام" وربطت بين صدر البيت وعجزه من جهة وبين عباراته وألفاظه من جهة أخرى مما زاد المعنى وضوحاً وجلاءً لدى المتلقي .

¹ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب في اللغة ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب ، بيروت، ج1، 1994، ص04

² الثغري ، ديوانه ، ص67

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص67

2/ الفاء

حرف عطف يفيد معنى التعقيب، أي أن الثاني يعقب الأول ويليه مباشرة بينهما وقت قصير جدا ، غير أن الثغري اعتمدها في أشعاره لكنها أقل توظيفا من حرف الواو .

يقول الثغري :¹

رَأَيْتُ مَحَاسِنَهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا

فَحَلَا بِهَا شِعْرِي وَطَابَ تَعْرِي

في هذا البيت الشعري لم يكتف الثغري بوصف مدينة تلمسان وصفا خارجيا، وذكر معالمها و مناظرها الجميلة ، إنما امتزج نفسيا مع موضوعه ، وبين لنا أثر جمال بلده و مباهجها على حالته النفسية ، هذه المحاسن الرائعة آثرت في نفس الشاعر دافعا ذاتيا جعله يتغنى ببهائها ، فحلا بذلك شعره وطال تغنيه بها، والملاحظ هنا هو توظيف الشاعر لرابط الوصل "الفاء" الذي أفاد التعقيب وذلك من خلال ما أثارته هذه المحاسن لمدينته حتى أنشأ شعرا يتغنى فيه بجمالها.

وفي موضع آخر يقول الثغري :²

مَلِكٌ جَاوَزَ أَلْمَدَى فِي أَلْمَعَالِي

فَالنِّهَايَاتُ عِنْدَهُ كَالْمَبَادِي

يمدح الشاعر الثغري حاكم تلمسان و يصفه بالملك الذي تمكّن من أن يصل إلى المعالي وذلك، بفضل كرمه وجوده على أهل بلده، وكذلك بفضل شجاعته وقوته وإقدامه في الحروب التي يقودها ضد أعدائه، فهذه العوامل جعلت ممدوحه يرقى مرتبة عالية لا يضاهيه فيها أحد ، و الملاحظ أن الشاعر قد أدرج رابط الوصل "الفاء" لأنه يناسب المعنى المراد ، حيث أنه تمكّن أي الممدوح من السيطرة على زمام الأمور بسرعة وفي وقت وجيز حتى أصبحت النهايات عنده كالبدايات .

¹ الثغري ، ديوانه ، ص113

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص68

3/ ثم :

من روابط الوصل كذلك " ثم " وهي حرف عطفيدي معنى الترتيب والتراخي، وهي « حرف عطف يدل على أن الثاني بعد الأول وبينهما مهلة »¹ ، والملاحظ عن هذا الرابط أنه أقل توظيفاً إذا ما قورن بحرف " الواو " يقول الثغري:²

لَعَلَّ حُسْنَ يَقِينِي فِيكَ يَمْنَحُنِي

شَفَاعَةً ثُمَّ يَقِينِي لَفْحَ نِيرَانٍ

في هذا البيت الشعري يسأل الثغري النبي ﷺ أن يشفع فيه يوم القيامة ، والشفاعة هي سؤال النبي عليه الصلاة والسلام ربه أن يتجاوز عن ذنوب أمته ويغفرها لهم، وهي خاصية اختص بها النبي محمد ﷺ دون سائر الأنبياء والرسل ، والشاهد في هذا البيت هو توظيف الشاعر لرابط الوصل " ثم " الذي أفاد معنى الترتيب والتراخي ، بحيث نلاحظ أن حسن يقين الشاعر بالرسول ﷺ وإيمانه القوي به سيشفع له عند ربه ، و بعد ها بمهلة سيجنبه نار جهنم ويدخله الجنة، لذلك فرابط الوصل " ثم " أفاد الترتيب والتراخي فالشاعر يُمنح الشفاعة أولاً ثم يدخل الجنة.

4/ إنَّ، أُنَّ:

يعتبر النحويون أنّ روابط الوصل " إنَّ ، أُنَّ " هما رابطان يؤتى بهما في الخطاب بهدف التأكيد والتحقيق، لذلك فقد اهتم الثغري بإدراجهما في أشعاره من أجل تأكيد الفكرة وترسيخها وتثبيت المعنى ، وهذه الوظيفة لا يمكن لروابط أخرى أن تؤديها حيث « يزعم النحاة أنها " إنَّ ، أُنَّ " تؤكد ما بعدها وتحققه »³ يقول الثغري:⁴

وَيُرُومُ سَلْوَانُ أَهْوَى فَيُجِيبُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ مُحَرَّمٌ نَسْيَانَهُ

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن النبي ﷺ ، فيبين لنا مدى تعلق قلبه بالرسول ﷺ ، وأنه مشتاق لزيارة الروضة الشريفة، وإن حبه للرسول عليه الصلاة والسلام حب صادق أبدي لا يمكن تجاهله أو نسيانه ، و هو يؤكد هذا المعنى فاختر لذلك رابط الوصل إنَّ التي أفادت التأكيد .

¹ أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، مازن مبارك، ص50

² الثغري ، ديوانه ، ص155

³ مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد و توجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص317

⁴ الثغري ، المرجع نفسه ، ص148

ويقول في موضع آخر :¹

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ

مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ تَنْصُرُهُ نَصْرًا

يذكر الشاعر في هذا البيت بعض المعجزات التي اختصها الله نبيه مُحَمَّد ﷺ، حيث سخر له الملائكة لتساعده وتقاتل معه في غزوة بدر الكبرى ، وتشد أزره حتى كان النصر حليفه ، وقد وظف الشاعر رابط الوصل " إِنَّ " التي أفادت التأكيد والتحقيق فهي من جهة أكدت المعنى، ومن جهة أخرى تحقق النصر للرسول ﷺ .

ويقول في موضع آخر:²

يَدَّعِي غَيْرُهَا الْجَمَالَ فَيَقْضِي

حُسْنُهَا أَنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيَادٍ

في هذا البيت الشعري يتغنى الثغري بجمال مدينة تلمسان ، ذكرا مناظرها الجميلة والخلاصة مؤكدا على أن جمالها لا نظير له في البلدان الأخرى ، و أن بقاءها لا مثيل له في الأمصار المجاورة ، فجمالها فتان يسحر العقول و الألباب ، ولا يضاهيه جمال آخر في هذا الوجود ، ومن يقل غير ذلك فهو كاذب وقوله ادعاء ، وهذا الادعاء باطل لا أساس له من الصحة ، وما زاد هذا المعنى تأكيدا و ترسيخا هو إدراج الشاعر أداة التوكيد "أَنَّ" ، التي أفادت التأكيد للفكرة و تثبيتها و وضوح المعنى .

5/ لكن :

من أدوات الربط الحجاجية "لكن" وهو « حرف عطف يفيد الاستدراك، ومعنى الاستدراك أن تكسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها ، كأنك لما أخبرت عن الأول بخير ، خفت أن يتوهم الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره، إما سلبا وإما إيجابا »³.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص83

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص49

³ أبو بكر الغزوي ، اللغة والحجاج ، ص509

يقول الثغري:¹

وَلَكَيْتِي أَبْكِي لِزَلَّاتِي الَّتِي تَجَاوَزْتُ

فِيهَا مُنْتَهَى الْحُضْرِ وَالْحَدِّ

في هذا البيت الشعري نلاحظ بكاء الشاعر وندمه الشديد على ضياع عمره سدى ، وعلى مافات من عمره حتى اشتعل رأسه شيباً ، وهذا الندم هو خطوة أولى لتوبة نصوح، يرجو من خلالها الشاعر العفو والصفح، ويطلب المغفرة من الله تعالى والتشفع بالنبي ﷺ ، و قد انتقل من موضوع إلى آخر بواسطة الآداة "لكن" التي أفادت استدراك المعنى ، والشاهد هنا أن المعنى الأول الذي يبين فيه الشاعر و يصف جمال الحياة على اختلاف مجالاتها ، استدركه بمعنى ثان وهو اعترافه بذنوبه ورجاؤه العفو والصفح من الله تعالى .

6/ حتى :

من روابط الوصل الحجاجية "حتى" وذلك « لدورها في ترتيب منزلة العناصر ولما لمعانيتها و استعمالاتها من سلمية »²، والعامل "حتى" في الملفوظ يساعده على تقوية وإيقان المتقبل بالنتيجة ، و في هذا يقول ابن يعيش : «حتى الواجب فيها أن يكون ما يعطف بها جزءا من المعطوف عليه، إما أفضله كقولك : مات الناس حتى الأنبياء ، وإما أدونه كقولك : قدم الحجيج حتى المشاة »³ .

و يجب على ما بعد " حتى " أن تحكمه علاقة الجزء بالكل ، و منه فإن الجملة التي تسبق " حتى " وهي كحجة أولى أقل إقناعا من الجملة التي تليها وهي كحجة ثانية، فتكون أكثر إقناعا وتأكيذا وقوة، وللرابط " حتى " معان كثيرة منها :

« الجر فتسمى حتى الجارة وتحمل بذلك معنى انتهاء الغاية ، و العطف فتسمى بـ حتى العاطفة، فتعطف الثاني على الأول »⁴

يقول الثغري:⁵

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْسَّرَى حَتَّى أَرَى

مَعْنَى بِهِ لِأُولَى السَّعَادَةِ مَعْنَمٍ

¹ الثغري ، ديوانه ، ص55

² أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص512

³ ابن يعيش موفق الدين ، شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج6 ، ط1، 2001 ، ص96

⁴ عبد الهادي ظافر الشهري إستراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، ص517

⁵ الثغري ، المرجع نفسه ، ص125

في هذا البيت الشعري يصف الشاعر مدى شوقه إلى الروضة الشريفة، ويعبر عن حنينه الدائم لزيارة البقاع المقدسة، وأن غايته الأولى والأخيرة هي زيارة مرابع النبوة والتمتع بالمقام الشريف، وقد وظف لهذا المعنى ما يفيد الغاية وهو العامل "حتى"، الذي يصبو من خلاله الشاعر إلى تحقيق مبتغاه .

ويقول الثغري :¹

أَيَا مَلِكًا دَانَتْ بِطَاعَةِ أَمْرِهِ جَمِيعُ

الْوَرَى حَتَّى الْمُلُوكِ الْقَبَائِلِ

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر حاكم مدينة تلمسان ، ويظهر شجاعته وقوته وأنه قد بسط نفوذه على الناس جميعاً، حتى وصل بسلطنته إلى إخضاع ملوك القبائل الأخرى ، وقد ربط بين الجملتين الأولى والثانية برابط الوصل "حتى" الذي أفاد معنى العطف.

7/ لام التعليل :

يعتبر لام التعليل من أقوى الروابط الحجاجية وغالباً ما نجده في الخطابات خاصة الشعرية منها، ووظيفته تقديم الحجج ونتائجها من الأضعف إلى الأقوى، كما أنه يستخدم للتفسير والتعليل فهو يوظف بصورة متوافرة في الخطاب حيث ينتقل من الواقع ليفسر به أشياءه، كي يبدو أكثر إقناعاً و أقوى تأثيراً سيما عندما يتصل ب "أن" فيشكلان معاً لفظة "لأن"

يقول الثغري:²

وَلَكِنِّي أَبْكِي لِرِزْلَاتِي الَّتِي بَحَاوَزْتُ

فِيهَا مُنْتَهَى الْحُصْرِ وَالْحَدِّ

في هذا البيت يعترف الشاعر بتقصيره في عبادته لله تعالى، ذاكراً ذنوبه ومعاصيه و مدى ابتعاده عن سبيل الرشاد، فهو يلوم نفسه ولم يجد سوى دموعه ترجمانا لهذه الحالة ، التي تعج بالندم والخوف من الله عز وجل، وقد استعمل لسرد هذا التسلسل في الأحداث الرابط الحجاجي "لام التعليل"، الذي يربط السبب بالنتيجة فكان السبب هو كثرة الذنوب والمعاصي والزلات، وكانت النتيجة المحتومة لهذه المعطيات هي البكاء والندم والخوف ، وما زاد هذه القضايا ترتيباً هو وجود الرابط الحجاجي " لكن" في مطلع هذا البيت الشعري، وكلاهما قد عملا على التأثير في المتلقي و الإقناع فيه.

¹ الثغري، ديوانه ، ص108

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص55

في موضع آخر يقول الثغري: ¹

وَأَشْرَفَ عَلَى الشَّرْفِ الَّذِي بِإِرَائِهَا

لِتَرَى تَلْمِسَانَ الْعَلِيَّةُ مِنْ عِلِّ

في هذا البيت الشعري يصف لنا الشاعر مدينة تلمسان مبينا مظاهرها الطبيعية الخلابة التي تسحر العقول، والتي لأجل التمتع بها يؤمها السياح من كل حدب وصوب، و قد استعمل الشاعر هنا الرابط "لام التعليل" الذي يفيد ترتيب الأسباب و حتمية النتائج، فكان السبب هو جمال تلمسان الساحر للألباب والعقول، أما النتيجة فهي ضرورة زيارة هذه المدينة الجميلة والتمتع بجمالها وبهائها الفاتن.

8/ العامل: "ما.....إلا"

يعتبر العامل "ما.....إلا" من طرق القصر في اللغة العربية، حيث يمثل القصر في اللغة العربية صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص، والقصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة المقصودة دون النظر إلى احتمالات أخرى، و القصر « هو من التراكيب التي يترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية » ² وهو يقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية للملفوظ.

يقول الثغري: ³

فَمَا هُمُّ إِلَّا كِتَابٌ وَسُنَّةٌ بِنَسْخِهِمَا

فَدَ أَخْرَزَ الْفَخْرَ وَالْأَجْرَا

في هذا البيت يمدح الشاعر السلطان حاكم تلمسان أبا حمو موسى الثاني ويثني على فضائله ويعدد مناقبه، فيذكر أنه كان عالماً مقيماً للدين مهتماً بالقرآن الكريم وبالسنّة النبوية الشريفة، فقد عرف عنه أنه تمكن وييده من كتابة نسخة من القرآن الكريم ونسخة من صحيح البخاري، وهذا تعظيماً منه وتقديراً منه للمنزلة التي يحتلها كتاب الله وسنة نبيه مُحَمَّدٌ ﷺ في قلبه، وقد حصر الشاعر هذا العمل الجليل من الحاكم في عبارة: "ما.....إلا"، التي أعطت الوجة الحجاجية المباشرة من تقديم النتيجة و هي نسخ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكان السبب هو حمل هذا الهم الذي أضحي ثقلاً على عاتقه.

¹ الثغري، ديوانه، ص 115

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 519

³ الثغري، مرجع نفسه، ص 88

وفي موضع آخر يقول الثغري: ¹

مَا عَابِدُ الرَّحْمَنِ أَنْ تَسْأَلَ بِهِ

إِلَّا هَزِيرَ فِي الْكَرِيهَةِ ضِعْمٍ

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر الثغري السلطان الزياني أبا حمو موسى الثاني، مظهرا مدى قوته وشجاعته خاصة وقت الحرب و في ساحة الوغى ، وقد وظف عبارة الحصر "ما.....إلا" التي ساهمت في إيضاح المعنى المراد و في ترتيب الأسباب والنتائج ، فالسبب هو قوة صلته وتوكله على الله تعالى أما النتيجة فهي الفوز والنصر العظيم على الأعداء.

وفي موضع آخر يقول الثغري: ²

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا مِنْ عَدُوِّكَ فَمَا يَكُنْ

عَزِيمَتِكَ فِيهَا مَا يَسُوءُ الْأَعَادِي

يحدثنا الشاعر في هذا البيت الشعري عن النفس وأحوالها المتغيرة ، فهو يدعونا إلى ضرورة التعامل معها بحذر و انتباه ، تجنبنا لما قد توقعنا فيه من مهالك و مآزق ، من شأنها أن تسر الأعداء وتفرحهم فينا و تمكنهم من إظهار الشماتة فينا، فالنفس تسعى دائما وراء الملذات وطلب الشهوات دون أن تردع من تلقاء نفسها ، فهي تحتاج دائما من يراها ويراقب سلوكها ويحاول كبح رغباتها، وقد وظف الشاعر لهذا المعنى أسلوبا حصر يتمثل في قوله : " ما...إلا " والغرض منه هو ضبط النفس وكبحها ،وقد زاد هذا الأسلوب المعنى وضوحا و أعطاه رونقا وجمالا.

وفي موضع آخر يقول الثغري: ³

فَاخْلَعْ لِبُوسِكَ مِنْ سِوَى ثَوْبِ التُّقَى

مَا لِلنُّفُوسِ حَلَى سِوَى تَقْوَاهَا

في هذا البيت الشعري يعاتب الشاعر نفسه ويلومها على ما فرطت في جنب الله؛ لأنها انغمست في الشهوات وسعت وراء ملذات الدنيا سعيا حثيثا ، فهو قد أظهر ندمه وتوبته ويرجو رحمة ربه ومغفرته ، ويؤكد أن باب التوبة مفتوح و أن الله سيغفر ما كان منه من خطايا وذنوب؛ لأنه قد أناب

¹ الثغري ،ديوانه ،ص 132

² الثغري ،المرجع نفسه ،ص 84

³ الثغري ،المرجع نفسه ،ص 160

إليه وتاب توبة نصوحا ، فتتجمل نفسه بالفضائل وتبتعد عن الرذائل وتمسك أكثر برباط التقوى كونه ملاذها الوحيد ، وقد عبر عن هذا المعنى الجليل بعبارة حصر مناسبة ألا وهي "ماسوى" التي وظفها في عجز هذا البيت الشعري ، وما هي إلا دليل على أن لفظة التقوى شاملة لجميع الفضائل والشمائل، التي يجب على كل مسلم أن يلتزمها و يتمسك بها ويجعلها نبراسا له في حياته حتى يفوز في الدارين الدنيا والآخرة ، وقد عمدت عبارة "ماسوى" إلى الدقة في المعنى وتقويته.

ب / روابط الفصل :

هي تلك الروابط التي تهتم بتوزيع المعنى على العناصر المكونة للجملة الواحدة، و روابط الفصل «هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلاً واحداً ، أو على لأقل مجموعة متحدة ضمن الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها»¹

و من بين أدوات الفصل ما يلي :

1/ أو :

وهي من أدوات الفصل وهي تدل على التخيير ، ويكون «عندما ينوي المتكلم أن يقوم إما بالفعل الأول أو الثاني في حال أو وقت محدد من المستقبل»²

ومعاني " أو " كثيرة منها : « الشرك، الإبهام ، التخيير، الإباحة، التقسيم ، الإضراب، وقد تكون بمعنى الواو و معنى : "ولا"»³

يقول الثغري :⁴

يَا غَاصِبِينَ اسْتَحَقَّ الدَّارَ صَاحِبُهَا

إِنْ شَاءَ عَا قِبَكُمُ أَوْ شَاءَ يُعْتَقَرُ

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر حاكم مدينة تلمسان مظهرا شجاعته وقوته ، وقدرته على التحكم في زمام الأمور ، وتسيير شؤون الدولة ، وأن أعداءها الغاصبين أضحو الآن أسرى بين يديه

¹ عبد الهاديين ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ، ص 477

² الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 228

³ الحسن بن القاسم المرادي ، المرجع نفسه، ص 230

⁴ الثغري ، ديوانه ، ص 64

وهو الوحيد المسؤول عن مصيرهم ، وله الاختيار في عقابهم أو العفو والصفح عنهم ، وقد وظف لتوضيح هذا المعنى رابط الفصل "أو" الذي أفاد معنى التخيير .

ويقول في موضع آخر:¹

مَلِكٌ بِهَمَّتِهِ الْعُلْيَا وَعَزَمَتِهِ

يَسْتَجْلِبُ النَّفْعَ أَوْ يَسْتَدْفِعُ الضَّرَرَ

ما فتى الثغري يمدح حاكم تلمسان آنذاك ، وقد أظهر في هذا البيت همته العالية وعزمته القوية، التي نادرا ما نجدها عند ملوك آخرين، فقد تميز إضافة إلى ذلك بالحكمة والإقدام في الحروب والشجاعة في الوغى ،ومن خلال هذه الصفات النبيلة والخصال العظيمة، يتمكن هذا الحاكم من الوصول إلى أمرين اثنين في نفس الوقت إنهما "جلب النفع ودفع الضرر"، وهما حدثان متناقضان غير أنهما يقعان في نفس الوقت، وما أفاد هذا المعنى هو رابط الفصل "أو" الذي جاء هنا بمعنى "الواو".

يقول الثغري:²

فَالْبِشْرُ يَبْدُو مِنْ حُبَابِ تُغُورِهِ

مُنَبَّسًا أَوْ مِنْ تُغُورِ حُبَابِهِ

هنا يصف الشاعر لنا مدينة تلمسان ، ويتغنى بجمالها الساحر للعقول والألباب ، فهو يؤكد أن الزائر لهذه المدينة يجد فيها ما يشرح صدره ويرحنفسه، حتى أنه لا يستطيع أن يميزوي فاضل بين مناظرها؛ لأن كل منظر منها ينسيك المنظر الآخر، وهذا دليل على جمالها وبعائها، وقد استعمل رابط الفصل "أو" الذي أفاد التخيير مع أنه يصعب ذلك لروعة جمال هذه المدينة.

1-2/ عامل التكرار:

يعد التكرار مظهرا من مظاهر الاتساق والانسجام ، ويعمل على تأكيد الفكرة وترسيخها لدى المتلقي ، كما يسهم اسهاما كبيرا في توضيح المعنى وتقويته ، ويتمثل التكرار في إعادة اللفظ ذاته مرة أو مرات عدة ، كما أنه يشمل إعادة المعنى أحيانا .

¹ الثغري ،ديوانه ، ص63

² الثغري ،المرجع نفسه ،ص13

لقد اعتمد شاعرنا الثغري التكرار كعامل حجاجي يعضد به أفكاره كونه مظهرًا يحقق الاتساق و الانسجام، ويسهّل وضوح المعنى لدى المخاطب حتى يبدو جليًا واضحًا لا يشوبه شائب.

يقول الثغري:¹

وَسَمَا تَأْجُهَا عَلَيَّ كُلِّ تَاجٍ
وَسَطًا فَيَضُهَا عَلَيَّ كُلِّ وَادٍ
وَبِشْعَرِي فَهَمْتُ مَعْنَى عَمَلَاهَا
مِنْ حَالَاهَا فَهَمْتُ فِي كُلِّ وَادٍ

في هذين البيتين يتغنى الشاعر بجمال مدينة تلمسان ، معددا بعض مناظرها الجميلة كالسهول و الأودية ، التي تجذب إليها السياح وتشد إليها الناظرين ، فهو يعترف بأن جمالها الآخذ للعقول هو السبب في نظمه للشعر ، ويقر بأن ما تحويه مدينة تلمسان من مناظر خلابة و أماكن رائعة هي وحدها جعلته يقول فيها شعرا ، وما زاد هذا المعنى وضوحا لدى المتلقي هو تكراره لبعض المفردات مثل " تاج " وكذلك بعض العبارات نحو " كل واد " ، التي أفادت تأكيد الفكرة وتثبيتها وتوضيح المعنى المراد وتقويته عند القارئ.

ويقول الثغري في موضع آخر:²

إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ بَدْرَهَا فَالْتَّاشَفِي سَمْسَهَا وَضُحَاهَا
إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ صَدْرَهَا فَالْتَّاشَفِي قَلْبَهَا وَحُجَاهَا
إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ سُحْبَهَا فَالْتَّاشَفِي عَيْثَهَا وَنَدَاهَا
إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ لِحْظَهَا فَالْتَّاشَفِي نُورَهَا وَسَنَاهَا

لا يزال الثغري في مقام المدح فهو في هذه الأبيات يمدح أبا تاشفين عبد الرحمان الثاني بن أبي حمو موسى الثاني، وهو من تولى الحكم بعد وفاة أبيه فالثغري هنا يمدحه ويثني عليه ويشيد بفضائله وخصاله الكريمة ، مؤكدا على أنه كان خيرا خلف لخير سلف ، وقد شبهه بأكثر من تشبيه ، فتارة مثله بالشمس و اخرى بالغيث و أيضا شبهه بالنور ، وكلها تشبيهات توحى بالعظمة والقوة و المكانة الرفيعة لممدوحه ، والشاهد في هذه الأبيات هو تكرار الشاعر لبعض الألفاظ مثل "التاشفي" و بعض العبارات مثل "إن كان موسى للخلافة" ، هذا التكرار الذي زاد المعنى وضوحا من جهة ومن جهة أخرى عمل على تأكيد الفكرة و ترسيخها لدى المتلقي ، وهذا هو دور التكرار الذي يساعد على تحقيق الاتساق و الانسجام بين الأفكار مما ينعكس إيجابا على المعنى فيبدو جليًا واضحًا عند القارئ.

¹ الثغري ،ديوانه ، ص48

² الثغري ،المرجع نفسه ،ص165

1-3/ عامل اسم التفضيل:

اسم التفضيل هو اسم مشتق يدل على أن شيئين قد اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما عن الآخر فيها ، ويصاغ اسم التفضيل من الفعل الثلاثي المجرد التام المبني للمعلوم القابل للتفاضل على وزن " أفعل " مثال :

" كَثُرَ — أكثر ، حَسُنَ — أحسن ، جُمِّلَ — أجمل "

أما إن اختلف شرط من تلك الشروط الخمسة سابقة الذكر فإن اسم التفضيل يصاغ كما يلي :

1/ أن يؤتى بالمصدر الصريح للفعل ويكون منصوبا بفتحتين "منونا"

2/ أن يسبق هذا المصدر الصريح المنون اسم تفضيل مناسب نحو: أشد ، أكثر ، أقل... إلخ.

مثال:

الفعل : اجتهد

المصدر : اجتهدا

صيغة التفضيل : أكثر اجتهدا ، أو ، أقل اجتهدا

يعدّ اسم التفضيل من العوامل الحجاجية التي تساعد على ترتيب القضايا سواء كانت ضعيفة أم قوية، وذلك حسب اسم التفضيل المدرج في السياق ، وهو يسهم في إبراز قوة الحجة من ضعفها ، كما يعمل على تدقيق المعنى وتوضيحه و تقويته ، إضافة إلى تناسق الأفكار و انسجامها وترابطها حتى تصبح وكأنها لحمة واحدة ، وعلى هذا الأساس نرى أن شاعرنا الثغري قد وظف صيغ التفضيل في قصائده ، لما لها من دور هام وفعال و أثر بالغ في تعضيد المبني وتقوية المعنى.

يقول الثغري:¹

بِأَعَزِّهِمْ جَارًا وَأَمْنَعِيهِمْ جَمِيًّا

وَأَجَلِّهِمْ مَوْلَى وَأَعْظَمَ مَوْئِلًا

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر الثغري سلطان الدولة الزيانية و يثني عليه ، و يبين فضائله ومكارمه وخصاله الحميدة على قومه وعلى رعيته وشعبه ، وقد اختار لهذا المعنى ألفاظا توحى بالقوة والعظمة وهي " أعز ، أمنع ، أجمل ، أعظم " وهذه الألفاظ هي أسماء تفضيل جاء بها الشاعر على وزن " أفعل " للدلالة على أن ممدوحه هو الأكثر اتصافا بها ، وما هي إلا صفات حميدة جبل عليها ممدوحه ، ولا يضاويه فيها أحد من الملوك آنذاك ، و عملت هذه المشتقات على تقوية المعنى و توضيحه لدى المتلقي ، كما زادت الأفكار تعصيذا و تأكيدا وتلاحما مع بعضها البعض.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 118

و يقول في موضع آخر:¹

وَأَصْدَقُ مَنْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ هُنَجَةً

وَأَكْرَمُهُمْ فِعْلاً وَأَشْرَفُهُمْ ذِكْرًا

وَأَطْهَرُهُمْ قَلْبًا وَأَكْمَلَهُمْ نَفْسًا

وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا

لقد أخذ غرض المديح من قصائد الثغري حيزا كبيرا ، خاصة ما كان منه في مدح النبي سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في هذين البيتين يمدحه ويثني عليه ، فيذكر له مجموعة من المناقب والحاصل و الشمائل الحمديّة التي لا يضاهيه فيه أحد من البشر ، وقد عبر عن هذا المعنى بانتقائه لألفاظ جاءت على صيغة التفضيل حتى تزيده قوّة و وضوحا ومنها : "أصدق ، أكرم ، أشرف ، أكمل ، أظهر ، أشرح ، أرفع" ، و كلها أسماء تفضيل توحى بالعظمة و الرفعة لشخص النبي سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، وقد وظفها الشاعر على وزن " أفعل " حتى تسهم في تقوية المبنى و المعنى معا ، فجاءت الأفكار مترابطة متسلسلة ومنسجمة مع بعضها البعض ، مما انعكس إيجابا على المعنى فزادته دقة وقوة و وضوحا وجلاء لدى المتلقي .

ثالثا : الأساليب الإنشائية ودورها في العملية الحجاجية:

1/ الأسلوب الإنشائي:

هو الكلام الذي لا يحتمل التصديق و لا التكذيب، و للأساليب الإنشائية دور هام و بارز في العملية الحجاجية خاصة في الخطاب الشعري ، كون الأساليب الإنشائية تثير عواطف و أحاسيس المتلقي على غرار الصور البيانية، والمرسل عندما يوظف الأساليب الإنشائية فإنما هو بذلك يهدف إلى إثارة مشاعر المتلقي، التي تعد الخطوة الأولى في الطريق إلى إقناعه. و للأسلوب الإنشائي نوعان هما :

1-1/ أسلوب إنشائي طلي :

ويتمثل في : "النداء ، الاستفهام ، الأمر ، النهي ، التمني".

1-2/ أسلوب إنشائي غير طلي :

ويتمثل في : "التعجب ، المدح ، الذم ، الترجي ، القسم".

ولعلّ من بين الأساليب الإنشائية الأكثر فاعلية في عملية الإقناع هي : "الاستفهام ، الأمر ، النهي".

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 73

1-1-1 / الاستفهام :

الاستفهام من الأضرب الإنشائية يتمثل في طرح السؤال، وأدواته كثيرة منها الحروف مثل : "هل، الهمزة "أ"، و منها الأسماء مثل : "من ، ماذا ، كيف ، متى ، أين إلخ" ، « ويعد الاستفهام من أنجع الوسائل الحجاجية، إذ أن طرح السؤال يمكن أن يضحّم الاختلاف حول الموضوع، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين »¹

و يعد المقام هو من يحدد طبيعة السؤال وطريقة طرحه ، وكذلك معرفة المتكلم بطريقة تفكير المتلقي تجعل أسئلته أكثر دقة و إقناعا.

وقد يخرج الاستفهام عن المعنى الحقيقي إلى معان أخرى غير حقيقية تفهم من سياق السؤال نذكر منها : « الإنكار، التقرير، التوبيخ ، الفخر ، الافتخار، التعجب ، التعجيب، التعظيم، التمني والترجي ، السخرية والتهمك و التأكيد..... إلخ »²

يقول الثغري :³

مَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْهِ مُقْصِرٌ

وَبِمَدْحِهِ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُحْكَمُ

في هذا البيت الشعري يعبر الشاعر عن عجزه على استيفاء مدح النبي صلس الله عليه وسلم ، فهو يبقى مقصرا في حقه مهما نظم في مدحه القصائد الطوال، و يؤكد القول بأنه كيف يمكن لأي شخص كائن ما كان إنسيا كان أو جنيا أن يفني بالعرض في مدح الرسول ﷺ، ويتمكن من مدح مدحه الله عز وجل في كتابه الكريم وذلك في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ 4﴾ سورة القلم الآية 4 .

وقد وظف الشاعر لتوضيح هذا المعنى أسلوب استفهام يتمثل في اسم الاستفهام "ماذا" الذي تصدر البيت الشعري، وهو أسلوب إنشائي طلي يتمثل في الاستفهام، والغرض البلاغي منه هو التقرير ، وقد أدى هذا الأسلوب إلى تأكيد الفكرة و توضيح المعنى لدى المتلقي.

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية ، ص 483

² عبد الرحمان حسن جبتك الميداني ، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ج1،

ط1، 1996، ص228

³ الثغري، ديوانه ، ص129

يقول الثغري في موضع آخر :¹

سَلَّ عَنْهُ وَهَرَانَ هَلْ أَجَزَى تَحْصُنْهَا

مِنْهُ وَهَلْ أَعْنَتْ الْأَسْوَارُ وَالْجُدُرُ

في هذا البيت الشعري يمدح الشاعر سلطان الدولة الزيانية الذي تمكن من تحرير مدينة وهران من الأعداء، وضمها لسلطنته فأصبحت بذلك تسير تحت إمرته ، و تنطويت حث لوائه ، فلم يُعْنِ الأعداء حصونهم ولا أسوارهم ولا عدتهم ولا عتادهم في مقاومة الحاكم الزياني؛ لأنه كان على حق وصاحب حنكة وباع طويل في الحرب ، الأمر الذي ساعده على تحقيق النصر بعد توكله على الله و إيمانه القوي به ، والشاهد هنا هو أن الشاعر قد وظف أسلوب الاستفهام و استعمل حرف الاستفهام "هل" ، وهو أسلوب إنشائي طليي يتمثل في الاستفهام و الغرض منه المدح والتعظيم لسلطان الدولة الزيانية ، هذا الأسلوب ساعد على تأكيد الفكرة و توضيح المعنى لدى المتلقي.

* الأمر والنهي :

هما أسلوبان إنشائيان طلييان يتميزان بالقدرة على توجيه سلوك المتلقي وفكره ، وأيضاً مشاعره في الوجهة التي يحددها المتكلم، « الأمر هو طلب تحقيق شيء مادي أو معنوي، أما النهي فهو طلب الكف عن شيء ما مادي أو معنوي »²

1-1-2 / الأمر :

يقول الثغري :³

وَأَنْصُرْ خَلِيقَتَكَ الَّذِي لَيْسَ إِلْتَقَى

حُلَلًا تُطَرَّرُ بِالثَّنَاءِ وَتُرَقَّمُ

في هذا البيت الشعري نلاحظ أن الشاعر قد استهله بفعل أمر وهو "انصر"، والغرض البلاغي منه هو الدعاء؛ لأنّ الشاعر في مقام دعاء الله تعالى بأن ينصر الحاكم سلطان الدولة الزيانية على أعدائه، ويرجو من الله عز وجل التوفيق له في هذه المهمة الصعبة ، ذاكراً أن هذا الحاكم من المسلمين التقاة ، وأن حربه على الأعداء ليست ذاتية أو شخصية، إنما هي حرب نصره لله وابتغاء الفتح و نشر الدين الإسلامي، وما النصر إلا بيد الله وما التوفيق إلا بالله ، لذلك فقد استعمل الشاعر أسلوب إنشائياً طليياً يتمثل في الأمر في قوله: "انصر"، والغرض منه هو الدعاء والرجاء مما زاد المعنى وضوحاً وأعطاه رونقاً وجمالاً.

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 64

² عبد الرحمان حسن جبتك الميداني ، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها ، ص 228

³ الثغري ، الرجوع نفسه، ص 129

ويقول في موضع آخر¹:

فَاخْلَعْ لِبُوسِكَ مِنْ سِوَى ثَوْبِ الثَّقَى

مَا لِلنُّفُوسِ جِلِّي سِوَى تَقْوَاهَا

يدعونا الشاعر من خلال هذا البيت إلى ضرورة التزام التقوى ، الذي يتضمن اجتناب المعاصي و ترك المنكرات، والتمسك بالعمل الصالح قولاً كان أو فعلاً ، كما أن تقوى الله يعد من أسباب جلب البركة في الرزق، وتفريج الهم والغم ، ومضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، ويبين الشاعر أن الشخص الذي تزينه الملابس الفاخرة التي يرتديها، ما هو إلا جمال للمظهر الخارجي ، إنما جماله الحقيقي يكمن في أخلاقه الفاضله ومبادئه وقيمته المثلى ، و في تقوى الله الذي يعطيه شخصية قوية متزنة ويضفي على محيائه جمالاً وبهاء ، لذلك فقد وظف الشاعر أسلوباً إنشائياً طلبياً يتمثل في الأمر و ذلك في قوله: "اخلع" وكان الغرض منه هو النصح والإرشاد ،وقد أعطى هذا الأسلوب رونقا و بهاء للمعنى وزاده وضوحا وجلاء.

1-1-3/ النهي:

يقول الثغري²:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافَانِي وَأَنْكَرْتَنِي الْعَوَانِي بَعْدَ عِرْفَانِ

وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي غَمِّي بِلَا رُشْدٍ وَالنَّفْسُ تَأْمُرُنِي وَالشَّيْبُ يَنْهَانِي

كَمْ مِنْ حُطَى فِي الْخَطَايَا قَدْ حَطَوْتُ وَمَنْ تَرَاقِبِ اللَّهِ فِي سِرِّ وَإِعْلَانِ

فَلَا تَعُرَّتْكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا فَيَا نَدَامَةً مَنْ يَعْتَرُّ بِالْقَانِي

أحوال النفس ثلاثة وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم و ذلك في قوله :

1/ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ

رَحِيمٌ 53 ﴾ سورة يوسف الآية 53

2/ وقال أيضا : ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ 2 ﴾ سورة القيامة الآية 02

3/ وقال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ 30 ﴾ سورة الفجر الآية 30

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 160² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 153

و يحدثنا الشاعر في هذه الأبيات الشعرية عن النفس وأحوالها المتبانية، وقد استهل ذلك بأسلوب إنشائي طلي يتمثل في الأمر وذلك في قوله: "أقصر" والغرض منه هو التحذير والتنبيه، وقد رسم لنا من خلاله صورة كنائية تتمثل في الكبر والهرم فالإنسان متى اشتعل رأسه شيئا دل ذلك على تقدمه في السن، ورغم ذلك غير أن النفس الأمانة بالسوء لا تزال تدفعه إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي من جهة، ومن جهة أخرى تحفزه حتى يتمسك بالدنيا و ينشغل بزخرفها و ملذاتها، فالشاعر في صراع داخلي بين النفس الأمانة بالسوء و بين نذير الشيب الذي غطى رأسه ببياض خالط سواد شعره.

إن الشاعر يدعونا في هذه الأبيات إلى ضرورة التعامل مع النفس بحذر و انتباه شديدين تجنبنا لما قد توقعنا فيع من مهالك و مآزق من شأنها أن تبعد الإنسان عن الطريق المستقيم فتكسبه غضب الله، والنفس دائما تسعى وراء ملذات الدنيا و شهواتها، وتنجذب نحو زخرفها وبهرجتها، فهي تطلب الشهوات و الملذات و الدنيا دار الغرور، فقد يغتر الإنسان بما يملكه أو جاه يحيط به أو بمنصب مرموق أو مركز اجتماعي أو بقوة جسدية حباه الله إياها، لذلك ينبغي على الإنسان ألا يندفع بمثل هذه المغريات لأن الدنيا فانية وزائلة لا محال و يجب على الإنسان أن يردع نفسه و يكبح جماحها، و يضبط سلوكها و أن يجملها بالتقوى و القناعة والاستعداد ليوم الرحيل للقاء الله عز وجل وهو راض عنه، و قد اختار الشاعر لهذا المعنى أسلوبا إنشائيا طليبا يتمثل في النهي و ذلك في قوله: "لا تغرّتك" والغرض منه هو النصح والإرشاد، وتظهر لنا هذه المقطوعة الشعرية مدى تمكن الشاعر من ناصية اللغة حيث نجده قد جمع بين أسلوبين إنشائيين طليبين تمثلا في الأمر والنهي يرميان إلى غرض واحد وهذا دليل على إبداع الشاعر وتفننه.

* دور الأساليب الإنشائية الطلبية " الاستفهام، الأمر والنهي " في العملية الحجاجية:

تلعب هذه الأساليب الإنشائية الطلبية الثلاثة "الاستفهام، الأمر والنهي" دورا هاما وفعالا في العملية الحجاجية، فالاستفهام يعمل على التأثير وبصورة مباشرة في المتلقي، و إقناعه من خلال استمالاته وبعث الدافعية للوصول إلى الإجابة عن الأسئلة المطروحة، والتي بواسطتها يخرج المتلقي عن المعنى الحقيقي إلى معان أخرى مجازية غير حقيقية.

أما الأمر فإن أفعاله لها دور كبير في توجيه المتلقي إلى إنجاز أمر حجاجي، يدفعه إلى الإقناع بصحة حججه و التأثير فيه.

أما النهي فقد كان لأفعاله الإنجازية الناهية تأثير كبير في المتلقي، وذلك من خلال توجيه سلوكه وفكره نحو مصداقية الحجج التي يقدمها الشاعر.

رابعاً : أسلوب الشرط ودوره في العملية الحجاجية:

أسلوب الشرط هو أسلوب يتضمن جملتين بسيطتين متلازمتين، لا يتم معنى إحداهما إلا بوجود الأخرى، تربط بينهما أداة شرط، وعليه فإن أسلوب الشرط أو الجملة الشرطية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي " جملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط، وأداة الشرط"، هذه الأخيرة التي تجمع بين الجملتين الأولى والجملة الثانية، و أحيانا نجد عنصرا رابعا يتمثل في الرابط، الذي غالبا ما يتصل بجملة جواب الشرط، ويتمثل في أحد الحروف الآتية الفاء، السين، سوف، اللام، وتسمى بحروف واقعة في جواب الشرط أو حروف رابطة لجواب الشرط.

أما عن أدوات الشرط باعتبارها العامل الأساسي لإظهار أسلوب الشرط فإنها نوعان هما :

1/ حروف الشرط : وهي "إن، إذما، لو، لولا، لوما"

2/ أسماء شرط : وهي كثيرة منها : "من، ما، مهما، متى، أيان، أينما، كيفما، حيثما، أي... الخ"، كما يجدر بنا أن نذكر : "إذا" باعتبارها ظرفية شرطية ولها أوجه أخرى حسب السياق .

لأسلوب الشرط دور هام وفعال في العملية الحجاجية، حيث يظهر من خلاله ترتيب الحجج ومحاولة إقناع المتلقي والتأثير فيه حسب الحجج المدرجة من طرف المتكلم، « ولما كانت اللغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطائية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج »¹.

لذلك يعتبر أسلوب الشرط بأدواته المختلفة عاملا حجاجيا يؤثر بصورة مباشرة على المتلقي، « وهناك بعض الأدوات اللغوية، التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجات بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب، و من بين هذه الروابط التراكيب الشرطية وغيرها »².

قد استعمل الثغري التراكيب الشرطية كمؤشرات و عناصر حجاجية، يعضد بها نصوصه الشعرية ويقوي بها المعنى، بها المعنى، ويؤكد بها الفكرة ويرسخها ويثبتها عند المتلقي، كما أنه يثير بها فكر المتلقي و يوجهه إلى إدراك المعنى المراد

يقول الثغري :³

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ

عَلَى اللَّهِ يَلْقَهُ كَفِيلاً وَكَافِيًا

يدعونا الشاعر في هذا البيت الشعري إلى ضرورة التوكل على الله في كل الأمور؛ لأن التوكل دليل قاطع على قوة إيمان العبد بخالقه، فهو يستوجب الأخذ بالأسباب وانتظار النتائج، هذه النتائج يتكفل بها الله تعالى، والشاهد هنا أن الشاعر قد وظف أسلوب شرط كرابط حجاجي، جمع بين قضيتين بواسطة أداة شرط، وعليه فإننا يمكن التمييز بين عناصر هذه الجملة الشرطية على النحو الآتي :

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، ص 508

³ الثغري، ديوانه، ص 172

- 1/ اسم الشرط : مَنْ
 - 2/ جملة فعل الشرط: يتوكل في جميع أموره على الله
 - 3/ الرابط: لا يوجد
 - 4/ جملة جواب الشرط : يلقه كفيلا و كافيا
- وأسلوب الشرط هذا زاد المعنى وضوحا وأعطاه قوة وامتانة ، وبمعاصر لغوية محدودة.

وفي موضع آخر يقول الثغري :¹

لَئِنْ كَانَ فَلَقُ الْبَحْرِ قَبْلَكَ آيَةً

لِمُوسَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ شَقَّ لَكَ الْبَدْرًا

يذكر لنا الثغري بعض معجزات الأنبياء والرسل، فالمعجزة التي خص الله بها نبيه سيدنا موسى عليه السلام هي معجزة فلق البحر وشقه إلى قسمين ، حتى يتمكن سيدنا موسى عليه السلام و من آمن معه من عبوره سالمين غانمين ، وهذا ما أدرجه الشاعر في صدر هذا البيت الشعري، أما عجز البيت الشعري فهو يتضمن معجزة كبرى جرت على يد رسول الله مُحَمَّد ﷺ، و هي انشقاق القمر إلى نصفين، هذه المعجزة التي أفحمت كفار قريش وكانت دليلا على صدق نبوة سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، « وسبب حدوث هذه المعجزة هو أن كفار قريش طلبوا من الرسول ﷺ آية حتى يصدقوه ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما »² والشاهد في هذا البيت هو توظيف الشاعر لأسلوب الشرط تضمن قضيتين وضعتا على وجه المقارنة ، حتى يتمكن المتلقي من استنباط المعنى المراد، مما زاد في توضيح المعنى وتأكيده .

وعليه فإننا نميز العناصر الأربعة المكونة لأسلوب الشرط وهي :

- 1/ حرف الشرط:..... إِنَّ
- 2/ جملة فعل الشرط:..... كَانَ فَلَقُ الْبَحْرِ قَبْلَكَ آيَةً لِمُوسَى
- 3/الرابط:.....الفاء "ف"
- 4/ جملة جواب الشرط:..... إِنَّ اللَّهَ شَقَّ لَكَ الْبَدْرًا

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 78

² حسن ضياء الدين عنتر ، المعجزة الخالدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1994، ص53

يقول الثغري :¹

إِنْ كَانَ مُوسَى لِلْخِلَافَةِ بَدْرَهَا

فَالْتَأَشَّفَنِي شَمْسُهَا وَضُحَاهَا

بقي الثغري وفيها للأسرة الحاكمة رغم تعاقب سلاطينها، ففي هذا البيت الشعري يمدح الشاعر أبا تاشفين عبد الرحمن الثاني، الذي تولى حكم الدولة الزيانية بعد وفاة أبيه أبوحمو موسى الثاني، ويثني عليه بذكر فضائله وخصاله الحميدة ، حتى أنه شبهه بالشمس المشرقة وضح النهار، وهو دليل على بهائه وجماله من جهة، و على رفعتة ومكانته العالية من جهة ثانية ، وقد تمكن الشاعر من رسم هذه الصورة الفنية بمعنى واضح و بديع يؤثر على المتلقي، وذلك من خلال أسلوب الشرط الذي وظفه الشاعر، والذي كان مكتمل العناصر وهي:

1/ حرف شرط: إِنْ

2/ جملة فعل الشرط: كان موسى للخلافة بدرها

3/ الرابط:..... ف

4/ جملة جواب الشرط:..... التاشفني شمسها و ضحاها

ويقول في موضع آخر :²

وَإِنْ كَانَتْ لِسُلَيْمَانَ الشَّيَاطِينُ سُخْرَتْ

فَلَمْ تَكُنْ فِي التَّسْخِيرِ تَعْصِي لَهْ أَمْرًا

يظهر الشاعر في هذا البيت بعض معجزات سيدنا سليمان عليه السلام ، التي خصها الله تعالى لنبيه الكريم عليه السلام ، ألا وهي تسخير الجن و الشياطين يعملون بأمره ، فجاء هذا البيت متضمنا لأسلوب الشرط المكتمل العناصر وهي كالاتي:

1/ حرف شرط: إِنْ

2/ جملة فعل الشرط: كانت لسليمان الشياطين سخرت

3/ الرابط:..... ف

4/ جملة جواب الشرط:..... لم تكن في التسخير تعصي له أمرا

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 166

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 168

يقول الثغري في موضع آخر :¹

هُوَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مُوسَى بْنِ يُوسُفَ

إِذَا إِفْتَحَرَتْ يَوْمَ الْفَخَارِ الْمَحَافِلُ

يمدح الشاعر الثغري أبا حمو موسى الثاني ويثني عليه، و يذكر خصاله الحميدة وصفاته الحسنة ، وقد عبر عن هذه الفضائل العظمية بأسلوب بديع تضمن الشرط ، و الملاحظ هنا أن عناصر الجملة الشرطية قد وقع فيها تقديم وتأخير، وقد وظف الشاعر أداة شرط و هي "إذا" التي تفيد الظرف، والتي ربطت بين جملتين بسيطتين فكانت جملة جواب الشرط هي الأولى وقد أدرجها الشاعر في صدر البيت الشعري ، أما جملة فعل الشرط فكانت هي الثانية وقد أدرجها الشاعر في عجز البيت الشعري.

وعليه فقد جاءت عناصر الجملة الشرطية على النحو الآتي :

1/ أداة الشرط:..... إذا

2/ جملة فعل الشرط: افتخرت يوم الفخار المحافل

3/ جملة جواب الشرط: هو الملك المنصور موسى بن يوسف

4/ الرابط:..... لا يوجد

و لعل تقديم جملة الجواب على كل من أداة الشرط و جملة فعل الشرط كان لغرض بلاغي هو " تعظيم هذا السلطان وتبين رفعته ومكانته المرموقة " ، وقد أدى أسلوب الشرط وظيفة هامة تمثلت في تقوية المعنى وتوضيحه.

يقول الثغري :²

وَلَوْ تَمَّرَ التَّوْفِيقُ أَصْبَحْتُ جَانِيًا

لَمَّا كُنْتُ لِالْآثَامِ وَالذَّنْبِ جَانِيًا

يعرض لنا الشاعر في هذا البيت الشعري الحديث عن الآثار السلبية والنتائج السيئة، التي تترتب عن إطلاق النفس على هواها و عدم ضبطها وجمها وكبحها، وقد عبر عن هذه الآثار السلبية للنفس الأمانة بالسوء بألفاظ منها "لآثام، الذنب ، جانيا " ، وكلها ألفاظ تندرج ضمن الحقل الدلالي وهو المعصية ، وقد حرص الشاعر على حسن بناء بيته الشعري باعتماده على بعض العناصر الحجاجية ، فوظف أسلوب الشرط الهادف إلى تقوية المعنى وتوضيحه إلى المتلقي بعد إثارة فكره و دفعه نحو معرفة المعنى المطلوب ، ومن هذا البيت الشعري يمكن التمييز بين عناصر أسلوب الشرط على النحو الآتي:

¹ الثغري ، ديوانه ، ص 107

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 168

1/ حرف الشرط:..... لُو

2/ جملة فعل الشرط:..... ثمر التوفيق أصبحت جانبا

3/ الرابط:..... ل "اللام"

4/ جملة جواب الشرط:..... ما كانت للآثام والذنب جانبا

يعد أسلوب الشرط من العوامل الحجاجية الأوسع استعمالاً لدى المتكلم ، كونها الأكثر تأثيراً في نفس المتلقي ، لذلك فقد وظفها الثغري وأجاد توظيفها فكان لها الأثر البالغ في توضيح المعنى المراد وتعزيب الفكرة .

إن أسلوب الشرط بعناصره الأربعة يزيد المعنى قوة وصلابة وسلاسة ؛ لأنه يشتمل على حجج متتالية ومتسلسلة تتفاعل إحداهن في الأخرى فتزيدها قوة وترسيخاً في الأذهان، وتؤدي إلى إقناع المتلقي باستشارة نفسيته واستشعارها حال المتكلم .

خاتمة

خاتمة:

لقد عرف الأدب العربي ازدهارا كبيرا وتطورا مذهلا في المغرب الأوسط، وبلغ أوجّه خاصة في عهد الدولة الزيانية سيما في مجال الشعر، حيث برع الكثير من الشعراء وسطع نجمهم وذاع صيتهم، وبلغت شهرتهم مشارق الأرض ومغاربها عبر الأزمنة والعصور ومنهم: ابن خميس؛ أبو حمو موسى الثاني، ويحيى بن خلدون، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن جمعة التاليسي، ويعدّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري التلمساني واحدا من أولئك الشعراء المغاربة الذي تمكّن من تسجيل اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ الأدب الجزائري، كما أنه أكد حضوره الشعري في الشعر العربي عامة وفي الشعر الجزائري القديم خاصة، وذلك من خلال قصائده التي وإن قلت عددا فإنها كثرت لفظا ومعنى، ويعتبر الثغري الشاعر المبدع والفنان الذي كانت لديه القدرة على تمثّل تراثه العربي الإسلامي واستلهام صورته ومعانيه، والنسج على منوال سابقه في شتى فنون الشعر وأغراضه مع وضع بصمة ثغرية مناسبة ملائمة لموضع الحال، هذا الأخير الذي استوعب التجارب الشعرية واستفاد منها، وأعاد صياغتها وإنتاجها حسب نظرتة الفنية مضيفا عليها لمسته الخاصة التي تصور متطلبات واقعه وظروف عصره، كونه شاعرا مغاريا لديه خصائص ومميزات خاصة به وبيئته وبصره.

وأردت من خلال هذه الدراسة أن أفف على مظاهر تأثر شاعرنا الثغري بسابقه من الشعراء في فنون الشعر المختلفة وأغراضه المتباينة من جهة، ومن جهة أخرى على مدى توظيفه للمؤثرات المنطقية والآليات الحجاجية والعوامل البلاغية في قصائده وتسجيل حضورها في أشعاره، وبعد ما مررنا به من مراحل في دراستنا هذه والكشف عن إبداع شاعرنا الثغري ولمساته الفنية الرائعة توصلنا إلى النتائج التالية:

1/ توظيف الشعراء العرب القدامى و الثغري واحد منهم للمنطق وآلياته وللحجاج وعوامله وللبلاغة بجميع أنواعها وفروعها، إذ لا يكاد يخلو نص شعري من هذه العناصر كونها دعائم أساسية بفضلها تبنى القصيدة الشعرية والغرض منها تقوية المعنى وإعطائه رونقا وجمالا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تستثير مشاعر المتلقي وتؤدي به إلى الإقناع

2/ يعد الثغري التلمساني شاعرا مبدعا متميزا طرق جميع فنون الشعر المختلفة وأغراضه المتباينة، اتسمت تجربته الشعرية بالثراء والزخم، تتقاطع نصوصه الشعرية مع النصوص الأدبية والدينية اللتين ساهمتا في إغناء ثروته اللغوية وقصائده الشعرية خاصة ما تعلّق منها في استحضار النص الغائب وتقوية علاقته بالمتلقي .

3/ إنّ الحضور الديني كان جليا عند الثغري في نصوصه الشعرية، فقد استفاد شاعرنا الثغري التلمساني من القرآن الكريم وكذلك من السنة النبوية الشريفة باعتبارها مصدرين أساسيين استقى منهما أحيانا اللفظ وأحيانا المعنى وأحيانا أخرى اللفظ والمعنى معا، وقد وظفهما بشكل واسع وتمكّن من استخدامهما بشكل جيد وذلك لما للنص

الديني من حضور و قدسية وعظمة في نفس القارئ العربي خاصة، هذان المصدران ساهما مساهمة فعالة في بناء مجد الثغري واحتلاله مكانة مرموقة بين معاصريه وغيرهم من الشعراء عبر الأزمنة والعصور.

4/ سعة اطلاع الثغري على الثقافات الأخرى وعلى الآداب المتنوعة وعلى الشعر العربي في مختلف عصوره مكنته من التناص معهم في الكثير من نصوصه الشعرية، فيكشف عن مدى تأثره بالشعراء العرب عبر العصور من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي حتى مع شعراء المغرب والأندلس مما زاد أشعاره قوة ومتانة وجزالة وسلاسة في اللفظ والمعنى .

5/ توصلنا أيضا من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الوطيدة والصلة القوية التي تربط الشعر المغربي القديم مع الشعر المشرقي فهما وجهان لعملة واحدة وأصلهما واحد ألا وهو الشعر العربي، فاللغة واحدة هي لغة الضاد والدين واحد وهو الإسلام وإن بعدت المسافات وتباينت العادات والتقاليد بينهما فيما يتعلق في خصوصيات المنطقة غير أنّ الأصل واحد والهدف واحد وهو التوظيف الجيد والمتقن للفظ لبلوغ المعنى إلى المتلقي على أجمل صورة.

ما بحثنا المتواضع هذا إلاّ بداية لأبحاث علمية أخرى، لأن لا نهاية في مجال البحث العلمي ومن النهاية تكون البداية و عليه فإنّه ما كان من توفيق فهو من الله وحده وما كان من سهو أو نسيان أو خطأ أو تقصير فهو من عندي وحدي، وما توفيقني إلاّ بالله.

مأفق

الثغري التلمساني سيرة ومسيرة:

المهد الثغري :

لقد عرفت الدولة الزيانية تطورا كبيرا، وتقدّما مذهلاً في مجال العلم والمعرفة ، صاحبه ظهور علماء وفقهاء وأدباء وشعراء ، سطع نجمهم وعلا شأنهم ، وذاع صيتهم في البلدان والأمصار ، ويعدّ الثغري واحدا منهم غير أنّ الحديث عن حياة شاعرنا الثغري التلمساني وشخصيته الفذة كان قليلا ، ولم يكن وارداً إلا في الكتب القديمة وكذلك الحديثة التي اهتمت بتاريخ الدولة الزيانية، فأوجزت في ذكر حياة هذا الشاعر وعدّدت النزر القليل من قصائده ، فقد ذكره المقري وقال عنه : « هو الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناصر أبو عبد الله مُجّد بن يوسف الثغري، كاتب السلطان أمير المسلمين أبي حمو موسى بن يوسف الزياني »¹.

وقد قال عنه ابن عمار : « هو الأديب الأجلّ شاعر الدولة الزيانية ، أبو عبد الله مُجّد بن يوسف القيسي الأندلسي »² كما ذكره يحيى بن خلدون وقال عنه: « هو مُجّد بن يوسف القيسي الأندلسي »³

أمّا الكتب الحديثة التي ذكرت شاعرنا الثغري وتحدّثت عن بعض ملامح شخصيته نذكر منها ما قاله عبد الرحمن الجيلالي : « هو العالم الجليل الكاتب البارع والشاعر المبدع أبو عبد الله مُجّد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف، من أشهر شعراء تلمسان وبلغائها المبرزين والمقدّمين لدى سلاطينها و ملوكها »⁴

إن الكتب التي ذكرت شاعرنا الثغري التلمساني وتحدّثت عن حياته لم تذكر منها إلا الشيء القليل تمثل في اسمه وألقابه وبعض صفاته الأدبية والعلمية .

¹ المقري ، نفح الطيب ، ص 121

² ابن عمار ، نخلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، ص 123

³ يحيى بن خلدون ، بغية ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ص 87

⁴ عبد الرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام ، ص 215

اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري في بعض المصادر ، وفي أخرى ملقب بالأندلسي ، أمّا اسمه القيسي « فهو نسبة إلى قبيلة قيس وهي قبيلة عربية معروفة »¹

أمّا عن لقبه الثغري ، فإنّ جلّ الروايات تؤكد أنه الأكثر شهرة لشاعرنا من غيره ويرى الأستاذ " نوار بوحلاسة " : « أن لقب الثغري قد غلب على شاعرنا التلمساني أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي ، لكثرة توظيفه مفردة " الثغر " في شعره »²

ورأي آخر يرى أن شاعرنا لقب بالثغري وذلك « نسبة إلى قبيلة آل الثغري وهي مجموعة من الأسر التي نزحت من الثغر الأعلى " أراغون " إلى مختلف بلاد الأندلس في القرن 6 هـ ، وقد حمل هذا اللقب عددا كبيرا من الزعماء ، وهناك ما يثبت على أن آل الثغري كانوا من البربر »³

• المولد والنشأة :

بالنظر إلى بعض آثار شاعرنا الثغري التلمساني ، و من خلال ما ورد في قصائده التي نظمها واصفا تلمسان ذاكراً طفولته بها ، يمكن القول بأن الثغري ولد بتلمسان وذلك في قوله :

يقول الثغري :⁴

كم غدونا بها لأنس ورحنا جادها رائح من المزن غاد

ولكم روحة على الدوح كادت أن تريح الصبا لنا وهو غاد

في هذه الأبيات يذكر لنا الشاعر أيام طفولته وصباه عندما كان صغيراً، يلهو ويلعب بين حدائق تلمسان وبساتينها وهذا دليل على أنه ولد بتلمسان و ترعرع فيها ، أمّا عن تاريخ مولده فلم يرد يدل عليه ، غير أنه يمكن تحديد الفترة الزمنية التي عاشها الثغري التلمساني وذلك من خلال استقراء بعض قصائده التي ذكرت المصادر المؤرخة للدولة الزيانية تواريخ نظمها حسب ما أوردها "ابن عمار " في كتابه "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".

¹ أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي الثغري، ديوان الثغري ، ص 19

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص 13

³ مُحَمَّد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 1997، 4، ص 166

⁴ الثغري ، المرجع نفسه ، ص 99

و منها قصيدة قالها سنة " 761هـ " بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف حيث يقول في مطلعها:

يقول الثغري :¹

أسائل عن نجد ودمعي سائل وبين صبا نجد وشوقي رسائل

وكذلك في قصيدة أخرى سنة (766هـ) مطلعها

يقول الثغري :²

ذكر الحمى فتضاعفت أشجانه شوقا وضافت بسره كتمانها

« كما أننا نجد له قصيدة مدح لأبي زيان أبي حمد موسى الثاني سلطان الدولة الزيانية آنذاك الذي حكم البلاد سنة " 796 هـ " »³.

والتي يقول في مطلعها :⁴

تذكرت صحبا يعموا الضال والسدرا فهاجت لي الذكرى هوى سكن الصدرا.

إن التواريخ المذكورة آنفا " 761 هـ ، 766 هـ ، 796 هـ " كلها يمكن أن نعتمد عليها في تحديد الفترة التي عاشها الثغري التلمساني، لذلك فإن « الثغري التلمساني قد عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (8هـ)، وما يعرف من حياته أنه لازم البلاط الزياني ومدح حكامه في هذه الفترة ، وأن تاريخ (796 هـ) الموافق ل (1393م) يناسب العام الذي قدم به آخر قصيدة بين يدي السلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو »⁵

• تعلمه و تعليمه:

من المعروف أن الدولة الزيانية قد عرفت آنذاك تطورا كبيرا في جميع مجالات الحياة خاصة الحياة الأدبية والثقافية، وذلك لاهتمام حكامها بالأدب والأدباء وبالعلم والعلماء بالشعر والشعراء ، مما ساعد على بزوغ نجم شاعرنا الثغري وتألقه ، لذلك فإنه قد أخذ يحظ وافر من العلم والمعرفة سيما ما تعلق منه بالدين من قرآن كريم وسنة نبوية شريفة ، وأيضاً ما تعلق منه بالأدب من نشر وشعر، غير أن الكتب التاريخية لم تتعرض إلى الحديث عن مسيرة الثغري العلمية والأدبية باسهاب كبير» ومع ذلك فإن حديثهم عن كونه شاعر البلاط الزياني في عهد أبي حمو موسى الثاني (ت 791 هـ) ، وابنيه "أبي زيان " (ت 801هـ) ، و أبي تاشفين (ت 795هـ) كان غزيرا »⁶

¹ الثغري، ديوانه ، ص148

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص168

³ محمد عبد الله التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص210

⁴ الثغري ، المرجع نفسه ، ص72

⁵ بوزيان الدراجي ، أدباء وشعراء تلمسان ، ج4، ص238

⁶ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، ص139

نشأ الثغري بتلمسان و تعلّم بمساجدها و مدارسها و تتلمذ على يد علمائها وفقهائها ، ولعل « أشهرهم الإمام الشريف التلمساني المعروف بغزارة علمه و هو إمام المغرب بلا منازع »¹.

انكب الثغري على العلم والأدب ومجالسة العلماء منذ صغره مما ساعده على الحفظ والفهم والإدراك، فكوّن شخصية قوية اتسمت بالذكاء و حب العلم واكتساب المعرفة، فتوسعت مداركه وتعددت مآخذه و مشاركته فاحتل بذلك مكانة بين أقرانه و معاصريه ، فسطع نجمه وذاع صيته خاصة بارتباطه بالبلاط الزياني ، كما أن الثغري قد انتقل بعد رحلته التعليمية و الآخذ عن الشيوخ والعلماء إلى رحلة تعليمية، اهتم فيها بعملية التدريس و نشر العلم فأتمه الكثير من الطلاب من كل حدب و صوب ، يطلبون العلم منه ويتلمذون على يديه ومنهم : " أبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت 862هـ) ، الذي جاء من الأندلس إلى تلمسان طلبا للعلم والمعرفة إذ يقول : «ومنهم " أي أساتذة تلمسان" الشيخ الفقيه العددي الفرضي الكاتب البارح أبو عبد الله محمد الشهير بالثغري قرأت عليه كتاب "أوقليدس" في الهندسة من أوله إلى نصفه العاشر منه بلفظي تصورا ، وسمعت عليه بقراءة غيري "تلخيص ابن البناء" ، وكتاب "الجبر والمقابلة" لابن الياسمين تصورا»²

مما سبق يمكن القول أن الثغري شاعرٌ فذّ مبدع تمكّن من ناصية اللغة، فكان واسع الثقافة والاطلاع متعدد المشارب ، كثير العلوم غزير المعارف أخذ عنه الطلاب العديد من علومه المتنوعة ومعارفه المختلفة في جميع الميادين ومختلف المجالات، من لغة و دين و تاريخ إضافة إلى الهندسة والجبر والعلوم الطبيعية.

وفاته :

لم تذكر المصادر القديمة تاريخ وفاة شاعرنا الثغري التلمساني ، غير أن بعض الباحثين المعاصرين حاولوا تحديد تاريخ وفاته وذلك بالنظر إلى تواريخ قصائده في مدح سلاطين بني زيان ، و من ذلك قولهم: « فهو لم ينقطع عن مدح أبي حمو الثاني ، ثم ابنه أبي تاشفين وأبي زيان من بعده ، ولعلّه توفي في أوائل القرن التاسع الهجري »³

¹ محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري ، ص 275

² المجاري الأندلسي أبو عبد الله محمد ، برنامج المجاري ، ص 137

³ عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره ، ص 173

كما أن شوقي ضيف يرجح أن وفاة الثغري كانت في أواخر القرن الثامن الهجري فيقول: « لم تذكر المراجع متى توفي ، وأكبر الظن أنه توفي في أواخر القرن الثامن الهجري أو في أوائل القرن التاسع الهجري »¹

● آثاره ومخلفاته :

لم يتم جمع أعمال شاعرنا الثغري في حياته ولا حتى في عصره، إنما بقيت محفوظة في ذاكرة من تتلمذ على يده و ما يعرف عنه أنه لم يكن شاعرا فحسب إنما كان ناثرا أيضا ومع ذلك لم تذكر له مصنفات أو مؤلفات نثرية . ما يمكن قوله هو أن آثاره تتمثل في مجموعة من القصائد التي يبلغ عددها ثماني عشرة قصيدة تحتوي على ما يقارب على ألف بيت موجودة في كتب التاريخ التي اهتمت بالتأريخ للدولة الزيانية ، وتمكّن الدكتور "نوار بوحلاسة" من جمع هذه القصائد ووضعها في ديوان أسماه ب "ديوان الثغري التلمساني" و تم نشره من طرف مخبر الدراسات التراثية بجامعة منتوري بقسنطينة بالجزائر عام 2004م ، وتودر هذه القصائد في مجملها حول الفخر والرياء ومدح حكام دولة بني زيان ، وأيضا في مدح الرسول صلى الله عليه .

1/ في مدح الرسول ﷺ يقول الثغري :²

بشهر ربيع قد بدا علم الهدى

شفيح الورى صلّوا عليه وسلّموا

تساقطت الأصنام عند ظهوره

وعادت بنات الجن بالشهب ترجم

وأشرقت الدنيا بمولد أحمد

فلا خلق مظلوم ولا أفق مظلم

ويقول أيضا :³

حتى بدا القمر الذي لولاه ما

بدت النجوم ولا بدا قمرها

قمر يبشرب أشرفت أنواره

حتى أضاءت أرضها وسمها

¹ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات، ص141

² الثغري، ديوانه، ص135-136

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص161

2/ في مدح السلطان أبي حمو موسى الثاني :

يقول الثغري :¹

في دولة فاضت يداها بالندی
بسطت بأرجاء البسيطة عدلها
سلطانها المولى أبو حمو الرضى
ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي

وقضت بكلّ منى لكلّ مؤمل
وسطت بكلّ معاند لم يعدل

3/ في وصف مدينة تلمسان

يقول الثغري :²

تاهت تلمسان بحسن ثيابها
فالبشر يبدو من حباب ثغورها

و بدا طراز الحسن من جلبابها
مبتسما أو من ثغور حبابها

• ويقول الثغري في غرض الرثاء

يقول الثغري :³

حقت ملائكة السماء بنعشه
والخلق حول سريره المنصوب


ومضى لرحمة ربه مستبشرا
بثوابه والله خير مثير

مما سبق يمكن أن نقول أن شاعرنا الثغري التلمساني ذو شخصية مميزة، فنان ومبدع وضع بصمته في هذه الحياة، وسجّل اسمه في تاريخ فحول الشعراء من خلال ما تركه وخلفه من قصائد عظيمة غاية في الروعة و الإبداع ، فرغم قلّتها غير أنّها كانت قيّمة و جليلة كونها شملت جميع أغراض الشعر من جهة ، ومن جهة أخرى عكست لنا شخصية شاعرنا الثغري التلمساني المتميزة و الفذة ، هذا الأخير " الثغري التلمساني " الذي طالما غفل عنه الغافلون وقلّمًا ذكره الذاكرون.

¹ الثغري، ديوانه ، ص101

² الثغري ، المرجع نفسه ، ص19

³ الثغري ، المرجع نفسه ، ص55



قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم ، رواية ورش عن نافع ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011 .

- قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر و المراجع العربية

1. أحمد بن مُجَدَّ الفيومي ، المصباح المنير ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 2016
2. أحمد بن مُجَدَّ القسطلاني ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، ، تح : أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ط2، ج 2، 2004
3. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، دط، 1963
4. أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، 1989،
5. أحمد الدمنهوري ، رسالة في المنطق، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان ، ط1996، 1
6. أحمد شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، المطبعة الأزهرية ، مصر ، ط3 ، ج3، 1328هـ
7. أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 2008
8. أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، منشورات النهضة، بغداد، ط1، 1964
9. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، دط، 2007
10. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان، والبديع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، د.ت
11. الأزهرى، تهذيب اللغة ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، ط1، ج12 ، 2001
12. أماني غازي جرار، إبداع التفكير، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003،
13. الإمام الطيبي، التبيان في البيان، تح: عبد الستار حسين زموط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
14. امرؤ القيس ، ديوانه ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط5
15. أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط1، 1961
16. البحتري، ديوان البحتري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج1، 1987
17. بدرى فرحات الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2003، 1

18. د. بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، دار الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، دط، 2007
19. أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، تنزيذ و إخراج حسين طه ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009
20. بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، 2009
21. الترميذي أبو عيسى مُجَدِّد بن عيسى ، شرح شمائل الرسول ﷺ ، شرح : عبد الرزاق بن محسن البدر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1435هـ
22. التنسي ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، موفر للنشر، الجزائر ، 2011
23. توفيق محمود مُجَدِّد سعد، التفكير البلاغي في بيان الوحي، جامعة أم القرى، السعودية، دط، 1432هـ
24. ثناء نجاتي محمود عياش، الجهود البلاغية للتفتازاني، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006
25. الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام مُجَدِّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ج1 ، ط7، 1998
26. جمال الدين القاسمي ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، دط ، دت
27. جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر ، مصر ، القاهرة ، دط ، 2008
28. الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4، ج5، 1978
29. حاجي خليفة، كشف الظنون، المطبعة الإسلامية، طهران، ج2، ط3، 1947
30. حازم القرطاجني أبو حسن ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : مُجَدِّد الحبيب بن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2008
31. حبيب أعراب ، الحجاج و الإستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري ، عالم الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001
32. حسان بن ثابت، الديوان، تح: عبد امهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994
33. الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوي ، مُجَدِّد نديم فاضل ، دار الكتاب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1992

34. حسن جمعة ، في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، دط، 2002
35. حسن ضياء الدين عنتر ، المعجزة الخالدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1994
36. حسين الحاج حسن، النقد في آثار وأعلامه، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996
37. حسين الصديق ، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، الشركة المصرية للنشر - لونغمان - ، مصر ، القاهرة ، ط1، 2000
38. حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف، مصر، القاهرة ، دط، 1986
39. حصة البادي، التناس في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجاً ، دار المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1 ، 1430 هـ ، 2003 م
40. حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج ، كلية الآداب منوبة ، تونس ، دط، 1994
41. حميد آدم الثوي، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، عمان، الأردن، ط1، 2007
42. أبو حيان التوحيدي، رسالة في العلوم ، أخبار و دراسة : د عزت أحمد السيد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط1، 2001
43. ختام سحيمات، التفكير، المفاهيم والأنماط، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ط1، 2010
44. الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ج1، ط2، 1994
45. خطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2009
46. د. داود العطار ، موجز علوم القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2017
47. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات كتاب المشايخ بالمغرب، تح: طلاي إبراهيم، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974 م
48. ابن دريد ، جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1987،
49. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط4، 2009
50. د. رشيد قوقام ، أسس المنطق الصوري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2008
51. ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح: النبوي عبد الواحد شعلال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر، ط1، 2000
52. رائد الحيدري، المقرر في توضيح منطق المظفر، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ج1، ط1، 2001

53. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ج 1 ، دط ، 2009
54. الزويدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : عبد الحليم الطحاوي ، مطبعة الكويت ، الكويت ، ج 14 ، دط ، 1974
55. زين الدين المناوي ، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط 1 ، ج 1 ، 1999
56. سالم مُجَّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط 1 ، 2004
57. سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثانية للهجرة ، بنيته و أساليبه ، عالم الكتب الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000
58. سعاد قوبال ، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة ، الجزائر ، دط ، 2010
59. سعد التفتازاني ، المطول في شرح التلخيص مفتاح العلوم ، تح : د.عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2001
60. سعد الدين التفتازاني ، مختصر المعاني ، دار الفكر ، إيران ، دط ، 2016
61. سعيد عبد العزيز، تعليم التفكير ومهاراته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007
62. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ج 2، دط، 2008
63. سليمان باشا الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ،مراجعة: مُجَّد علي الصليبي، دار الحكمة ،لندن، ط 1، ج 2، 2005
64. سوسن شاكر مجيد، تنمية مهارات التفكير الإبداعي الناقد، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008
65. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009
66. ابن شرف القيرواني ، رسائل الإنتقاد ، تح : حسن حسين عبد الوهاب دار الكتاب الجديد ، بيروت ، دت ، دط ،
67. شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، 1987
68. شمس الدين السخاوي ، فتح المغيث في شرح ألفية الحديث ، تحقيق: علي حسن علي ، مكتبة السنة ، مصر ، ط 1، ج 1، 2003
69. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1، 1989
70. الشيخ عبد الهادي الفضلي ، دروس في فقه الإمامية ، مركز الغدير ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، 2014

71. صابر حباشة ، التداولية و الحجاج ، دار صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2008
72. د. صالح فركوس ، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي إلى نهاية الدولة الزيانية ، مديرية النشر لجامعة قلمة ، الجزائر ، ج1، 2011،
73. طاهر يوسف الخطيب ، المعجم المفصل في الإعراب ، تح: إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4، 2007
74. ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تح : طه الحاجري و مُجّد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، القاهرة ، دط ، 1956
75. طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1998
76. طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتحديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب ، ط2، 2000
77. عاطف فضل، البلاغة العربية، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002
78. أبو العباس مُجّد بن يزيد المبرد ، المقتضب في اللغة ، تحقيق مُجّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت، ج1، 1994
79. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974
80. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، ج2، ط2، 1965
81. عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، د ط ، 2001 ، ج 1
82. عبد الرحمان حسن ، البلاغة العربية ، دار القلم ، بيروت، لبنان ، ج 2 ، ط 1 ، 1997
83. عبد الرحمان حسن جبنتك الميداني ، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ج1، ط1، 1996
84. عبد الرحمن بن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غرب و شرقا ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1959
85. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1981
86. عبد السلام مُجّد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، القاهرة ، ط5 ، 2001
87. عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، دط ، 2010
88. عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010

89. عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ، ج 2، 2002
90. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تح : محمود مُجَّد شاكر ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1981
91. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : مُجَّد التبجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005
92. عبد القاهر الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح : مُجَّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، 2010
93. عبد الله بن مُجَّد سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج1، 1982، 1
94. عبد الله صولة ، التداولية والحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية ، دار الفرائي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007
95. عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج ، الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكا ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم
96. أبو عبد الله مُجَّد بن يوسف القيسي الثغري ، ديوان الثغري ، تح : نوار بوحلاسة ، مخبر الدراسات التراثية ، جامعة منتوري قسنطينة، 2004
97. عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، دارحزم، بيروت، لبنان، دط، 2002
98. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004
99. عبد الواحد الكبسي، تنمية التفكير بأساليب مشوقة، دار الطباعة والنشر، عمان ،الأردن ، ط2، 2008،
100. عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، دت
101. أبو عبيد البكري ،المغرب ، في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، مكتبة المنثى ، بغداد ، دط، 2017
102. عفيف الدين التلمساني الصوفي ، ديوان أبي الربيع ، تحقيق و تقديم : العربي دحوا ، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ، 2007 ،
103. ابن عمار أبو العباس أحمد ، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ،مطبعة بوننانة ، الجزائر، دط ، 1905 ،
104. العمري مُجَّد ، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الأول نموذجاً ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، 2002
105. علي بن يخلف الكاتب ، مواد البيان ، تح : حاتم صلاح الضامن ، دار النثائر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2003،
106. علي حسين الجابري، علم المنطق الأصول والمبادئ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، دط، 2010،

107. علي الجارم ، مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1990، دط
108. علي بن مُجَّد السيد شريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تح : مُجَّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، دط ،
دت
109. علي جميل سلوم ، الدليل إلى عروض الخليل ، درا العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، 2015
110. علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ،
دط، 2000
111. علي عشري زايد، البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط6، 2008
112. عيسى علي العكوب ، المفصل في علوم البلاغة ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، دمشق، 2018
113. غازي طليمات وعرفات الأشقر، الأدب الجاهلي أغراضه، أعلامه، قضاياها، فنونه، مكتبة الإيمان، دمشق، ط1،
1992
114. الغزالي أبو حامد ، معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط4، 1983
115. ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : مُجَّد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1979
116. فخر الدين الرازي ، شرح عيون الحكمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ج1، ط1، 1986، ص48
117. ابن الفرض، تاريخ العلماء بالأندلس، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، مصر ، ط2، ج1،
1989
118. فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 2005،
119. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، تح: مُجَّد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ط5، 2005
120. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،
ج1، ط1، 1998
121. أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ، تح: مازن مبارك ، دار العروبة ، القاهرة ، ط1، 1954
122. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ج1، ط1، 1998.
123. القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تح : مُجَّد أبو الفضل إبراهيم و علي مُجَّد البجاوي ، دار القلم ،
لبنان ، 2008
124. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2007
125. القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997

126. د. ماهر عبد القادر مُجَّد علي، المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985
127. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، دار الطباعة، الجزائر، ج2، 1964،
128. المتنبي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1403هـ، 1983
129. المجاري الأندلسي أبو عبد الله مُجَّد، برنامج المجاري، تح: مُجَّد أبو الأحنفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1982
130. مُجَّد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، دار النصر للطباعة، مصر، القاهرة، ط2، 1968، مادة جدل
131. مُجَّد التبسي، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، دار الطباعة والنشر، الجزائر، دط، 1971،
132. مُجَّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دار الطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، 1967
133. مُجَّد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، دط، 2007
134. مُجَّد باقر الحكيم، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، دت
135. مُجَّد بن عمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، المفهوم و التحليلات، شركة النشر والتوزيع، المغرب ط2001، 1
136. مُجَّد بن غازي العثماني، روضة المتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1999
137. مُجَّد بوراس قلعة، الفقيه المفتي زيد بن ثابت الأنصار (ض)، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد 31، 1411هـ
138. مُجَّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991،
139. مُجَّد شحاتة ربيع، علم النفس التجريبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009
140. مُجَّد صالح الصديق، البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989
141. مُجَّد طاهر تواتي، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرن السابع و الثامن الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995

142. مُجَّد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط1997، 4
143. مُجَّد عزام ، تحليلات التناص في الشعر العربي منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د ط ، 2001 ، مُجَّد علي الهاشمي ، المنهل العذب في الدراسة الأدبية ، دار القلم الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، 1999
144. مُجَّد فريد عبد الله ، معجم الفروق في المعاني ، دار المواسم للطباعة والنشر ، لبنان ، بيروت ، 2008
145. مُجَّد مندور ، النقد المنهجي عند العرب، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2016
146. مُجَّد ولد سالم الأمين ، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، طرابلس الجماهيرية العظمى ، ط1 ، 2004
147. محمود الخالدي، العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، الشهاب، الجزائر، دط، 1989،
148. مرعي بن يوسف الحنبلي ، القول البديع في علم البديع ، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 2001
149. المقرئ ، نفع الطيب ، تح: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج5، 1968
150. ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، دار الطباعة والنشر، الجزائر، 1908،
151. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة : "الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ط1، 2005
152. مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1991
153. ابن المعتز ، كتاب البديع ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، 1979،
154. ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، مج5، ط1، 2010
155. مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد و توجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت، لبنان، ط2 ، 1987،
156. مهدي صالح السامرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، دار عمان، عمان، ط1، 2008،
157. المهلهل بن ربيعة، الديوان، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت
158. الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة ، ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، ط3 ، 1998
159. نايفة القطاحي، نموذج شوارتز وتعليم التفكير، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2013.
160. أبو نصر الفراني ، الألفاظ المستعملة في المنطق ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1986، ص108

161. هشام الريفى ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادى صمود ، كلية الآداب والعلوم والفنون الإنسانية ، منوبة ، تونس
162. ابن هشام أبو مُجَدَّ عبد الملك المعافى ، السيرة النبوية ، ج 2، طبعة مخرجة الأحاديث على يد العلامة: مُجَدَّ ناصر الدين الألبانى ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، دت ، دط
163. أبو هلال العسكرى، كتاب الصناعتين، تح: على مُجَدَّ البجاوى، و مُجَدَّ أبو الفضل إبراهيم، دار الحياء للكتابة العربية ، بيروت، لبنان، ط1، 1952،
164. وليد رفيق العياصرة، التفكير السابر والإبداعى، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2011،
165. يحيى بن خلدون ، بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، مطبعة بونطانة، الجزائر، ج 1 ، 2017،
166. ابن يعىش موفق الدين ، شرح المفصل، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ج6 ، ط2001، 1

ثانيا : المراجع المترجمة

- 1- هيقل ، موسوعة العلوم الفلسفية ، ج1، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ، دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، 1983
- ثالثا: الرسائل الجامعية و المذكرات (رسائل الدكتوراه ، الماجستير ، الماستير) :
1. مظاهر الصورة البيانية فى دلالة الثغرى ، مذكرة رسالة لنيل شهادة الماستر (ل م د) ، كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية والأدب العربى ، جامعة 08ماي 1945قلمة ، الجزائر (2018-2019)
2. التناص فى الشعر المغربى القديم ، شعر الثغرى التلمسانى أنموذجا ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم فى الأدب العربى ، كلية اللغة و الأدب العربى والفنون ، قسم اللغة ةالأدب العربى جامعة باتنة 1 ، الجزائر (2017-2018)
3. البنية الحجاجية فى شعر المتنبي ، السيفيات أنموذجا ، مقارنة تداولية مذكرة لنيل شهادة الماستر فى ميدان اللغة و الأدب العربى مسار أدب عربى قديم كاية الآداب و اللغات قسم اللغة والأدب العربى ، جامعة العربى بن مهيدى أم البواقي ، الجزائر (2015-2016)

رابعا: المجلات و الصحف

1. عبد السلام اسماعيلى علوى ، ما التداوليات؟ ، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلى علوى ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتاب الجديد ، إريد ، الأردن ، ط2 ، 2014
- 2.د.عبد العزيز السراج ، التواصل و الحجاج ، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلى علوى ، الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسات نظرية و تطبيقية فى البلاغة الجديدة ،عالم الكتاب الجديد ، إريد ، الأردن ، ج 1 ، 2010

3. عليوي أبا سيدي ، التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار (التفكير) النقدي، مقال ضمن كتاب حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ،عالم الكتاب الجديد، إربد، الأردن ، ج2 ، 2010
4. هاجر مدقن ، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان ، مجلة الأثر ، الجزائر ، العدد 5 ، 2005

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

أ	مقدمة
6	مدخل : المشهد الثقافى والأدبى فى المغرب العربى إبآن الفتح الإسلامى

الفصل الأول فى مفهوم المنطق

35	أولاً: مفهوم المنطق
35	1/ لغة
36	2/ اصطلاحاً
36	1-2/ عند أرسطو
36	2-2/ عند العلماء المسلمين
37	3/ موضوع المنطق
38	4/ الحاجة إلى المنطق
40	5/ علاقة المنطق بالعلوم الأخرى
41	1-5/ المنطق والميتافيزيقيا
43	2-5/ المنطق والرياضيات
44	3-5/ المنطق وعلم النفس
44	4-5/ المنطق وعلم الاجتماع
46	5-5/ المنطق و اللغة
47	6/ الغاية من المنطق
48	7/ الأثر المنطقى و الجمالى فى البلاغة العربىة
53	8/ أشهر الكتب البلاغىة ذات الصبغة المنطقىة

55	ثانيا : الحجاج اللغوي
55	1 / التداولية
56	1-1 / التداولية لغة
57	1-2 / التداولية اصطلاحا
57	2 / الحجاج
57	1-2 / الحجاج لغة
58	2-2 / الحجاج اصطلاحا
59	3 / أنواع الحجاج
59	1-3 / الحجاج التوجيهي
60	2-3 / الحجاج التقويمي
61	3-3 / الحجاج البلاغي
61	3-4 / الحجاج الفلسفي
62	3-5 / الحجاج التداولي
63	4 / دوافع الحجاج و دواعيه
64	5 / علاقة الحجاج بالعلوم الأخرى
64	5-1 / علاقة الحجاج بالتداولية واللسانيات
65	5-2 / علاقة الحجاج بالبلاغة
66	5-3 / الحجاج والبلاغة والخطابة
68	6 / تاريخ الحجاج
70	6-1 / الحجاج عند الغرب قديما
70	6-1-1 / الحجاج عند أفلاطون (347،427ق.م)
70	6-1-2 / الحجاج عند أرسطو (384-322ق.م)
71	6-2 / الحجاج عند العرب القدامى
71	6-2-1 / الحجاج عند الجاحظ (163هـ/255هـ)
72	6-2-2 / الحجاج عند حازم القرطاجني (608-684هـ)

72	3-2-6 / الحجاج عند أبي هلال العسكري
73	3-6 / الحجاج عند الغرب حديثا
75	4-6 / الحجاج عند العرب حديثا
75	1-4-6 / الحجاج عند طه عبد الرحمان
77	2-4-6 / الحجاج في اللغة عند أبي بكر العزاوي
78	7 / بين الحجاج و الجدل
78	8 / بين الحجاج و المناظرة
79	9 / بين الحجاج و البرهان والاستدلال
80	10 / خصائص الخطاب الحجاجي و مميزاته
83	11 / أنواع الحجج
83	1-11 / الحجج شبه المنطقية
84	1-1-11 / أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية
84	2-1-11 / أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية
83	2-11 / الحجج المؤسسة على بنية الواقع
83	3-11 / الحجج المؤسسة لبنية الواقع
84	12 / أنواع الحجج و مراتبها
85	13 / شروط الحججة المثبتة
87	14 / التداولية المدحجة
90	15 / الأساليب الحجاجية عند ديكرود
91	16 / السلام الحجاجية
93	1-16 / قوانين السلم الحجاجي
94	2-16 / الإتجاه الحجاجي
94	17 / الأدوات والوسائل الحجاجية عند "بيرلمان و تيتيكا":
95	1-17 / الوسائل اللسانية
96	2-17 / الوسائل الفلسفية

98 الواسائل البلاغية	3-17
98 " الآليات البلاغية: الاستعارة ، التشبيه ، الكناية والمجاز "	1-3-17
100: " المحسنات البديعية اللفظية و المعنوية "	2-3-17
100 الآليات اللغوية	3-3-17

الفصل الثاني

في مفهوم البلاغة

104 مفهوم البلاغة لغة واصطلاحاً	1
104 لغة	1-1
105 اصطلاحاً	2-1
106 مفهوم الفصاحة	2
106 لغة	1-2
106 اصطلاحاً	2-2
107 البلاغة العربية "النشأة والتطور"	3
107 البلاغة عند العرب قبل البعثة المحمدية	1-3
109 البلاغة عند العرب بعد البعثة المحمدية	2-3
109 مرحلة ما قبل التدوين (التأليف)	1-2-3
111 مرحلة التدوين (التأليف)	2-2-3
114 أقسام علم البلاغة	4
114 علم البيان	أولاً
114 مفهوم البيان لغة	1-4
115 مفهوم البيان اصطلاحاً	2-4
116 أقسام علم البيان	3-4

116/1-3-4 الاستعارة.
116 /2-3-4 أقسام الاستعارة
118 /3-3-4 التشبيه
119 /4-3-4 أركان التشبيه
119/5-3-4 أنواع التشبيه من حيث أركانه التي يتألف منها.
122 /6-3-4 أقسام التشبيه.
124/7-3-4 المجاز المرسل.
125/8-3-4 علاقات المجاز المرسل.
126 /9-3-4 الكناية.
126 /10-3-4 أقسام الكناية.
127 ثانيا: علم البديع.
127 /5 مفهوم البديع
127 /1-5 لغة
128 /2-5 اصطلاحا.
128 /3-5 أنواع البديع.
128/1-3-5 أنواع المحسنات البديعية.
128المحسنات المعنوية.
131المحسنات البديعية اللفظية.
133 ثالثا: علم المعاني.
133 /6 أقسام علم المعاني.
133 /1-6 الخبر.
134 /1-1-6 أغراض الخبر.
135 /2-1-6 أضرب الخبر.
136 /2-6 الإنشاء.
136 /1-2-6 أقسام الأسلوب الإنشائي.

136 2-2-6 / الأسلوب الإنشائي الطلبي
136 3-2-6 / أقسام الأسلوب الإنشائي الطلبي
143 4-2-6 / الأسلوب الإنشائي غير الطلبي
143 5-2-6 / أقسام الأسلوب الإنشائي غير الطلبي
145 /7 المسند والمسند إليه
146 /8 أسلوب القصر
147 /9 الفصل والوصل
147 /1-9 الفصل
147 /3-1-9 مواضع الفصل بين الجملتين
150 /2-9 الوصل
151 /3-2-9 مواطن الوصل
152 /10 الإيجاز
152 /1-10 أنواع الإيجاز
153 /11 الإطناب
154 /12 المساواة
155 ثانيا: التفكير البلاغي عند الثغري التلمساني
155 /1 مفهوم الفكر (التفكير) لغة واصطلاحاً
155 /1-1 الفكر "التفكير" لغة
156 /2-1 الفكر "التفكير" اصطلاحاً
156 /3-1 خصائص التفكير
156 /4-1 أنواع التفكير
159 /2 المرجعية البلاغية لدى الثغري التلمساني "مشاربه وماأخذه"

الفصل الثالث

تجليات المنطق في شعر الثغري التلمساني

- 166.....أولاً: الوسائل البلاغية.....166
- 166.....1 / الصور البيانية في شعر الثغري.....166
- 166.....1-1 / التشبيه.....166
- 1692-1 / الاستعارة.....169
- 1743-1 / الكناية.....174
- 1774-1 / الجـاز.....177
- 180.....2 / المحسنات البديعية في شعر الثغري التلمساني.....180
- 1811-2 / المحسنات اللفظية.....181
- 1912-2 / المحسنات المعنوية.....191
- 1973 / التناص في شعر الثغري التلمساني.....197
- 1971-3 / التناص لغة.....197
- 1972-3 / التناص اصطلاحاً.....197
- 198.....3-3 / الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف " التناص الديني".....198
- 200.....1-3-3 / في أسماء الله الحسنى.....200
- 2012-3-3 / في أسماء النبي مُحَمَّد ﷺ وصفاته.....201
- 2023-3-3 / في أسماء القرآن الكريم.....202
- 2044-3-3 / التناص مع السنة النبوية الشريفة.....204
- 2124 / التناص الشعري.....212

212.....	1-4 /التناص مع الشعر الجاهلي.....
214	2-4 /التناص مع شعر صدر الإسلام.....
216	3-4 /التناص مع الشعر العباسي
219.....	4-4 /التناص مع الشعر المغربي والأندلسي.....
222	ثانيا: الآليات اللغوية
222	1 / الآلية اللغوية للإقناع في شعر الثغري التلمساني.....
223	1-1 / الروابط اللغوية للإقناع في شعر الثغري
224.....	1-1-1 /روابط الوصل و روابط الفصل.....
225	أ/ روابط الوصل.....
233	ب / روابط الفصل.....
234	1-2 / عامل التكرار.....
236	1-3 / عامل اسم التفضيل
237	ثالثا : الأساليب الإنشائية ودورها في العملية الحجاجية.....
237.....	1 / الأسلوب الإنشائي.....
238.....	1-1-1 / الاستفهام.....
239	1-1-2 / الأمر.....
240	1-1-3 / النهي.....
242	رابعا : أسلوب الشرط ودوره في العملية الحجاجية.....
248.....	خاتمة
258.....	قائمة المصادر و المراجع

الملحق

فهرس المحتويات

ملخص:

يعتبر أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الملقب بـ "الثغري" من أشهر شعراء مدينة تلمسان في عهد "حاكمها" أبي حمو موسى الثاني " خلال القرن "8" فقد أعجب الثغري بطبيعة مدينة تلمسان، ونظم في ذلك الكثير من القصائد غاية في الإبداع، كما أنه أحب سلطانها "أبا حمو موسى الثاني" وابنيه "أبا تاشفين" و "أبا زيان"، وخلدهم بقصائد غاية في المدح والفخر و "الثغري" شاعر متمكن طرق جميع أغراض الشعر العربي وتميز فيها، كما أنه وظف في أشعاره جميع أنواع الصور البيانية وكذا المحسنات البديعية، والجدير بالذكر مرجعيته البلاغية النابعة من تشبعه بالثقافة الإسلامية الصادرة عن بيئته العربية الإسلامية، فاستقى من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الشريفة اللفظ والمعنى، وكان للحضور الديني في أشعاره نصيب كبير وحيز واسع، كما أخذ من أشعار سابقه من الشعراء عبر العصور فكان من ذلك "التناصر" الناتج عن سعة اطلاعه على الآداب والثقافات القديمة، فكانت قصائده دررا تحمل في طياتها إبداعا زينه "الثغري" بخياله الواسع حتى يصل إلى المتلقي بأسلوب رائع ومميز.

Summary

Abu abdellah Mohammedben Youcef el kaissi named " elThagri" is considered as one of the most famous poets in Telemcen in the era of its leader " Abi hamou Moussa the second "during the eighteenthcentry of el hijra ...he was admired by its nature , he did a lot of wonderful poems, he also loved its Sultan " Abi Moussa the second" and his sons ; Aba Tachafinana Aba Zayanhe wrote many poems for them using pride and praise. El Thagri is a talented poet in all the Arabic poetry fields, he used graphic and innovative statements ..his rhetorical stage is derived from his wide Islamic culture that came from his Arbic and Islamic nature ...he took from Quran and el Sunnah the word and he meaning ...The presence of religion has taken a wide place and he has used the poems of the ancestors poets; this made what we called the intertextuality that came from his wide culture and usage of the old cultures ..His poems considered as pearls that have the greatest innovations covered by his wide fiction, which transmitted to the reader within a nice textile and wonderful styl